

سلسلة تربية بلون جديد
الحلقة الرابعة

التربية

مطومة تحقوق

الشيخ حسين عبد رضا السيد

تقديم

معهد تراث الأنبياء عليه السلام للدراسات الحوزوية الإلكترونية



فِيهِ الشُّؤْنُ الْفِكْرِيَّةُ وَالْثَّقَافِيَّةُ

www.alkafeel.net
info@alkafeel.net
nashra@alkafeel.net

كربلاء المقدسة

ص.ب (٢٢٣)

هاتف: ٢٢٢٦٠٠٠، داخلي: ١٦٣-١٧٥

سلسلة: تربية بلون جديد

الحلقة الرابعة

الكتاب: التَّزْيِيَةُ مَنْظُومَةٌ حُقُوقٍ.

تأليف: الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي.

الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة، معهد تراث الأنبياء للدراسات

الحوزوية الإلكترونية.

الايخراج الطباعي: علاء سعيد الاسدي.

المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر.

الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ٥٠٠.

ربيع الأول ١٤٤٢هـ- تشرين الأول ٢٠٢٠م



الإهداء

إلى نرجسة البيت المهدي

ومليكة العنصر العلوي

إلى ريحانة الدنيا

وسوسنة الدهر

إلى حاملة الأمانة الإلهية

إلى من رغبت في وصلة أبناء رسول الله ﷺ...

عارفة بحقهم، مؤمنة بصدقهم، معترفة بمنزلتهم، مستبصرة

بأمرهم، مشفقة عليهم، مؤثرة هواهم...

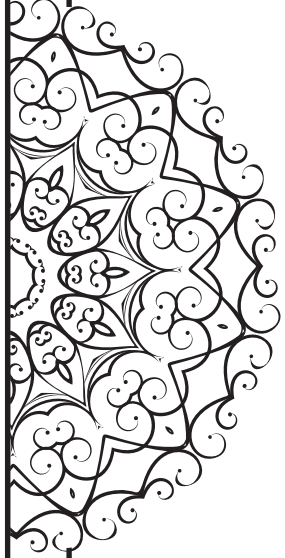
إليك يا مولاتي

يا أم الإمام المهدي ﷺ

أهدي لك ثواب هذا الكتاب

راجياً القبول من الله تعالى...

وشفاعة أهل البيت ﷺ.



مقدمة المعهد

معهد تراث الأنبياء، مؤسسة علمية حوزوية تُدرس المناهج الدّينية المعدّة لطلّاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

الدراسة فيه عن طريق الانترنت وليست مباشرة.

يساهم المعهد في نشر وترويج المعارف الإسلاميّة وعلوم آل البيت عليهم السلام ووصولها إلى أوسع شريحة ممكنة من المجتمع، وذلك من خلال توفير المواقع والتطبيقات الإلكترونيّة التي يقوم بإنتاجها كادر متخصص من المبرمجين والمصمّمين في مجال برمجة وتصميم المواقع الإلكترونيّة والتطبيقات على أجهزة الحاسوب والهواتف الذكيّة.

وبالنظر للحاجة الفعلية في مجال التبليغ الإسلامي النسوي فقد أخذ المعهد على عاتقه تأسيس جامعة متخصصة في هذا المجال، فتمّ إنشاء جامعة أمّ البنين عليها السلام الإلكترونيّة لتلبية حاجة المجتمع وملء الفراغ في الساحة الإسلاميّة لإعداد مبلّغات رساليّات قادرات على إيصال الخطاب الإسلامي بطريقة علمية بعيدة عن الارتجال في العمل التبليغي، بالإضافة إلى فتح التخصصات العقائدية والفقهية والقرآنية.

على أنّ المعهد لم يُهمل الجانب الإعلامي، فبادر إلى إنشاء مركز القمر للإعلام الرقمي، الذي يعمل على تقوية المحتوى الإيجابي على شبكة الانترنت ووسائل الإعلام الاجتماعي، حيث يكون هذا المحتوى موجّهاً لإيصال فكر أهل البيت عليهم السلام وتوجيهات المرجعية الدّينية العليا إلى نطاق واسع من شرائح المجتمعية المختلفة وبأحدث تقنيات الإنتاج الرقمي وبأساليب خطابية تناسب المتلقّي العصري.

والمعهد يقوم بطباعة ونشر الإنتاج الفكري والعلمي لطلبة العلم، ضمن سلسلة من الإصدارات - في مختلف العناوين العقائدية والفقهية والأخلاقية - التي تهدف إلى ترسيخ العقيدة والفكر والأخلاق، بأسلوب بعيد عن التعقيد، يستقي معلوماته من مدرسة أهل البيت عليهم السلام الموروثة.

سلسلة (تربية بلون جديد)، هي سلسلة كتب تربوية تعالج مختلف قضايا التربية، وقد قام معهدنا بإصدار الأجزاء الثلاثة الأولى منها، وهذا هو الجزء الرابع منها، لمؤلفه الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي.

نسأل الله ﷻ أن يجعل عملنا في عينه، وأن يتقبّله بقبوله الحسن، إنّه سميع مجيب.

إدارة المعهد

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان

[٧٤

ليست التربية مجرد نظريات تُسطر في الموسوعات، وليست هي مادةً بحث تجريبي أو علمي عقلي أو فلسفي لتبقى طيِّ كتمان المختبرات أو في خبايا العقول، فلا يرقى إليها ولا يُدرك معادلاتها إلا الأوحدي، كلا، وإنما هي قواعد حياتية عملية، لن تستمر الحياة بانسيابية دون تطبيقها بطريقة مرنة، والتطبيق - كما هو معلوم - مسبوق بالمعرفة.

هذا من جهة.

من جهة أخرى، أعتقد أن التربية بقواعدها ونظرياتها وتطبيقاتها، يلزم أن تُوجَّه أولاً إلى الوالدين، بمعنى أن التربية في الحقيقة هي تربية للوالدين قبل الأولاد، إذ هم ﴿كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ، مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ﴾.

فما هو من الأولاد: الانفعال، التلقّي، الأخذ.

وهذا يعني: أن على الآباء أن يعملوا على تربية نفوسهم وصقلها بصورة جيدة، قبل أن يعملوا على تربية أولادهم، وإلا، ففاقد الكمال لا يُعطيه.

من هنا، كانت سلسلة (تربية بلون جديد)، وهذا الكتاب هي الحلقة الرابعة منها.

في هذه الحلقة جوانب أربعة فيها اثنتا عشرة مفردة، هي تطبيقات لمنظومة (الحقوق

والواجبات)، والتي لولاها لتحولت الحياة إلى غابة تعجّ بالوحوش الكاسرة، وهي مستفادة من رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام، تضمنت بيان العديد من الحقوق التي تنبغي مراعاتها وأداؤها، والمطلوب هي معرفة الحقوق فيها، ونقلها إلى الأولاد عملياً، بأن يعمل الوالدان على تطبيقها بمرأى ومسمع منهم، ثم دفعهم إلى أداء ما يترتب عليها من سلوكيات وأفعال خارجية.

جدير بالذكر أن العديد من هذه الحقوق كان قد أُلقي ضمن ثلاث عشرة محاضرة في (محرم الحرام ١٤٤١ هـ/ أيلول ٢٠١٩ م، في العاصمة بغداد، حي الجهاد، جامع وحسينية أمير المؤمنين عليه السلام). وقد تم تدوينها وإدخال بعض التعديلات عليها بما يتناسب مع كونها كتاباً، وتنقيط الخلاصات والإفادات منها، مع الحفاظ على أسلوبها الواضح البعيد عن المصطلحات المعقدة.

اسأل الله تعالى أن يوفقنا لنكون على قدر المسؤولية في تربية أولادنا، وأن يُعيننا في أداء هذه المهمة المصيرية، وأن يجعلهم لنا ولجميع المؤمنين قرة عين في حياتنا، وأولاداً لا ينسون آباءهم بعد مماتهم بالدعاء وإهداء الأعمال الصالحة، إنه سميع مجيب.
والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على أفضل من انتجب، محمد وآله الطيبين الطاهرين.

حسين عبد الرضا الأسدي

النجف الأشرف

١٤ رجب المرجب ١٤٤١ هـ

١٠ آذار ٢٠٢٠ م.

تمهيد

فيه نقاط ثلاثة:

النقطة الأولى:

تنطلق تربية الأولاد من مرتكزات واقعية متعددة، ترتبط مع بعضها، مكوّنةً شبكة تكاملية من المقتضيات والأسباب الجزئية، تتعاون فيما بينها في سبيل الوصول إلى هدف معين، اسمه: التربية الصالحة.

وليس المقصود من وصف الصالحة هو خصوص الصلاح الأخروي وما يرتبط بعلاقة الفرد بالسما - وإن كان هو جانباً مهماً فيها، كونه يوفر نقطة المحور نحو التربية الصالحة في جميع مجالاتها وجوانبها-، وإنما المقصود ما يشمل الصلاح الدنيوي، سواء على مستوى علاقة الفرد بأسرته، أو بمجتمعه، أو بالطبيعة من حوله.

وهذا يعني: أن التربية الصالحة تقتضي توفير جوانب أربعة ضرورية، هي ما ينبغي أن يتعرف عليها أولادنا، مع الإلفات إلى أن تعريفهم بها يكون بعملنا وسلوكنا قبل أقوالنا.

وتلك الجوانب الأربعة هي:

١/ الجانب الديني: المتمثل بالعلاقة مع الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ وأوصيائه عليهم السلام والدين عموماً.

٢/ الجانب الأسري: المتمثل بالعلاقة مع الوالدين والأولاد والإخوة.

٣/ الجانب الاجتماعي: المتمثل بالعلاقة مع أفراد المجتمع على اختلاف الروابط.
٤/ الجانب الاقتصادي: وهو فرع من العلاقة بعموم الطبيعة، ولكنه فرع مهم،
كونه يمثل قوام حياة الناس في الدنيا.
هذه الجوانب الأربعة، وحتى تعمل كفريق عمل واحد، لا بد لها من نظام يضبطها،
ويمنهج عملها، وليس هو إلا نظام الحقوق والواجبات.

النقطة الثانية :

تعريف إجمالي بنظام الحقوق والواجبات:
الواجبات: هي إلزامات يقوم بها الفرد تجاه صاحب حقّ.
ولتوضيح المعنى نضرب مثلاً:

لو كان لشخص فضلٌ على آخر، كأنْ أقرضه أموالاً، فسيصبح هذا الشخص
المتفضل صاحب حق على من تفضّل هو عليه، أي إنه يستطيع ان يُلزمه - أو قل:
يُشرّع- عليه بعض الأمور، ولا بد لمن عليه الفضل أن يلتزمها تجاه من قام بإسداء
المعروف له.

مناشئ الحقوق:

في حياتنا اليومية هناك إلزامات و واجبات لها مناشئ متعددة، منها:
١/ الشرعية: بمعنى أن الدين يُلزمنا ببعض الأمور التي يجب علينا امتثالها،
كوجوب الصلاة.

٢/ العقلية: وهي الأمور التي يُلزمنا بها العقل، سواءً أمّناً بالشرعية السماوية أم لم
نؤمن، وسواء كان لنا دين أم لم يكن، كالاقراراف بحسن العدل، ولزوم فعله، أو قبح

الظلم ولزوم الابتعاد عنه، فلا ينبغي للعاقل إلا أن يعدل، لا أن يظلم، فهذا إلزام عقلي. نعم، الدين جاء وأقرّ مثل هذه المبادئ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل ٩٠] فهذا تأكيد لحسن العدل وإمضاء له وإرشاد إليه.

٣/ العرفية: وهي إلزامات منشؤها التقاليد والأعراف، والتي تنشأ في بلدان معينة أو مؤسسات أو قبائل... وبعضها وإن كان يفرض القانون والاحترام، إلا أن بعضها يوجد الظلم والجور.

ما هو منشأ الحق؟

يوضح العلماء أن منشأ الحق هو الدين -المديونية- كمن يقوم بإسداء معروف لشخص ما، فيصبح صاحب حق على من تفضل عليه، أو من يقوم بظلم شخص أو التعدي عليه بأخذ أمواله أو غيرها، فهنا سيصبح المظلوم صاحب حق على من ظلمه. للوالدين مثلاً حق على الولد، نشأ من أن للوالدين ديناً في عنق الولد، جاء من كونها سبب وجوده، فضلاً عن أن استمرار حياته إنما هو بفضلها.

وهذا الحق لا يقتصر على الدين، وإنما هو حق يقرّه العقل، بل نرى أن خطاب القرآن الكريم بحق الوالدين لم يكن خطاباً متعلقاً بمن كان أبواه على دينه ومعتقده، وإنما كان التعامل مع الوالدين تعاملًا إنسانيًا إن صح التعبير، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء ٢٤].

وهذا الإحسان مطلوب حتى لو لم يكونا على معتقدك، قال تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت ٨] ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا

مَعْرُوفًا ﴿﴾ [لقمان ١٥].

فواضحٌ أن الشرك ليس من الدين في شيء، فهما يأمرانه بالكفر، ومع هذا يأتي أمر القرآن ﴿﴾ فَلَا تَطْعُمُهَا ﴿﴾ ولا تكفر بالله تعالى، وبذات الوقت ﴿﴾ وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴿﴾.

هذا المعروف من أين جاء؟ ولماذا أمرنا الدين أن نصاحبها معروفًا؟

ذلك لأنها أصحاب حق علينا، سواء كنا أصحاب دين أم لم نكن، ولذلك تنقل الرواية عن زكريّا بن إبراهيم قال: كُنْتُ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمْتُ وَحَجَجْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: إِنِّي كُنْتُ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ وَإِنِّي أَسْلَمْتُ.

فَقَالَ ﷺ: وَأَيَّ شَيْءٍ رَأَيْتَ فِي الْإِسْلَامِ؟

قُلْتُ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ ﴿﴾ مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلَنَاهُ نُورًا مَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ ﴿﴾.

فَقَالَ ﷺ: لَقَدْ هَدَاكَ اللَّهُ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اهْدِهِ ثَلَاثًا، سَلِّ عَمَّا شِئْتَ يَا بَنِيَّ.

فَقُلْتُ: إِنَّ أَبِي وَأُمِّي عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ وَأَهْلَ بَيْتِي، وَأُمِّي مَكْفُوفَةُ الْبَصَرِ، فَأَكُونُ مَعَهُمْ وَأَكُلُ فِي آيَاتِهِمْ؟

فَقَالَ ﷺ: يَا كُلُّونَ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ؟

فَقُلْتُ: لَا، وَلَا يَمْسُونَهُ.

فَقَالَ ﷺ: لَا بَأْسَ، فَانظُرْ أُمَّكَ فَبَرِّهَا فَإِذَا مَاتَتْ فَلَا تَكْلِهَا إِلَى غَيْرِكَ، كُنْ أَنْتَ الَّذِي تَقُومُ بِشَأْنِهَا، وَلَا تُخْبِرَنَّ أَحَدًا أَنَّكَ أَتَيْتَنِي حَتَّى تَأْتِيَنِي بِمِنَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

قال: فَأَتَيْتُهُ بِمِنَى وَالنَّاسُ حَوْلَهُ كَأَنَّهُ مُعَلِّمٌ صَبِيانٍ، هَذَا يَسْأَلُهُ وَهَذَا يَسْأَلُهُ، فَلَمَّا قَدِمْتُ الْكُوفَةَ أَلْطَفْتُ لِأُمِّي وَكُنْتُ أُطْعِمُهَا وَأَفْلِي ثَوْبَهَا وَرَأْسَهَا وَأَخْدُمُهَا، فَقَالَتْ لِي: يَا

بُنَيَّ، مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِي هَذَا وَأَنْتَ عَلَى دِينِي، فَمَا الَّذِي أَرَى مِنْكَ مُنْذُ هَاجَرْتَ فَدَخَلْتَ فِي الْحَنِيفِيَّةِ؟

فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ وُلْدِ نَبِيِّنَا أَمَرَنِي بِهَذَا. فَقَالَتْ: هَذَا الرَّجُلُ هُوَ نَبِيٌّ؟ فَقُلْتُ: لَا، وَلَكِنَّهُ ابْنُ نَبِيٍّ. فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ، إِنَّ هَذَا نَبِيٌّ، إِنَّ هَذِهِ وَصَايَا الْأَنْبِيَاءِ. فَقُلْتُ: يَا أُمَّهُ، إِنَّهُ لَيْسَ يَكُونُ بَعْدَ نَبِيِّنَا نَبِيٌّ، وَلَكِنَّهُ ابْنُهُ. فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ، دِينُكَ خَيْرٌ دِينٍ، اعْرِضْهُ عَلَيَّ. فَعَرَضْتُهُ عَلَيْهَا فَدَخَلَتْ فِي الْإِسْلَامِ، وَعَلَّمْتُهَا فَصَلَّتِ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، ثُمَّ عَرَضَ لَهَا عَارِضٌ فِي اللَّيْلِ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ، أَعِدْ عَلَيَّ مَا عَلَّمْتَنِي. فَأَعَدْتُهُ عَلَيْهَا، فَأَقْرَبَتْ بِهِ وَمَاتَتْ. فَلَمَّا أَصْبَحَتْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ عَسَلَوْهَا، وَكُنْتُ أَنَا الَّذِي صَلَّيْتُ عَلَيْهَا وَنَزَلْتُ فِي قَبْرِهَا. (١)

إن تعاملًا حسنًا من ولد تجاه والدته، تسبب في إيمانها وهي لا تعرف الدين.

والخلاصة :

كل من أحسن إليّ فهو صاحب حق، ومديونية، سواء كان الدين هو: حياة/ أموالاً/ تعليمًا، إذ المعلم صاحب حق ومديونية، فمن علمني حرفاً ملكني (ملكني) عبداً.

ولكن من المأسوف عليه أن الكثير من الناس هذه الأيام انسلخت من حقوق كثيرة، رغم أن إغماض العين عنها أمرٌ خاطئ بالاتفاق، ولو عاد الإنسان إلى وجدانه لرأى وجوب تأدية تلك الحقوق.

النقطة الثالثة :

إن التربية في هذه الجوانب الأربعة تتعلق بطرفين:

(١) الكافي: للكلييني ج ٢ ص ١٦٠ و ١٦١ باب البر بالوالدين ح ١١.

الطرف الأول: هم المربون عموماً، والآباء والأمهات خصوصاً، حيث إنهم مطالبون بالقيام بمقتضيات تلك الجهات الأربعة ومفرداتها المتنوعة.

الطرف الثاني: وهم المتربون، أي الأولاد عموماً، حيث تُلقَى على المربِّين مسؤولية إيضاح هذه الجهات الأربعة بمفرداتها إليهم، وتسييل الضوء على الحقوق فيها، وهذا أمر يقتضي التزام المربِّين أولاً بمقتضياتها، ثم العمل على تفهيم الأولاد ضرورة تلك الجوانب ثانياً، وفي مرحلة ثالثة العمل على إلزام الأولاد بأداء حقوق كل مفردة منها بأسلوب تربوي مناسب.

ثم إن تراثنا الديني لم يعدم الخطوط العامة والمرتكزات الأساسية لتلك الجوانب -وغيرها-، وإن خير ما يمكن أن يُنظَّم لنا خطوات العمل المنهجية فيها هو ما وصل إلينا من تراث أئمتنا (صلوات الله عليهم)، وبالأخص ما وصلنا من رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام، حيث اخترنا من هذه الرسالة بعض ما يدخل ضمن هذه الجهات الأربعة للحقوق موضوع الكتاب.

نسأل الله تعالى ان يوفقنا للعلم والعمل الصالح، وأن يجعل أولادنا قرة عين لنا، إنه سميع مجيب.

الجانب الأول: الجانب الديني

يقصد من هذا الجانب: تعريف الأولاد ما يلزمهم من
علاقتهم بالدين، المتمثلة بعبادة الله تبارك وتعالى وطاعته بتسليم
وإخلاص، وما يترتب على ذلك من ضرورة معرفة الوسطة بيننا
وبينه جل وعلا، خصوصاً ما يتعلق بمعرفة الإمام الحجة علينا
بعد رسول الله ﷺ، وسيتم بيان ذلك ضمن المفردات التالية:

المفردة الأولى: حق الله تعالى الأكبر

إذا كان للوالدين حقّ علينا في الوجود، إذ هما سبب فيه، ولكنه ليس بتامّ، فكيف بالسبب الحقيقي والتام للوجود، وهو الله تبارك وتعالى، فالوالدان مهما كانا فيها جزء سبب، وإنّما السبب الحقيقي هو الله ﷻ، إذ لو لم يهبهم هو سبحانه هذا الرزق لما تمكنوا من إيجاد الولد، بل إن وجودهما مفتقر إلى الله تبارك وتعالى، وكل ممكن فهو مفتقر إلى الباري جل وعلا، وأول حق لله تعالى علينا هو حق الخلق والإيجاد، وإذا أردنا تعداد الحقوق فلن نتمكن من إحصائها ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل ١٨].

فنعمة واحدة لا يمكن إحصاؤها وبالتالي لا نتمكن من إعطائها حقها من الشكر. فنعمة البصر -مثلاً- هي نعمة لا يمكن شكرها حق شكرها، فلو فرضنا جميع الناس عميان، فهل يمكن للحياة أن تتطور؟! الناس عميان، فهل يمكن للحياة أن تتطور؟! الناس عميان، فهل يمكن للحياة أن تتطور؟!

إنه ﷻ خلقنا، فهو يملكنا، وملكه لنا تكويني حقيقي، وليس كملك أحدنا للأموال أو غيرها، والذي يعبر عنه العلماء بأنه ملك اعتباري، وتخويل، ولذا، فإن الإنسان يفارق ما يملكه بالموت.

الله ﷻ ولا يناله ضعف أو موت أو غفلة، هو مالكننا بالملك الحقيقي، أو جدنا من العدم، لذلك نحن محتاجون لله ﷻ في أصل وجودنا في هذه الحياة، وفي استمرارها أيضاً، لأننا نفتقر في كل شيء لله تعالى، ولذلك فإنه (لا حول ولا قوة إلا بالله).

فلا يتمكن الإنسان من القيام بأي حركة إلا بقوة الله تعالى، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر ١٥]

ومن دعاءٍ للإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجّادية المباركة: «...اللهمَّ وَإِنَّكَ مِنْ الضَّعْفِ خَلَقْتَنَا، وَعَلَى الْوَهْنِ بَنَيْتَنَا، وَمِنْ مَهِينِ ابْتِدَائِنَا، فَلَا حَوْلَ لَنَا إِلَّا بِقُوَّتِكَ، وَلَا قُوَّةَ لَنَا إِلَّا بِقُوَّتِكَ، وَلَا قُوَّةَ لَنَا إِلَّا بِعَوْنِكَ، فَأَيُّدُنَا بِتَوْفِيقِكَ وَسَدِّدْنَا بِتَسْدِيدِكَ...»^(١).

ولتصوير كيفية افتقارنا لله تعالى بصورة مادية قريبة إلى الأذهان، يمكن أن نتأمل المصباح الكهربائي، فحتى يضيء فهو بحاجة إلى التيار الكهربائي، كما أن استمراريته يستمدّها من استمرار تدفق التيار الكهربائي في عروقه.

الإنسان يحتاج إلى الهواء في بداية حياته، ولا تنتهي حاجته إليه بعد ذلك، وإنما هو في كل لحظة محتاج إليه.

في الحقيقة، أن حاجتنا إلى الله تبارك وتعالى أعظم وأشدّ من حاجة المصباح إلى الكهرباء، ومن حاجتنا إلى الهواء، ففي اللحظة التي يقطع الله تبارك وتعالى ارتباطه بالعبد وتوفيقه له، فسينتهي وجود هذا الإنسان، ليس المعنى أنه يموت فقط، وإنما هو يتحول إلى عدم، ولا شيء.

هذا أول حق وأعظم حق علينا، ولا يتقدم عليه حق، وأيضاً حق النبي صلى الله عليه وآله وحق الإمام عليه السلام هو في طول حق الله تعالى ومرتب عليه، مع حفظ الفارق اللا متناهي بين حق الله تعالى وحق الرسول وأهل بيته عليهم السلام.

(١) الصحيفة السجّادية: ٥٨ / الدعاء رقم ٩.

المفردة الثانية: حق التعظيم لله عز وجل

لا يصح أن نتعامل مع الله ﷻ كما يتعامل أحدنا مع باقي البشر، فحقُّ الله تعالى علينا أن نقدره وإن كنا لا نستطيع أداء حقه سبحانه، ولكن لا أقل من أن نتعامل معه بإجلال وتعظيم.

كيف نتعامل مع الله تعالى باحترام؟

لنأخذ مثلاً على ذلك: لفظ الجلالة، كيف نتعامل معه؟

نحن نعلم أن بعض الأسماء لها قدسية في الشريعة، فمثلاً اسم (فاطمة) له قدسية، حيث روي عن السَّكُونِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مَغْمُومٌ مَكْرُوبٌ، فَقَالَ لِي: يَا سَكُونِيُّ، مِمَّا غَمَّكَ؟ قُلْتُ: وُلِدْتُ لِي ابْنَةٌ! فَقَالَ: يَا سَكُونِيُّ، عَلَى الْأَرْضِ ثِقْلُهَا، وَعَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا تَعِيشُ فِي غَيْرِ أَجْلِكَ، وَتَأْكُلُ مِنْ غَيْرِ رِزْقِكَ. فَسَرَى وَاللَّهِ عَنِّي. فَقَالَ لِي: مَا سَمَّيْتَهَا؟ قُلْتُ: فَاطِمَةَ، قَالَ: آهٍ آهٍ... أَمَا إِذَا سَمَّيْتَهَا فَاطِمَةَ فَلَا تُسَبِّهَا وَلَا تَلْعَنُهَا وَلَا تَضْرِبُهَا. (١)

وعن أبي جعفر ﷺ في قوله تعالى ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور ٦٣] يقول: لا تقولوا: يا محمد، ولا يا أبا القاسم، لكن قولوا: يا نبي الله، ويا رسول الله. (٢)

بل روي أنه ذكر اسم (محمد) عند الإمام الصادق ﷺ فأظهر من الاحترام ما كاد

(١) الكافي للكليني ج ٦ ص ٤٩ بابُ حَقِّ الْأَوْلَادِ ح ٦.

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ١١٠.

أن يلصق خده بالأرض، فعن أَبِي هَارُونَ مَوْلَى آلِ جَعْدَةَ قَالَ: كُنْتُ جَلِيسًا لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَدِينَةِ فَفَقَدَنِي أَيَّامًا، ثُمَّ إِنِّي جِئْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ لِي: لَمْ أَرَكَ مُنْذُ أَيَّامٍ يَا أَبَا هَارُونَ؟ فَقُلْتُ: وَوَلَدَ لِي غُلَامٌ. فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ فَمَا سَمَّيْتَهُ؟ قُلْتُ: سَمَّيْتُهُ مُحَمَّدًا. قَالَ فَأَقْبَلَ بِخَدِّهِ نَحْوَ الْأَرْضِ وَهُوَ يَقُولُ: مُحَمَّدٌ، مُحَمَّدٌ، مُحَمَّدٌ، حَتَّى كَادَ يَلْصِقُ خَدَّهُ بِالْأَرْضِ. ثُمَّ قَالَ: بِنَفْسِي وَبِوَالِدِي وَبِأَهْلِي وَبِأَبَوَيَّ وَبِأَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ جَمِيعًا الْفِدَاءَ لِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَا تَسْبَهُ وَلَا تَضْرِبْهُ وَلَا تُسَمِّئْ إِلَيْهِ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ دَارٌ فِيهَا اسْمٌ مُحَمَّدٍ إِلَّا وَهِيَ تُقَدِّسُ كُلَّ يَوْمٍ. ثُمَّ قَالَ لِي: عَقَّقْتَ عَنْهُ؟ قَالَ: فَأَمْسَكْتُ. قَالَ وَقَدْ رَأَيْتُ حَيْثُ أَمْسَكْتُ ظَنَّ أَنِّي لَمْ أَفْعَلْ، فَقَالَ: يَا مُصَادِفُ، اذْنُ مِنِّي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ مَا قَالَ لَهُ إِلَّا أَنِّي ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ أَمَرَ لِي بِشَيْءٍ، فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ فَقَالَ لِي: كَمَا أَنْتَ يَا أَبَا هَارُونَ، فَجَاءَنِي مُصَادِفٌ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ فَوَضَعَهَا فِي يَدِي فَقَالَ: يَا أَبَا هَارُونَ اذْهَبْ فَاشْتَرِ كَبْشَيْنِ وَاسْتَسْمِنْهُمَا وَادْبَحْهُمَا وَكُلْ وَأَطْعِمِ.^(١)

ولهذا تعارف عند المؤمنين أنهم يصلون على النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ كلما ذكروا اسمه، وأن من الآداب لكتابة اسم النبي (صلوات الله عليه وآله) التي يذكرها العلماء هو عدم اختصار الصلوات بحرف الصاد، بل روي عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «من صلى عليَّ في كتاب لم تنزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب».^(٢)

وكذلك لفظ الجلالة لا بد أن نتعامل معه ببالغ الاحترام.

فهناك الكثير من الأحكام المفروضة علينا - وجوباً أو استحباباً - ومن باب ما ينبغي - في التعامل مع لفظ الجلالة والتي منها: التقديس، بعدم ذكر لفظ الجلالة مجرداً،

(١) في الكافي للكليني ج ٦ ص ٣٩ باب نَوَادِرِ ح ٢.

(٢) في كتاب منية المرید للشهيد الثاني (ص ٣٤٦ - ٣٤٨) عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «من صلى عليَّ في كتاب لم تنزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب».

وإنما علينا مراعاة التقديس والإجلال، ومنها عدم مسّها بلا وضوء، كما يحرم تنجيسها. وهذا ما ينبغي علينا أن نعلّمه لأولادنا بصورة واضحة وجليّة.

القرآن يقول: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة ٢٢٤] فالقسم كذباً بالله تعالى حرام كما هو معلوم.

بعض العلماء يقول: اليمين الغموس هو الحلف بالله ﷻ كاذباً، وأن سبب تسميته باليمين الغموس لأنه يغمس صاحبه في نار جهنم.

بل إن على الإنسان أن يتجنب الحلف بالله تعالى وإن كان صادقاً، فقد روي عن أبي بصير قال: حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّ أَبَاهُ كَانَتْ عِنْدَهُ امْرَأَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ - أَظْنُهُ قَالَ: مِنْ بَنِي حَنْبَلَةَ - فَقَالَ لَهُ مَوْلَى لَهُ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنَّ عِنْدَكَ امْرَأَةً تَبْرَأُ مِنْ جَدِّكَ. فَقُضِيَ لِأَبِي أَنَّهُ طَلَّقَهَا، فَادَّعَتْ عَلَيْهِ صِدَاقَهَا، فَجَاءَتْ بِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمَدِينَةِ تَسْتَعِدِّيه، فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ: يَا عَلِيُّ إِمَّا أَنْ تَحْلِفَ وَإِمَّا أَنْ تُعْطِيَهَا [حَقَّهَا]. فَقَالَ لِي: فَمَ يَا بَنِي فَأَعْطَاهَا أَرْبَعِمِائَةَ دِينَارٍ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَه، جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَلَسْتُ مُحِقًّا؟ قَالَ: بَلَى يَا بَنِي، وَلَكِنِّي أَجَلَلْتُ اللَّهَ أَنْ أَحْلِفَ بِهِ يَمِينَ صَبْرٍ^(١).

أيّ تقديس لله ﷻ وأي تعظيم لاسمه تعالى كان لدى الإمام عليه السلام؟! وأين نحن من هذا التقديس؟

من هنا، علينا أن نعلّم أولادنا التالي:

أ: عدم ذكر اسم الله تعالى مجرداً، بل ذكره مع التقديس والإجلال والاحترام.

ب: تعويدهم على عدم الحلف ولو صادقاً، وأعرف أباً أعلن لأولاده أنه يعتبر اليمين علامة على خلاف الواقع، وأنه سيُصدّق من يتحدث من دون يمين.

(١) الكافي ٧: ٤٣٥ / باب كراهية اليمين / ح ٥.

ج: تنبيههم على حرمة تنجيس الاسم المقدس لله تعالى، وعدم جواز رميها حيث يلزم منه التوهين، وتُراجع في ذلك الكتب الفقهية.^(١)

(١) في منهاج الصالحين للسيد السيستاني ج ١ مسألة ١٦٣: لا يجوز للمحدث مسّ كتابة القرآن حتى المد والتشديد ونحوهما، ولا مسّ اسم الجلالة وسائر أسمائه وصفاته على الأحوط وجوباً، ويلحق بها على الأحوط الأولى أسماء الأنبياء والأوصياء وسيدة النساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

المفردة الثالثة: الطاعة بشرط التسليم

الطاعة بمعنى: الامتثال لأوامر الله ﷻ حين يأمرني، والانتهاز عن نواهيه تعالى. وتؤكد الروايات على أمر آخر بالإضافة إلى الطاعة، وهو: التسليم: أي أن لا يكون هناك اعتراض داخلي، وإنما يكون مسلماً لله ﷻ.

فقد روي عن أبي عبد الله ﷺ: «لو أن قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وحجّوا البيت، وصاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشيء صنع الله تعالى أو صنع النبي ﷺ: ألا صنع خلاف الذي صنع؟ أو وجدوا ذلك في قلوبهم، لكانوا بذلك مشركين»، ثم تلا هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، ثم قال أبو عبد الله ﷺ: «وعليكم بالتسليم»^(١).

فإذا قال الله ﷻ ورسوله ﷺ، فما علينا إلا أن نطيعهم بكل تسليم، فالتسليم شرط أساسي في قبول الطاعة...

وهنا، علينا أن نعلم أولادنا التسليم لأوامر الله تعالى، ونبيّن لهم أن ذلك نابع من إيماننا المطلق بعلم الله تعالى وحكمته اللامتناهية، وأنه تعالى يحبنا، لذلك لا يأمرنا إلا بما فيه صلاحنا، ولا ينهانا إلا عما فيه مفسدة علينا، ومن كان كذلك فلا يتردد العاقل في اتباعه وبتسليمٍ مطلق لا تردّد فيه.

وفي نفس الوقت، علينا أن لا ننسى أن نفسح لهم المجال للسؤال والاستفسار عن

(١) المحاسن لأحمد بن محمد بن محمد بن خالد البرقي (ج ١ / ص ٢٧١ / باب ٣٨ / ح ٣٦٥).

مفردات الدين، ولكن لو فقدنا المعرفة، كفانا التسليم، للنكتة المتقدمة.

ولا بأس بتذكيرهم بقصص بعض الذين وصلوا إلى مراتب عالية من التسليم، مثل ما روي عن عبد الله بن أبي يعفور، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: والله لو فلقت رمانة بنصفين، فقلت: هذا حرام، وهذا حلال، لشهدت أن الذي قلت حلال حلال، وأن الذي قلت حرام حرام، فقال: «رحمك الله، رحمك الله»^(١).

وحيث إن الطاعة تعني العبادة، إذن علينا تفصيل الكلام في ذلك:

تبين أن الله تعالى حقوقاً كثيرة، ومن هذه الحقوق: الحق الأكبر، وهو: أن نعبده ولا نشرك به شيئاً، وهناك جزاء يحصل عليه العامل بهذا الحق ولكن بشرط وهو: الإخلاص - كما سيأتي إن شاء الله تعالى -، فإن تحقّق هذا الشرط كانت النتيجة كما يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «حقّ الله الأكبر عليك أن تعبده ولا تشرك به شيئاً، فإذا أنت فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة»^(٢).

وهذا ما وعد به القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج ٣٨]

فإذا كان حقّ الله ﷻ هو أنه نعبده، فكيف نعبده سبحانه؟

العبادة: عبارة عن إجراءات، أفعال، أقوال، يقوم بها الإنسان تجاه ربّه جلّ وعلا.

وهل يحقّ للإنسان أن يخترع منهاجاً خاصاً يتعبد به الله ﷻ؟

الجواب في ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «... قال الله تبارك وتعالى

للملائكة: اسجدوا لآدم، فسجدوا له، فأخرج إبليس ما كان في قلبه من الحسد، فأبى

أن يسجد، فقال الله ﷻ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي

(١) اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي (ج ٢ / ص ٥١٨ و ٥١٩ / ح ٤٦٢).

(٢) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٦١٨ - ٦١٩ باب الحقوق ح ٣٢١٤.

مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿[الأعراف: ١٢]﴾، قال الصادق عليه السلام: «فأول من قاس إبليس واستكبر، والاستكبار هو أول معصية عصي الله بها»، قال: «فقال إبليس: يا رب، اعفني من السجود لآدم عليه السلام وأنا أعبدك عبادة لم يعبدكها ملك مقرب ولا نبي مرسل، فقال الله: لا حاجة لي إلى عبادتك، إنما أريد أن أعبد من حيث أريد لا من حيث تريد، فأبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾. [الحجر: ٣٤ و ٣٥].^(١)

فطاعة الله ﷻ وعبادته لا تصح إلا كما يريد هو جلّ وعلا، لا كما نحن نريد.

من هنا نفتح على ضرورة الوساطة بيننا وبين الله تعالى، لينقل لنا ما يريده الله تبارك وتعالى، ونحن بدورنا نكون على اطمئنان ويقين تام بصدق تلك الوساطة، وهو النبي المرسل، والإمام المجعول من الله تعالى، فحيث إنها معصومان، فسيكون أخذنا منهم محطاً للاطمئنان التام.

وما يبلغونه لنا هو ما يسمى بالشرعية، والمنهاج الذي يجب أن نعبد الله تعالى من خلاله، وهو ما يُعرف بالدين، الذي هو عبارة عن منظومة متكاملة تحوي داخلها ثلاثة أركان رئيسية، وهي بدورها تغطي جميع مجالات الحياة التي يحتاجها الإنسان، سواءً الدنيوية أو الأخروية.

أركان الدين:

١- أصول الدين: وهي الاعتقادات التي لا غنى للمؤمن عنها، ولا يمكن أن يُتنازل عنها، وهي: التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة، المعاد.

٢- فروع الدين: الصلاة، الصوم، الحجّ، الزكاة... أو قل: هي المسائل الفقهية

(١) تفسير القمّي ١: ٤١ و ٤٢.

الموجودة في الرسالة العملية للفقهاء، والتي هي عبارة عن روايات أهل البيت عليهم السلام صيغت بطريقة فنية من قبل المجتهد، باعتبار أن أحاديث أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) فيها من البلاغة والعلوم الكثيرة، ما يصعب على العامة استخراج الأحكام الشرعية منها، فهي بحاجة لطي مراحل علمية كثيرة للتمكن من استخراج الأحكام الشرعية منها، ومن هنا نشأت الحوزة العلمية، وأخذ علماءها وأفذاها على عاتقهم استخراج الأحكام الشرعية من القرآن الكريم وروايات أهل بيت العصمة (صلوات الله عليهم)، وصياغة ذلك بالطريقة المعروفة اليوم.

٣- الآداب: أي الأخلاق، وآداب العشرة في تعامل الإنسان مع باقي المخلوقات، والمستمدة من القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام.

والنتيجة مما تقدم:

أنه ينبغي أن نعلم أولادنا التالي:

١- أن عبادة الله تعالى تكون من حيث هو يريد، لا من حيث نحن نريد.

٢- أن عبادته جل وعلا تكون من خلال الدين بأركانه الثلاثة: الأصول، الفروع،

الأخلاق.

٣- أن الدين عبارة عن منهج مقدس من الله تعالى، ولكي يصل هذا المنهج السماوي لنا لا بد لنا من منظومة تكون هي حلقة الوصل بين الله تعالى وبين البشر، وهي منظومة ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد ٧] فصار هناك واسطة متمثلة بالنبي صلى الله عليه وآله بيننا وبين السماء، يبلغنا أحكام الدين ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة ٢].

والملاحظ: أن وجود النبي محدّدٌ بمقطع زمني ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾، فإذا ما انقضى فإن خطّه لا ينقطع، وإنما يستمر بواسطة الهادي: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، ومن هنا يبدأ دور الإمامة، فالأئمة (سلام الله عليهم) حفظة الدين والمبلغون بعد النبي ﷺ، فإذا كان أحد أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) ظاهرًا، فلا ريب في لزوم أن نأخذ الحكم الشرعي مباشرة منه، أو ممن يُنصّبهم هو بالمباشرة.

وقد يسأل سائل: إذا غاب الإمام من أين آخذ ديني؟

والجواب: نأخذ ديننا ممن أمرنا المعصوم ﷺ أن نأخذ منه، وهذا ما ورد على لسان الإمام المهدي ﷺ في توقيعه الشريف: «وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رِوَاةِ حَدِيثِنَا، فَإِنَّهُمْ حَجَّتِي عَلَيْكُمْ وَأَنَا حَجَّةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ»^(١).

وعن الإمام العسكري ﷺ قال: «فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ صَائِنًا لِنَفْسِهِ، حَافِظًا لِدِينِهِ، مُخَالَفًا عَلَىٰ هَوَاهُ، مَطِيعًا لِأَمْرِ مَوْلَاهُ، فَلِلْعَوَامِّ أَنْ يُقَلِّدُوهُ...»^(٢).

وعن الإمام الهادي ﷺ، فقد ورد أنه قال ﷺ: «لَوْ لَا مِنْ يَبْقَىٰ بَعْدَ غَيْبَةِ قَائِمِكُمْ ﷺ مِنْ الْعُلَمَاءِ الدَّاعِينَ إِلَيْهِ، وَالذَّالِّينَ عَلَيْهِ، وَالذَّالِّينَ عَنْ دِينِهِ بِحُجْجِ اللَّهِ، وَالْمُنْقِذِينَ لَضَعْفَاءِ عِبَادِ اللَّهِ مِنْ شِبَاكِ إِبْلِيسَ وَمَرْدَتِهِ، وَمَنْ فَخَاخَ النُّوَاصِبِ، لَمَا بَقِيَ أَحَدٌ إِلَّا ارْتَدَّ عَنْ دِينِ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ أَرْزَمَةَ قُلُوبِ ضَعْفَاءِ الشَّيْعَةِ كَمَا يُمَسِّكُ صَاحِبُ السَّفِينَةِ سَكَّانَهَا، أَوْلَئِكَ هُمُ الْأَفْضَلُونَ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ»^(٣).

علمًا أن هناك من يغالط نفسه ولا يقبل بالرجوع إلى المجتهد، بحجة أن الرواية لم تقل: ارجعوا للمجتهدين! وهو من الأعذار الواهية، الغاية منها إبعاد الناس عن

(١) كمال الدين للصدوق: ٤٨٤ / باب ٤٥ / ح ٤.

(٢) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٢٦٣.

(٣) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٢٦٠.

علمائهم!

سمّوه بأي عنوان شئتم: فقيه، مجتهد أو راوي حديث، بالنتيجة يجب أن نرجع لشخص متخصص نأخذ منه الأحكام الشرعية التي يصعب - إن لم نقل: إنه يتعذر- على عامة الناس معرفتها.

إذن، خط النبوة يستمر بالإمامة، وخط الإمامة يستمر بالفقهاء.

وبعد هذا، علينا أن ننقّط الخطوات العملية لطاعة الله تعالى؛ كي نحصل على الثمرة التي أخبرنا بها الإمام زين العابدين عليه السلام: «جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة».

ويتمّ هذا الأمر من خلال عدة خطوات:

الخطوة الأولى: المعرفة.

خطوة تأسيسية، وهي ضرورية لا يمكن للإنسان الاستغناء عنها، فلا بد قبل العمل أن تسبقه معرفة، معرفة بأصول الدين والأحكام الفقهية الابتلائية كالصلاة والطهارة... وغيرها من المسائل الواجب على الإنسان أن يتعلمها ليضمن صحة أعماله على الأقل، كما توجد في الدين قضايا مفصلية وهي من الأهمية بمكان بحيث إن الجهل بها يؤدي بالإنسان إلى مهاوي سحيقة من التيه والضلال، كالقضية المهدوية.

هذه الخطوة تقتضي منا أن نبذل جهداً ووقتاً لتحصيل المعرفة لأنفسنا أولاً، ثم نقلها ببيان واضح وسهل لأولادنا، فكما علينا أن نشبع بطونهم، علينا أن نغذي عقولهم، قبل أن يسبقنا غيرنا لهم.

لذلك كان الإمام الصادق عليه السلام يقول: «بادروا أولادكم بالحديث قبل أن يسبقكم

إليهم المرجئة»^(١).

وهو الأمر الذي أشار له أمير المؤمنين عليه السلام بقوله لولده الإمام الحسن عليه السلام: «... أي بُنَيَّ، إِي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنًّا، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهَنَا، بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأُورَدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أَفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، أَوْ أَنْ أَتَقَصَّ فِي رَأْيِي كَمَا نَقِصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقُنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَىٰ وَفِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ. وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدِيثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلَتْهُ. فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَفْسُوَ قَلْبُكَ وَيَسْتَعْلِلَ لُبُّكَ لِتَسْتَقْبَلَ بِحِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفَيْتَ مَثُونَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِيَتْ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ، فَآتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَاسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ...»^(٢).

الخطوة الثانية: تطبيق المعرفة.

كثيراً ما نسمع الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله القائل: «رب تال للقرآن والقرآن يلعنه»^(٣) وقد فسّر بأن ذلك هو من يقرأ القرآن ولا يعمل به، واللعن هو الإبعاد عن رحمة الله صلى الله عليه وآله الناشئ من عدم العمل بعد العلم.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «الْعِلْمُ مَقْرُونٌ إِلَى الْعَمَلِ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا، وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا، وَالْعِلْمُ يَهْتَفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ.»^(٤)

فلا تكفي المعرفة فقط كي يكون الإنسان مطيعاً لله صلى الله عليه وآله، بل لا بد أن يعتمد إلى تطبيق ما تعلمه، وإلا فيصعب من مصاديق العالم غير العامل، والروايات تحذرننا من ذلك

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦ / ص ٤٧ / باب تأديب الولد/ ح ٥).

(٢) نهج البلاغة (ج ٣ / ص ٤٠ و ٤١).

(٣) بحار الأنوار ج ٨٩ ص ١٨٤.

(٤) الكافي للكليني ج ١ ص ٤٤ باب استعمال العلم ح ٢.

كثيراً، حتى إنَّ أهل جهنم يتأذون من نتن ريح العالم غير العامل.

فَعَنْ سُلَيْمِ بْنِ قَيْسِ الْهَلَالِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ فِي كَلَامٍ لَهُ: الْعُلَمَاءُ رَجُلَانِ: رَجُلٌ عَالِمٌ آخِذٌ بِعِلْمِهِ فَهَذَا نَاجٍ، وَعَالِمٌ تَارِكٌ لِعِلْمِهِ فَهَذَا هَالِكٌ، وَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَتَأَذُونَ مِنْ رِيحِ الْعَالِمِ التَّارِكِ لِعِلْمِهِ، وَإِنَّ أَشَدَّ أَهْلِ النَّارِ نَدَامَةً وَحَسْرَةً: رَجُلٌ دَعَا عَبْدًا إِلَى اللَّهِ فَاسْتَجَابَ لَهُ، وَقَبِلَ مِنْهُ فَأَطَاعَ اللَّهَ فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَأَدْخَلَ الدَّاعِيَ النَّارَ بِتَرْكِهِ عِلْمَهُ وَاتِّبَاعِهِ الْهُوَى وَطُولِ الْأَمَلِ، أَمَّا اتِّبَاعُ الْهُوَى فَيُصَدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَطُولُ الْأَمَلِ يُنْسِي الْأَخِرَةَ. ^(١)

ولا يختص هذا التحذير بالعلماء، وإنما كلٌّ من كانت له معرفة بواجب أو بمحرم وخالف ما علم، فسيكون عالماً غير عامل، وتصريح الروايات بنهج: «صوم النفس إمساك الحواس الخمس عن سائر المآثم وخلو القلب عن أسباب الشر» ^(٢) هي دعوة لنا لتطبيق ما نعلم.

ومرة أخرى، علينا الزام خطوات عملية منهجية مع أولادنا لنعلمهم الالتزام بتطبيق المعرفة الدينية، وهو ما يقتضي:

- ١- الالتزام العملي بمفردات الدين أمامهم، وعدم التهاون فيها أبداً.
- ٢- دفعهم إلى التطبيق بمختلف الوسائل، بدءاً من تقديم هدية تقديرية عند الالتزام، وانتهاءً بما روي عنه صلى الله عليه وآله: «مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا، واضربوهم عليها إذا بلغوا تسعاً...» ^(٣).

مع الالتفات إلى أن المقصود من الضرب هو التربوي منه، وهو ما لا ينتهي إلى

(١) الكافي للكليني ج ١ ص ٤٤ باب اشتغال العلم ح ١.

(٢) عيون الحكم والمواعظ ص ٣٠٥.

(٣) عوالي اللئالي لابن أبي جمهور الأحسائي (ج ١ / ص ٢٥٢ و ٢٥٣ / الفصل العاشر / ح ٨):

نتائج عكسية، وبما لا يصل إلى حد الدية الشرعية.

٣- الإكثار من الدعاء للأولاد، بأن يكونوا كما يُحِبُّ اللهُ تبارك وتعالى، ولنردد دوماً: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان ٧٤]

الخطوة الثالثة: التطبيق الكامل.

من الواضح أنه لا يصح لنا أن نطبق من الدين ما يتوافق مع أهوائنا ومصالحنا ونترك الباقي، ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة ٨٥]

البعض يطبق الدين على حرف، فيما كان يتلاءم مع عاداته وتقاليده أو مصالحه جاء به، وما خالفها تركه، ولا شك في انحراف ذلك عن جادة الصواب، والصحيح هو أن يكون التطبيق للدين شاملاً لجميع مفردات الحياة، فيجب أن يقدم الدين على التقاليد والأعراف، فإن النفس أعز، وأن تقاليد العشيرة لا تنفع فيما إذا تعارضت مع الدين ﴿يَوْمَذُ الْمَجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ. وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ. وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ [المعارج ١١-١٤]

وهذا المعنى هو ما يجب أن يرانا أولادنا عليه، وهو ما يلزمنا أن ندفعهم إليه، فعلينا أن نوحى إليهم بأهمية الدين، بل نصرح لهم بذلك، ولنذكرهم أن الحياة الحقيقية هي ما تكون في رضا الله تبارك وتعالى.

الخطوة الرابعة: التفرقة بين الدين والمتدين.

علينا أن نفرق بين الدين والمتدين، الدين هو تلك النظريات التي جاء بها الرسول

الكريم ﷺ من عند الله ﷻ، وحفظها الأئمة عليهم السلام من الانحراف، وأوصلها إلينا العلماء، ومن يطبق تلك النظريات يسمى: متديناً.

فإذا صدر منه خلل ما، فالخطأ يُنسب إليه لا إلى الدين.

هناك من يترك الدين بسبب تصرف خاطئ ممن يدّعي أنه يمثله، وهي مغالطة كبيرة جداً، فالدين لا يتحمل أخطاء من يطبقونه بصورة خاطئة، ونحن علينا أن نلتزم بالدين الذي جاء من عند الله جلّ وعلا.

مرة أخرى علينا أن نجلس مع أولادنا لنوضح لهم هذه الحقيقة، إذ إن الواقع يشهد أن هناك من تأثر سلباً عندما رأى شخصاً يدّعي التدين، ولكنه يخالف ذلك في عمله، وهو ما كان وراء الثورة ضد الكنيسة في أوروبا، حيث كان أرباب الكنائس يُظهرون التدين، ولكنهم يعملون عمل غير المتدين، كانوا يأمرّون الناس بالزهد، وهم أرغب ما يكونون في الدنيا.

وقريب من هذا المعنى يقع عند بعض المسلمين.

فالمطلوب منا إذاً أن نوضح الواقع لأولادنا، وأن خطأ الشخص يُنسب إليه لا إلى الدين، وأن ندفعهم إلى فهم الدين بصورة صحيحة، والعمل على متابعة نظرياته الثابتة بالدليل المعتمد، أما مخالفة البعض لها رغم لجلجة لسانه بها، فهذا لا يؤثر على أصل الدين.

وهذه مسألة مهمة جداً، لا بد من ترسيخها في نفوس أولادنا، خصوصاً وهم في مقتبل أعمارهم وبدايات مشوارهم...

الخطوة الخامسة: حماية الدين.

الدين يحتاج إلى حماية، فإن الدين لا يخلو من الشبهات، وكما أن الأنبياء والمرسلين

السابقين قوبلوا من أقوامهم بالرفض والمحاربة والأذى، كذلك الرسول الكريم (صلوات الله عليه وآله): «ما أُوذي نبيُّ مثل ما أُوذيت»^(١).

طريق الأنبياء والأئمة والعلماء هو طريق ذات الشوكة، ومسؤولية الحفاظ على الدين وحمايته من الشبهه هي مسؤولية الجميع، فعن رسول الله ﷺ: «من أصبح لا يهتمُّ بأُمورِ المسلمينَ فليسَ بِمُسلمٍ»^(٢) فلم تخصص هذه الرواية الاهتمام بأُمور المسلمين بالعلماء فقط، وإنما شملت جميع المسلمين.

وهذا الأمر كما هو لازم علينا اليوم، كذلك هو لازم على أولادنا غداً، وهذا يعني: أن علينا أن نُعدَّ أولادنا لهذه المهمة، وأن ندفعهم نحو تحمُّل مسؤولية من مسؤوليات الحفاظ على الدين، ولو بالتخطيط لتكوين أسرة متدينة، أو دفعهم نحو التعرف على الدين ودراسته بصورة جيدة حتى يكونوا مهئين لردِّ الشبهات عنه في وقت تقع فيه المواجهة المتوقعة.

ومما يدفعهم نحو ذلك، هو تذكيرهم بقصص الشباب الذين نذروا أنفسهم للدفاع عن الدين، من ذلك ما تنقله لنا الروايات عن ذلك الشاب الذي كان يفضِّله الإمام

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ٤٢.

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢ / ص ١٦٣ / باب الاهتمام بأُمور المسلمين والنصيحة لهم ونفعهم / ح ١)؛ ونقله العلامة المجلسي في بحار الأنوار (ج ٧١ / ص ٣٣٧)، وفيه: (بيان: «من أصبح» أي دخل في الصباح «لا يهتمُّ بأُمور المسلمين» أي لا يعزم على القيام بها، ولا يقوم بها مع القدرة عليه. في الصحاح: أهتني الأمر إذا أفلقتك وحزنك، والمهمُّ الأمر الشديد، والاهتمام الاغتنام، واهتمَّ له بأمره. وفي المصباح: اهتَمَّ الرجل بالأمر قام به. «فليس بمسلم» أي كامل الإسلام، ولا يستحقُّ هذا الاسم. وإن كان المراد عدم الاهتمام بشيء من أمورهم لا يبعد سلب الاسم حقيقةً، لأنَّ من جملتها إعانة الإمام ونصرته ومتابعته، وإعلان الدِّين وعدم إعانة الكفَّار على المسلمين. وعلى التقادير المراد بالأُمور أعمُّ من الأُمور الدنيوية والأخروية. ولو لم يقدر على بعضها فالعزم التقديري عليه حسنة يُثاب عليها...).

الصادق (صلوات الله عليه) على الكثير من كبار السن من أصحابه، على الرغم من صغر سنّه، وهو هشام بن الحكم، وقصته المعروفة في محاجة عمرو بن عبيد المعتزلي في البصرة، فلقد كان مسدداً من قبل الله تعالى؛ لأن قلبه كان يحترق لأجل الدين.

روي عن يونس بن يعقوب قال:

كَانَ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْهُمْ حُمْرَانُ بْنُ أَعْيَنَ وَ مُحَمَّدُ بْنُ النَّعْمَانِ وَ هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ وَ الطَّيَّارُ وَ جَمَاعَةٌ فِيهِمْ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ وَ هُوَ شَابٌّ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: يَا هِشَامُ، أَلَا تُخْبِرُنِي كَيْفَ صَنَعْتَ بِعَمْرٍو وَ بِنِ عُبَيْدٍ وَ كَيْفَ سَأَلْتَهُ؟ فَقَالَ: هِشَامُ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّي أَجِلُّكَ وَ أَسْتَحِيكَ وَ لَا يَعْمَلُ لِسَانِي بَيْنَ يَدَيْكَ. ^(١)

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَافْعَلُوا. ^(٢)

قَالَ هِشَامُ: بَلَّغَنِي مَا كَانَ فِيهِ عَمْرٍو وَ بِنِ عُبَيْدٍ وَ جُلُوسُهُ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ، فَعَظَمَ ذَلِكَ عَلَيَّ. ^(٣)

فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ وَ دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَتَيْتُ مَسْجِدَ الْبَصْرَةِ، فَإِذَا أَنَا بِحَلَقَةٍ كَبِيرَةٍ فِيهَا عَمْرٍو وَ بِنِ عُبَيْدٍ، وَعَلَيْهِ شِمْلَةٌ سَوْدَاءٌ مُتَّزِرًا بِهَا مِنْ صُوفٍ، وَ شِمْلَةٌ مُرْتَدِيًا بِهَا، وَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ، فَاسْتَفْرَجْتُ النَّاسَ فَأَفْرَجُوا لِي، ثُمَّ قَعَدْتُ فِي آخِرِ الْقَوْمِ ^(٤) عَلَى رُكْبَتَيَّ، ثُمَّ قُلْتُ:

أَيُّهَا الْعَالَمُ إِنَّي رَجُلٌ غَرِيبٌ تَأْذَنُ لِي فِي مَسْأَلَةٍ؟

(١) وهذا أدب من هشام بين يدي الإمام المعصوم ﷺ.

(٢) إذ الطاعة أولى من الأدب كما يقال.

(٣) وهو أمر لا بد أن يكون هم كل داعٍ ومؤمن، إذ إن الاهتمام بأمور المسلمين مما ندب إليه الدين ودعا إليه.

(٤) ولعله من باب الأدب؛ لأن عمر هشام كان صغيراً، ولعله من باب إرادة أن يسمع الجميع حوارهما.

فَقَالَ لِي: نَعَمْ. فَقُلْتُ: لَهُ أَلَك عَيْنٌ؟! فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، أَيُّ شَيْءٍ هَذَا مِنَ السُّؤَالِ! وَشَيْءٌ تَرَاهُ كَيْفَ تَسْأَلُ عَنْهُ؟! فَقُلْتُ: هَكَذَا مَسْأَلَتِي. فَقَالَ: يَا بُنَيَّ سَلْ وَإِنْ كَانَتْ مَسْأَلَتُكَ حَقًّا! قُلْتُ: أَجِنِّي فِيهَا. قَالَ لِي: سَلْ. قُلْتُ: أَلَك عَيْنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَمَا تَصْنَعُ بِهَا؟ قَالَ: أَرَى بِهَا الْأَلْوَانَ وَالْأَشْخَاصَ.

قُلْتُ: فَلَكِ أَنْفٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَمَا تَصْنَعُ بِهَا؟ قَالَ أَشْمُ بِهِ الرَّائِحَةَ.

قُلْتُ: أَلَكِ فَمٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَمَا تَصْنَعُ بِهَا؟ قَالَ: أَذُوقُ بِهِ الطَّعْمَ.

قُلْتُ: فَلَكِ أُذُنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَمَا تَصْنَعُ بِهَا؟ قَالَ: أَسْمَعُ بِهَا الصَّوْتَ.

قُلْتُ: أَلَكِ قَلْبٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَمَا تَصْنَعُ بِهَا؟ قَالَ: أُمَيِّزُ بِهِ كُلَّ مَا وَرَدَ عَلَيَّ هَذِهِ

الْجَوَارِحَ وَالْحَوَاسَّ.

قُلْتُ: أَوْلَيْسَ فِي هَذِهِ الْجَوَارِحِ غِيٌّ عَنِ الْقَلْبِ؟ فَقَالَ: لَا. قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ وَهِيَ صَحِيحَةٌ سَلِيمَةٌ؟ قَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنَّ الْجَوَارِحَ إِذَا شَكَّتْ فِي شَيْءٍ شَمَّتَتْهُ أَوْ رَأَتْهُ أَوْ ذَاقَتْهُ أَوْ سَمِعَتْهُ، رَدَّتْهُ إِلَى الْقَلْبِ فَيَسْتَيْقِنُ الْيَقِينَ وَيُبْطِلُ الشَّكَّ.^(١)

قَالَ هِشَامٌ: فَقُلْتُ لَهُ: فَإِنَّمَا أَقَامَ اللَّهُ الْقَلْبَ لِشَكِّ الْجَوَارِحِ؟! قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: لَا بُدَّ مِنَ الْقَلْبِ وَإِلَّا لَمْ تَسْتَيْقِنِ الْجَوَارِحُ؟!^(٢) قَالَ: نَعَمْ.

فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا مَرْوَانَ، فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَتْرُكْ جَوَارِحَكَ حَتَّى جَعَلَ لَهَا إِمَامًا يُصَحِّحُ لَهَا الصَّحِيحَ وَيَتَيَقَّنُ بِهِ مَا شَكَّ فِيهِ، وَيَتْرُكُ هَذَا الْخَلْقَ كُلَّهُمْ فِي حَيْرَتِهِمْ وَشَكِّهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ لَا يُقِيمُهُمْ إِمَامًا يَرُدُّونَ إِلَيْهِ شَكَّهُمْ وَحَيْرَتَهُمْ، وَيُقِيمُ لَكَ إِمَامًا لِجَوَارِحِكَ

(١) وفي هذا إشارة واضحة إلى أن أصحاب المنهج الحسبي لا يكفيهم الحس للوصول إلى اليقين من دون الرجوع إلى (القلب) أو العقل.

(٢) كرّر السؤال نفسه بعبارات مختلفة ليقرّه على ما أجاب به، حتى لا يتمكن من الهروب من لوائمه فيها بعد.

تَرُدُّ إِلَيْهِ حَيْرَتَكَ وَشُكَّكَ؟!!

قَالَ: فَسَكَتَ وَلَمْ يَقُلْ لِي شَيْئًا، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ لِي: أَنْتَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ؟ فَقُلْتُ: لَا. قَالَ: أَمِنْ جُلَسَائِهِ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَمَنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ. قَالَ: فَأَنْتَ إِذَا هُوَ! ثُمَّ صَمَّنِي إِلَيْهِ وَأَقْعَدَنِي فِي مَجْلِسِهِ وَزَالَ عَن مَجْلِسِهِ! وَمَا نَطَقَ حَتَّى قُمْتُ. قَالَ: فَصَحَّكَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: يَا هِشَامُ مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا؟ قُلْتُ: شَيْءٌ أَخَذْتَهُ مِنَّا وَاللَّفْتَهُ. ^(١) فَقَالَ ﷺ: هَذَا وَاللَّهِ مَكْتُوبٌ فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى. ^(٢)

فعلى من يرى الخطأ أن يبادر لتصحيحه؛ لأن مضيي الزمان على ذلك الخطأ يزيد من قوته، كالشوكة في الطريق يجب قلعها مباشرة كي لا تقوى.

إن تداعيات ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أقسى وأمر من متاعب التصدي لتصحيح الأخطاء، وكلما أسرعنا لمحاربة الخطأ، كلما ضمنا حماية المجتمع من فتن لا تختص بالمقصرين، بل تتعدى للملتزمين بالدين، قال تعالى ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال ٢٥]

روي عن رسول الله ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البرِّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزِعَتْ منهم البركات، وسُلِّطَ بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء» ^(٣).

وعنه ﷺ: «ولقد أوحى الله فيما مضى قبلكم إلى جبرئيل، وأمره أن يخسف ببلد

(١) وفي هذا إشارة إلى تواضع هشام وأدبه في حضرة الإمام ﷺ، فلم ينسب هذه المناظرة لنفسه، وفيه إشارة أيضاً إلى جواز الاجتهاد والاستنباط، إذ هشام أخبر الإمام ﷺ بأنه آلف هذا المعنى مما سمعه منه، والإمام أقره عليه.

(٢) الكافي للكليني ج ١ ص ١٦٩ - ١٧١ باب الاضطراب الى الحججة ح ٣.

(٣) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي (ج ٦ / ص ١٨١ / باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر / ح ٢٢ / ٣٧٣).

يشتمل على الكفّار والفيجّار! فقال جبرئيل: يا ربّ، أخسف بهم إلا بفلان الزاهد؟ ليعرف ماذا يأمر الله به. فقال الله تعالى: بل اخسف بفلان قبلهم، فسأل ربّه، فقال: يا ربّ، عرّفني لِمَ ذلك وهو زاهد عابد؟ قال: مكّنت له وأقدرته، فهو لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر، وكان يتوفّر على حبّهم في غضبي لهم»، فقالوا: يا رسول الله، وكيف بنا ونحن لا نقدر على إنكار ما نشاهده من منكر؟ فقال رسول الله ﷺ: «لتأمرنّ بالمعروف ولتنهّنّ عن المنكر، أو ليعمّنكم عقاب الله»، ثمّ قال: «من رأى منكم منكراً فليُنكره بيده إن استطاع، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، فحسبه أن يعلم الله من قلبه أنّه لذلك كاره»^(١).

(١) التفسير المنسوب للإمام العسكري (ص) ٤٨٠ / في ذمّ ترك الأمر بالمعروف / ح (٣٠٧).

المفردة الرابعة: الإخلاص

كما نأخذ منهاج العبادة من الله ﷻ، كذلك الشروط للعبادة - إن وُجِدَتْ - يتحتم علينا أخذها منه سبحانه، وأمّا القنوات التي من خلالها نتعرف على تلك الأمور فهم الرسول الكريم ﷺ والأئمة الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين) كما تبين، فمن خلالهم نعرف العبادة وشروطها، وللعبادة شرط إذا أتينا به قبل العمل وقُبلت تلك العبادة، وإلا فإنه سيُرد العمل، وذلك الشرط هو الإخلاص.

ما معنى الإخلاص؟

بعد الرجوع للروايات الشريفة نجد معنيين للإخلاص:

الأول: أن يؤتى بالعمل بنية القربة لله ﷻ لا يشرك معه شيئاً، فيلزم تنزيه العمل عن الرياء الذي يطلق عليه أيضاً الشرك الخفي أو الشرك الأصغر، وهو مبطل للعمل؛ لأنّه يُجَلِّ بالِإِخْلَاصِ.

قد يقف اثنان من المصلين، هيئة صلاتهم متشابهة، ولا اختلاف فيها ظاهراً، ولكن بالنظر إلى باطن العمل قد ترتفع واحدة إلى الله تعالى ويكون مصير الأخرى في سجين، وما ذلك إلا بفعل تأثير النية.

إن الإخلاص قوة معنوية غير مرئية، تبث في صاحبها طاقة عجيبة لإتيان الكثير من الأعمال التي تحتاج إلى قوة، ويكون توجهه وتعامله مع الله (عز وجل) مباشرةً.

لقد تصدق أهل البيت ﷺ بعدة أقراص شعير فنزلت فيهم سورة كاملة، وكذلك

تصدق أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) بخاتمه فنزلت فيه آية التصديق بالخاتم أثناء الركوع، ولكن غيره تصدَّق بأضعاف ذلك ولم تنزل به آية واحدة؛ لأنه لم يُرد بذلك وجه الله تعالى!

يُنقل قديماً - في بني إسرائيل - كان عابد يعبد الله دهرًا طويلاً، فجاءه قوم، فقالوا: إنَّ هاهنا قوماً يعبدون شجرة من دون الله تعالى، فغضب لذلك وأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها، فاستقبله إبليس في صورة شيخ، فقال: أين تريد رحمك الله؟ قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة، قال: وما أنت وذاك؟ تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرَّغت لغير ذلك، فقال: إنَّ هذا من عبادتي، قال: فإني لا أترك أن تقطعها، فقاتله فأخذه العابد فطرحه إلى الأرض وقعد على صدره! فقال له إبليس: أطلقني حتى أُكَلِّمك، فقام عنه، فقال له إبليس: يا هذا، إنَّ الله تعالى قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك، وما تعبدها أنت، وما عليك من غيرك، والله تعالى أنبياء في أقاليم الأرض ولو شاء لبعثهم إلى أهلها وأمرهم بقطعها، فقال العابد: لا بدَّ لي من قطعها، فنازله للقتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره! فعجز إبليس، فقال له: هل لك في أمر فصل بيني وبينك، وهو خير لك وأنفع؟ قال: وما هو؟ قال: أطلقني حتى أقول لك، فأطلقه، فقال إبليس: أنت رجل فقير، لا شيء لك، إنَّما أنت كلُّ على الناس يعولونك، ولعلَّك تُحِبُّ أن تتفضَّل على إخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستغني عن الناس!

قال: نعم.

قال: فارجع عن هذا الأمر ولك عليَّ أن أجعل عند رأسك في كلِّ ليلة دينارين، إذا أصبحت أخذتها فأنفقت على نفسك وعيالك وتصدَّقت على إخوانك، فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يُغرس مكانها ولا يضرُّهم قطعها شيئاً، ولا ينفع إخوانك المؤمنين قطعك إيَّها!

فتفكر العابد فيما قال وقال: صدق الشيخ، لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة، ولا أمرني الله أن أقطعها فأكون عاصياً بتركها، وما ذكره أكثر منفعةً، فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له، فرجع العابد إلى متعبده، فبات، فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه فأخذهما وكذلك لغد، ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئاً فغضب وأخذ فأسه على عاتقه فاستقبله إبليس في صورة شيخ، فقال له: إلى أين؟ قال: أقطع تلك الشجرة، فقال: كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك، ولا سبيل لك إليها، قال: فتناوله العابد ليفعل به كما فعل أول مرة، فقال: هيهات، فأخذه إبليس وصرعه، فإذا هو كالعصفور بين رجله، وقعد إبليس على صدره وقال: لتنتهين عن هذا الأمر أو لأذبحنك، فنظر العابد فإذا لا طاقة له به، قال: يا هذا غلبتني فخل عني، وأخبرني كيف غلبتك أولاً وغلبتني الآن؟

فقال: لأنك غضبت أول مرة لله، وكانت نيتك الآخرة، فسخرني الله لك، وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك^(١).

الكثير من الطاعات بحاجة لقوة في ممارستها، فالتصدق في سبيل الله ﷻ وصلاة الفجر وصلة الأرحام وغيرها الكثير من الطاعات ما لم تتوفر على النية الخالصة لله ﷻ، فإنه لن يتمكن الإنسان من إتيانها أو الثبات عليها. هذا هو المعنى الأول للإخلاص.

الثاني: عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هل للجنة من ثمن؟ قال: نعم. قال: ما ثمنها؟ قال: «لا إله إلا الله» يقوها العبد الصالح مخلصاً بها. قال: وما إخلاصها؟ قال: العمل بما بعثت به في حقه، وحب

(١) معجم المحاسن والمساوي لأبي طالب التجليل التبريزي (ص ٤٩٤ - ٤٩٦).

وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا [المائدة ٣]

إن هذا يعني بكل وضوح أن الإسلام بلا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام غير مرضي لله تعالى.
ومن هذا يتضح أيضًا: أن الإخلاص في العبادة -الذي هو أهم شرط لقبولها- هي ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

في صحيحة أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد:
من شهد أن لا إله إلا الله فليدخل الجنة. قال: قلت: فعلى م تخاصم الناس إذا كان من
شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة؟! فقال: إنه إذا كان يوم القيامة نسوها. (١)

وفي صحيحته الثانية عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا أبان، إذا قدمت الكوفة فارو هذا
الحديث: مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ. قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ يَأْتِينِي مِنْ
كُلِّ صَنْفٍ مِنَ الْأَصْنَافِ، أَفَأُرْوِي هَذَا الْحَدِيثَ؟! قَالَ: نَعَمْ يَا أَبَانُ، إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ
الْقِيَامَةِ وَجَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فَتَسَلَّبَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) مِنْهُمْ، إِلَّا مَنْ كَانَ عَلَى هَذَا
الْأَمْرِ. (٢)

فكلمة الإخلاص التي بها يدخل العبد الجنة، شرطها ولاية الإمام علي بن أبي
طالب عليه السلام.

في حديث السلسلة الذهبية، روي عن إسحاق بن راهويه قال: لما وافى أبو الحسن
الرضا عليه السلام نيسابور، فأراد أن يرحل منها إلى المأمون، اجتمع إليه أصحاب الحديث
فقالوا له: يا بن رسول الله، ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث نستفيد منه؟ وكان قد قعد
في العمارة فاطلع رأسه وقال: سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن
محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت

(١) المحاسن للبرقي ج ١ ص ١٨١ باب ٤٢ ح ١٧٣.

(٢) الكافي للكليني ج ٢ ص ٥٢١ باب مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا ح ١.

أبي الحسين بن علي يقول: سمعت أبي علي بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سمعت جبرئيل يقول: سمعت الله ﷻ يقول: لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي، فلما مرت الراحلة نادى: بشروطها وأنا من شروطها.^(١)

إذاً، شرط قبول الدين وعلامة إخلاصه أيضاً هي: ولاية أمير المؤمنين وأبنائه المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين).

وهذا ما يلزمنا أن نربي عليه اولادنا، وأن نعمّقه في نفوسهم، من خلال:

- ١- إبراز احترام أسماء المعصومين عليهم السلام، كما تقدمت الإشارة إليه في المفردة الثانية.
- ٢- دفعهم نحو مطالعة حياتهم عليهم السلام، لأن فيها الكثير من العبر النافعة في مختلف مجالات الحياة، مع مراعاة المستوى العقلي للأولاد في مطالعتهم تلك.
- ٣- زيارة مراقدهم عليهم السلام وما يتعلق بهم من آثار حسب القدرة، وإظهار الاحترام الكامل عندها، ليتعلم الأولاد احترام ما يُنسب إلى الدين عموماً، وإلى أهل البيت عليهم السلام خصوصاً.
- ٤- إقامة الندوات والجلسات الخاصة بذكرهم عليهم السلام، وإحضار الأولاد فيها حسب القدرة، وبأسلوب تربوي.

(١) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص ٧.

المفردة الخامسة : معرفة الإمام

قال النبي الأعظم ﷺ: «من مات وليس له إمام فميتته جاهلية»^(١).

تبين أن عبادتنا لله ﷻ لا تكون إلا من خلال الشريعة المقدسة التي شرعها الله ﷻ والتي وصلت إلينا عن طريق الدين الذي بلغه لنا الرسول الكريم ﷺ.

والسؤال: بعد رجوع الرسول الأعظم ﷺ إلى الرفيق الأعلى، من الذي يكمل

مسيرته؟

طيلة ٢٣ عامًا وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي قام بها الرسول الأعظم ﷺ وجهاده لتبليغ الرسالة، إلا إن الهدف من الرسالة والمتمثل بامتلاء الأرض قسطاً وعدلاً لم يتحقق، ولم يكن ذلك لخلل في شخص الرسول الأكرم ﷺ وحاشاه، وإنما الذي حل دون ذلك:

أ: عدم ملائمة الظروف المحيطة آنذاك.

(١) هذا الحديث متفق عليه ومتواتر، وإن اختلفت بعض ألفاظه، ولكن المعنى في الجميع واحد، ومن ألفاظه ما روي في كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص ٤٠٩ عن محمد بن عثمان العمري -قدس الله روحه- يقول: سمعت أبي يقول: سئل أبو محمد الحسن بن علي ﷺ وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه ﷺ: «أن الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه إلى يوم القيامة وأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

فقال ﷺ: «إن هذا حق كما أن النهار حق»، فقيل له: يا ابن رسول الله فمن الحجة والامام بعدك؟ فقال «ابني محمد، هو الامام والحجة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية. أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقتون، ثم يخرج فكأني أنظر إلى الاعلام البيض تحفق فوق رأسه بنجف الكوفة».

ب: تدني استعداد المجتمع الإسلامي آنذاك لتحمل أعباء الرسالة وإقامة دولة العدل.

إن إرادة الله ﷻ لهذا الدين كانت على أن يظهر على الدين كله، والرسول الكريم ﷺ أدّى ما عليه بأكمل وجه، وقد روي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع فقال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، وَاللَّهِ مَا مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا وَقَدْ مَهَيْتُكُمْ عَنْهُ...»^(١).

فلما قام بتبليغ الرسالة، جاء القرآن ليخاطبه: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾

[الرعد ٧]

وهذا مفهوم جديد متعلق بالدين، وهو مفهوم: الهادي، أو الإمام، أو الوصي، أو الخليفة، مصطلحات عديدة لمعنى واحد بمعنى: الذي يأتي بعد النبي ﷺ، يخلفه في قومه ويقوم بجميع وظائفه ماعدا النبوة، وهو ما يُشير له الحديث النبوي الشريف والمتواتر عند جميع المسلمين: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، أو من مات وليس له إمام فميتته جاهلية.

هذا المفهوم كان واضحاً لدى جميع المسلمين والصحابة، يُنقل أن عبد الله بن عمر ابن الخطاب لم يبايع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولما وصل الدور إلى عبد الملك بن مروان وعامله الحجاج بن يوسف الثقفي، ذهب إلى الحجاج ليبايعه، إذ روي إنه لما دخل الحجاج مكة وصلب ابن الزبير راح عبد الله بن عمر إليه وقال: مُدِّدِكَ لِأَبَايَعِكَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ، قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»، فأخرج الحجاج رجله وقال: خذ رجلي فَإِنَّ يَدِي مَشْغُولَةٌ، فقال ابن عمر: أتستهزئ

(١) الكافي للكليني ٢: ٧٤ / باب الطاعة والتقوى / ح ٢.

مَنِّي؟ قال الحجاج: يا أحمق بني عدي ما بايعت مع عليٍّ وتقول اليوم: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، أو ما كان عليٌّ إمام زمانك؟ والله ما جئت إليَّ لقول النبي ﷺ، بل جئت مخافة تلك الشجرة التي صُلبَ عليها ابن الزبير...^(١)

إذن، فمبدأ وجوب معرفة إمام الزمان ثابت لدى جميع من يدعي الإسلام، وفي يوم القيامة سيُدعى كل قوم بإمامهم، ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۗ وَمَنْ كَانِ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء ٧١ - ٧٢].

فعلينا أن نحدّد إمامنا الذي ندعى به يوم القيامة.

وهذا مطلب مهم جداً يلزمننا ضبطه بمنهجية يقينية، ونقله إلى أولادنا، فنحن مسؤولون عن عقيدتهم كما كنا مسؤولين عن تغذيتهم.

كيف نعرف إمام زماننا؟

أو ما هو المطلوب منّا لمعرفة الإمام؟

الجواب بعدة نقاط:

أولاً: اختلف المسلمون -غير الشيعة الإمامية- في كيفية تعيين الإمام الذي هو خليفة رسول الله ﷺ، أيكون بالانتخاب أو الشورى أو من قبل أهل الحلّ والعقد أو بالتمليك والوراثة أو بالانقلاب العسكري؟

ورغم أنهم لم يثبتوا على طريقة محددة لتعيين الخليفة للنبي الأكرم (صلوات الله عليه واله) إلا أنهم جميعاً اتفقوا على أنه ﷺ لو كان عيناً لأحد ذلك لزم اتباعه، ولكنه رحل إلى ربه الكريم ولم يفعل ذلك!

(١) الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي: ج ١ / ص ٣٦٣.

أما الإمامية، فقد انفردوا بالاعتقاد بأنَّ الإمامة كالنبوة، لا تكون إلا بالتنصيب الإلهي: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة ٢٤]

نظرية التنصيب تعني أن تنصيب الإمام ليس من عمل ولا شأن الأمة، وإنما هو بالجعل والتنصيب الإلهي، وليس للأمة من دور في ذلك سوى الطاعة والامتثال للأمر الإلهي.

ثانياً: معرفة أن الإمامة بالجعل الإلهي يُرتب علينا تكليفاً هو: معرفة الإمام. وهذا يكون عن طريق قراءة الروايات بشأنه والتمعن في زيارته والخطابات المتوجهة إليه.

إن قراءة حياتهم، فضائلهم، كراماتهم، مقاماتهم، تعود علينا بالنفع الكثير، فعن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: رحم الله عبداً أحميا أمرنا. فقلت له: فكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا...^(١)

يوماً ما، قال نصراني للإمام الباقر عليه السلام: أنت بقر؟ قال: أنا باقر، قال: أنت ابن الطباخة؟ قال: ذاك حرفتها، قال: أنت ابن السود الزنجية البذية، قال: إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك. قال: فأسلم النصراني...^(٢)

وقصة الشامي المعروفة، أهل الشام لا يعلمون عن أمير المؤمنين وأولاده المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) سوى أنهم خوارج وهم من حاولوا قتل الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ليلة العقبة، وهذا ما بثه فيهم معاوية وطابوره الإعلامي، وقد ورد في صفة حلم الإمام

(١) معاني الأخبار للشيخ الصدوق ص ١٨٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٣٧.

الحسن المجتبي ﷺ ما روى المبرد وابن عائشة أن شامياً رآه راكباً فجعل يلعنه والحسن لا يرد، فلما فرغ أقبل الحسن عليه وضحك وقال: أيها الشيخ، أظنك غريباً ولعلك شبهت، فلو استعبتنا أعتبنك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أُرشدناك، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنياك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا، وكن ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأن لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كبيراً، فلما سمع الرجل كلامه بكى ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالاته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ، والآن أنت أحب خلق الله إليّ، وحوّل رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل وصار معتقداً لمحبتهم. (١)

إن ذلك الشامي رأى شيئاً خلاف ما كان يسمع، كان يسمع بأنهم خوارج، ولكنه رأى روح الإسلام فيهم...

كلامهم الحسن ومواقفهم الجميلة (سلام الله عليهم) لو قرأناها ونشرناها فنحن أول من ينتفع منها، وإن استطعنا نشرها لكان لها تأثير في حياة الناس وسلوكهم.

وبهذه القصص النورانية وأمثالها، يمكننا أن ندعو أولادنا للتمسك بالأخلاق الحسنة، من دون أن نصرح لهم بذلك، لأن أولادنا في مستقبل أعمارهم يبحثون عن النموذج في كل شيء، ونفوسهم تواقّة للأرقى والأكمل والأجمل، وإذا سمعوا بهذه القصص عن الأئمة عليهم السلام انغرس في نفوسهم حبُّهم وبذرة الاقتداء بهم، ولو نجحنا في زرع البذرة تلك، لكان فتحاً عظيماً وإنجازاً كبيراً لنا.

ثالثاً: صفات الإمام التي أهّلته للإمامة، وهي كثيرة ولكن من أهمها: العصمة،

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٨٤.

والتي وتعني: عدم ارتكاب الذنب مطلقاً، لا سهواً ولا عمداً، ولا صغيراً ولا كبيراً، لا قولاً ولا فعلاً، كما نعتقد بأن النبي ﷺ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم ٣ - ٤] وكذلك خلفاؤه عليهم السلام، فكل شيء يصدر عنهم لا يكون خطأ ولا سهواً بتاتاً.

فكما نعتقد بعدم صدور الخطأ مطلقاً من الرسول ﷺ كذلك نعتقد عدم صدور الخطأ من الأئمة عليهم السلام والقرآن يشهد: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب ٣٣]

وأهل البيت هم فاطمة وأبوها وبعليها وبنوها (صلوات الله عليهم) فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«دخلت على رسول الله ﷺ في بيت أم سلمة وقد نزلت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فقال رسول الله ﷺ: يا علي هذه الآية نزلت فيك وفي سبطي والأئمة من ولدك. فقلت: يا رسول الله وكم الأئمة بعدك؟ قال: أنت يا علي، ثم ابنك الحسن والحسين، وبعد الحسين علي ابنه، وبعد علي محمد ابنه، وبعد محمد جعفر ابنه، وبعد جعفر موسى ابنه، وبعد موسى علي ابنه، وبعد علي محمد ابنه، وبعد محمد علي ابنه، وبعد علي الحسن ابنه، والحجة من ولد الحسن، هكذا وجدت أساميهم مكتوبة على ساق العرش، فسألت الله تعالى عن ذلك فقال: يا محمد هم الأئمة بعدك مطهرون معصومون، وأعداؤهم ملعونون»^(١).

وهذه الرواية تثبت شمول الآية لكل الأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

وعلى كل حال، فأية التطهير صريحة بأن الله تعالى أراد أن يطهرهم ويذهب عنهم الرجس، أفيحتمل بعد ذلك صدور الذنب منهم؟!!

(١) كفاية الأثر للخزاز القمي ص ١٥٦.

وقد يرد سؤال وهو:

إذا كان الله ﷻ هو من عصمهم من الذنب، فما هو وجه فضيلتهم على باقي البشر؟!
الجواب يتلخص بالتالي:

١/ إن الله تعالى حكيم لا يصدر منه فعل خلاف الحكمة، والحكيم: هو من يضع الشيء المناسب في المكان المناسب في الزمان المناسب، وإذا تعلقَت الإرادة الإلهية بتطهير هذه الصفوة، فمن المؤكد أنه عملٌ حكيم بعيد عن العبث، فليس الأمر عشوائياً، وإنما لا بد من وجود حكمة كانت وراء تفضيلهم بالعصمة، فيكشف عن فضيلتهم واقعاً، وإن لم نعرفها نحن لسبب ولآخر.

٢/ ولو تنزلنا عما سبق، فيمكن القول: إن نفس اختيار الله تعالى لهم وهبته لهم العصمة يعني أنهم لا يخطئون، وبالتالي فإن ما يقولونه يمثل الواقع، فلا بد من طاعتهم وعدم مخالفتهم في كل ما يقولونه ويأمرون به وينهون عنه، أما أن لهم بالعصمة فضلاً أو ليس لهم، فهذا لا ينفي لزوم طاعتهم وعدم جواز مخالفتهم؛ لمكان عصمتهم.

٣/ بالإضافة إلى أن الحفاظ على العصمة من أن تزول، وتفعيلها لفائدة الناس، وصولاً إلى تنفيذ المشروع الإلهي على الأرض (ليملأها قسطاً وعدلاً)، كل ذلك هو بالاختيار من المعصوم، وهذا ما يوجب له فضيلة عظيمة كما لا يخفى.

هذه المعاني لو فهمها أولادنا جيداً، حينها سيكون بيدهم سبب أو حكمة ضرورة التسليم التي تقدم الحديث عنها في المفردة الثالثة، بمعنى: أننا ندرك بوجودنا ضرورة التسليم للمعصوم في كل ما يقوله ويفعله، لأنه معصوم، فما يقوله ويفعله يمثل الواقع، فيكون تسليمنا لإلهنا وخالقنا أولى وأشد وأوجب.

منشأ لزوم الاتباع:

إذاً، بها أنهم ﷺ معصومون ولا يصدر منهم الخطأ مطلقاً، فحتماً سيكون أمرهم يمثل أمر الله تعالى، ونبيهم يمثل نبيه (جل وعلا)، ومن هنا قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر ٧]

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء ٥٩]

وبهذا المنطق فإن علينا اتباعهم في كل صغيرة وكبيرة، على نهج «إني سلم لمن سالمكم وحرّب لمن حاربكم وولي لمن والاكم وعدو لمن عاداكم».

روي أن رجلاً قدم على أمير المؤمنين ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين، أنا أحبك وأحب فلاناً، وسمي بعض أعدائه، فقال ﷺ: أما الآن فأنت أعور، فإما أن تعمى وإما أن تبصر. (١)

فلا يصح أن نواليهم ونوالي عدوهم، فالعقيدة الصحيحة تقتضي وجوب اتباعهم ومخالفة من خالفهم، فإنهم كما وصفهم الرسول الأكرم ﷺ بقوله: مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق. (٢)

وهذا يعني: لزوم الطاعة المطلقة لهم وعدم تقديم أو تفضيل أحد عليهم.

(١) مستطرفات السرائر لابن إدريس الحلي ص ٢٦٥.

(٢) الحديث مروى في كتب الخاصة والعامة، وقد روى العامة عن حنش الكناي، قال: سمعت أبا ذرّ يقول وهو آخذ بباب الكعبة: من عرفني فأنا من عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذرّ (رضي الله تعالى عنه)، سمعت النبي ﷺ يقول: «ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من قومه، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق» [المستدرک للحاكم النيسابوري (ج ٣/ ص ١٥٠ و١٥١)].

وبهذه العقيدة سيشعر المؤمن بحالة من الغنى لا تساويها أملاك الدنيا، فمن لحق بهم فاز ومن تخلى عنهم هلك.

من الروايات اللطيفة في هذا الجانب ما روي أن رجلاً جاء إلى سيّدنا الصادق عليه السلام فشكا إليه الفقر، فقال: «ليس الأمر كما ذكرت، وما أعرفك فقيراً»، قال: والله يا سيّدي ما استبيت [أي لا أملك قوت ليلة واحدة]، وذكر من الفقر قطعة والصادق يُكذّب به، إلى أن قال له: «خبرني لو أعطيت بالبراءة مئاً مائة دينار، كنت تأخذ؟»، قال: لا! إلى أن ذكر ألوف دنانير والرجل يحلف أنه لا يفعل، فقال له: «من معه سلعة يُعطى بها هذا المال لا يبيعها، هو فقير؟!»^(١).

وقد روي عن محمّد بن الحسن بن شمون، قال: كتبت إلى أبي محمّد الإمام الحسن العسكري عليه السلام أشكو الفقر، ثمّ قلت في نفسي: أليس قال أبو عبد الله عليه السلام: «الفقر معنا خير من الغنى مع غيرنا، والقتل معنا خير من الحياة مع غيرنا»؟ فرجع الجواب: «إنّ الله يُمحصّ أولياءنا إذا تكاثفت ذنوبهم بالفقر، وقد يعفو عن كثير، وهو ممّا حدّثتكَ نفسك: الفقر معنا خير من الغنى مع غيرنا، ونحن كهف لمن التجأ إلينا، ونور لمن استضاء بنا، وعصمة لمن اعتصم بنا، من أحببنا كان معنا في السنام الأعلى، ومن انحرف عنّا فإلى النار»^(٢).

المؤمن الحقيقي يُقدّم أهل البيت عليهم السلام على كل من يجب، امتثالاً لأمر الرسول صلى الله عليه وآله: لا يؤمن أحدكم حتى اكون أنا وأهل بيتي أحب إليه من نفسه وأهل بيته.^(٣)

(١) أمالي الشيخ الطوسي (ص ٢٩٧ و ٢٩٨ / ح ٥٨٤ / ٣١).

(٢) الخرائج والجرائح لقطب الدّين الراوندي (ج ٢ / ص ٧٣٩ و ٧٤٠ / باب ١٥ / ح ٥٤).

(٣) في أمالي الشيخ الطوسي (ص ٤١٦ ح ٩٣٧ / ٨٥) عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يكون العبد مؤمناً حتى أكون أحب إليه من نفسه ومن ولده وماله وأهله. قال: فقال بعض القوم: يا رسول الله، إنا لنجد ذلك بأنفسنا. فقال صلى الله عليه وآله: بل أنا أحب إلى المؤمنين من أنفسهم. ثم قال:

وهذا يعني فيما يعنيه: أنه لو حصل تعارض للمؤمن بين مصلحة أحد أهله وبين تقديم مولاته لأهل بيت العصمة عليهم السلام، أو مثلاً بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام لو خيّر المؤمن بين نصره إمامه أو وقوفه في خط المعارضة مع أهله، فمع من سيقف؟

خلاصة الجانب الأول:

أن المسؤولية الدينية والعقلية تفرض على الآباء أن يُربوا أولادهم على التالي:
 أولاً: أن الفطرة ترفض أن يكون هذا الوجود من دون خالق، وبالتالي يلزمنا -نحن المخلوقات- أن نبحت عن خالقنا ونحترمه ونقدسه، لأنه وهب لنا الوجود وما فيه.
 ثانياً: أن العقل يفرض علينا تقديس خالقنا، كما يفرض علينا أن نطيعه فيما يأمر وينهى، بل يلزمنا ذلك مع تمام التسليم والانقياد له، وفي ذلك يكون تمام كما لنا.
 ثالثاً: أن طاعتنا للخالق هي عبارة أخرى عن عبادته، والعقل يحكم بأن العبادة إنما تكون بما يرضاه هو، لا بما يخترعه البعض من عند نفسه، وهذا يعني ضرورة الوساطة بيننا وبينه جل وعلا، وهو ما يفتح ملف الشريعة والنبي والإمام.
 رابعاً: يلزم علينا أن نأخذ بالدين من جميع اطرافه وجوانبه، ولا يصح أخذه من جانب دون آخر، فهذا خلاف التدين والتسليم.

أرأيتم لو أن رجلاً سطا على واحد منكم فنال منه باللسان واليد، كان العفو عنه أفضل أم السطوة عليه والانتقام منه؟ قالوا: بل العفو، يا رسول الله. قال: أفرأيتم لو أن رجلاً ذكرني عند أحد منكم بسوء وتناولني بيده كان الانتقام منه والسطوة عليه أفضل أم العفو عنه؟ قالوا: بل الانتقام منه أفضل. قال: فأنا إذن أحب إليكم من أنفسكم.

وفي أمالي الشيخ الصدوق (ص ٤١٤ ح ٥٤٢ / ٩) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وأهلي أحب إليه من أهله، وعترتي أحب إليه من عترته، وذاتي أحب إليه من ذاته. قال: فقال رجل من القوم: يا أبا عبد الرحمن، ما تزال تجيء بالحديث يحبي الله به القلوب.

خامساً: في كل ذلك، يلزم أن تكون أعمالنا خالصة لوجه الله تعالى، إذ هو الوحيد الذي يستحقها، وهو الوحيد الذي يمكن أن يُجازينا عليها، وغيره هو مثلنا، مفتقر إليه في تمام وجوده.

سادساً: أن الدين افترض علينا طاعة أولي الأمر، وهم الرسول وأهل بيته عليهم السلام، واعتبرها جزءاً لا ينفك من التدين، ومن طاعة الله تبارك وتعالى، فتلزمنا طاعتهم على حد طاعة الله تعالى.

سابعاً: يلزم علينا أن نتعرف على خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي جعله الله تعالى، وأن نعمل على الاقتداء به، وهو ما يلزم قبل طاعته والتسليم له، لأنه معصوم.

ثامناً: كل هذه العلاقات والمفردات هي من النوع العمودي، بمعنى أنها تحكي عن علاقة الإنسان بما هو أعلى منه رتبة، وأرقى منه وجوداً، وأعظم منه منزلة، فهي العلاقة بالدين، بالخالق جل وعلا، وبالرسول صلى الله عليه وآله، وبأهل البيت عليهم السلام.

تاسعاً: مسؤولية الآباء عظيمة جداً في كل ذلك، ولا تقف عند حدود إشباع البطن -رغم أهميته-، بل إن مسؤوليتهم عظيمة فيما يتعلق بعقول الأولاد وسلوكهم، فكما نفكر في بناء بيوت لأولادنا، علينا أن نعمل على بناء عقولهم وتقويم سلوكهم.

الجانب الثاني: الجانب الأسري

في هذا الجانب سنعمل على محاولة تسليط الضوء على الحقوق المتبادلة داخل الأسرة، وكيفية صياغتها بطريقة تجعل الأولاد يتعرفون عليها، ويعملون على تنفيذها حرفياً أو حسب القدرة.

هذا الجانب يبدأ بالعلاقة مع الأبوين، فنصرفنا وسلوكنا مع آبائنا سينعكس على تصرف أولادنا معنا، على قاعدة الإمام الصادق عليه السلام: «برّوا آباءكم يبرّكم أبناءكم»^(١). وبالتالي، علينا أن نُحسن صياغة سلوكنا من هذه الناحية.

خطوة أخرى هنا، هي علاقة الأب بزوجته، خطوة مهمة جداً، تصوغ حياة أولادنا المستقبلية، وترسم لهم طريق الاختيار الصحيح والسلوك القويم، وهي خطوة مهمة جداً أيضاً على الزوجة تجاه زوجها.

العلاقة مع الأولاد هي الأخرى ضرورية، فإن أولادنا يتعلمون منا كيف يتصرفون مع أولادهم في المستقبل، ولو كان سلوكنا خاطئاً معهم، فإنهم سيحتاجون وقتاً طويلاً وجهداً مريراً، وربما سيتحملون الكثير من الخسائر والتجارب الفاشلة، حتى يتمكنوا من تجاوز ما رسّخناه في قلوبهم من سلوك تجاه الأولاد، إلى أن يصلوا إلى نقطة تغيير المسار وتحسين السلوك.

أخيراً، علينا أن نلتفت إلى أنه كما نربي أولادنا، كذلك يمكن لأولادنا أن يقوموا بتربيتنا، أما كيف ذلك، فهذا ما سيتبين في محله.

وعلى كل حال، فهنا عدة مفردات يحسن أن نبينها وعلى الله تعالى الاتكال.

(١) الكافي للكليني ٥: ٥٥٤ / باب إنَّ من عَفَّ عن حرم الناس عَفَّ عن حرمه / ح ٥.

المفردة الأولى: العلاقة مع الأبوين

إذا نظرنا إلى الحقوق المفترضة على الإنسان، نجد أنها تتراوح فيما بينها من حيث الشدة والضعف، فبعض الحقوق هي من الشدة بحيث لا يُعذر فيها الإنسان أبداً، وبعضها متوسط وبعضها ضعيف.

وقد عرفنا أن أعظم الحقوق على الإنسان هو حق الخالق (جل وعلا)، فهو أول حق وأعظم حق، ولا يتقدم عليه حق، وأيضاً حق النبي ﷺ، والدين، والإمام ﷺ، هو بمستوى حق الله (تعالى) مع حفظ الفارق اللامتناهي بين الله (عز وجل) وبين النبي ﷺ.

يأتي بالمرتبة الثانية بعد حق الله ﷻ ما قال عنه سبحانه في كتابه الكريم: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء ٢٣ - ٢٤]

حق هو من أعظم الحقوق على الإنسان، وهو حق الوالدين، ولا يُعذر فيه إنسان. إن الله (عز وجل) حينما فرض حقاً للوالدين على أولادهم، فهو لم يفترضه على أساس الدين فحسب، فسواء كانا مسلمين أم مشركين، دينيين أم ماديين، فالابن مطالب ببرهما وتأدية حقوقهما ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت ٨]

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان ١٥]

فلاحظ جيداً قوله (تعالى): ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: وبر الوالدين واجب، فان كانا مشركين فلا تطعهما ولا غيرهما في المعصية، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.^(١)

فمهما كان الوالدان، فإن لهما حقّ الوجود على الابن، ولهذا فإن الروايات تؤكد على خطورة وضرورة برّ الوالدين.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: يُقال للعاق: اعمل ما شئت، فإني لا أعفر لك، ويُقال للبار: اعمل ما شئت، فإني سأعفر لك.^(٢)

الدنيا دار عمل، والآخرة هي دار الجزاء، ولكن عاقّ الوالدين يرى جزاء عمله في الدنيا قبل الآخرة -بالإضافة إلى عقوبة الآخرة- إذ إنّ عقوق الوالدين من الذنوب التي تُعَجَّلُ عقوبتها.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثلاثة من الذنوب تُعَجَّلُ عقوبتها ولا تُؤَخَّرُ إلى الآخرة: عقوق الوالدين، والبغي على الناس، وكفر الإحسان».^(٣)

فعلينا أن نحذر في معاملة الوالدين، فأثرها سلباً أو إيجاباً راجع إلينا لا محالة، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «برّوا آباءكم يبرّكم أبناءكم»^(٤).

حق الأب.

لا يختلف اثنان في الدور المحوري والرئيسي للأب في هذه الحياة، وفي كونه الرجل الأول في حياة الأولاد، كما لا نجد أباً لا يريد الخير لأولاده إلا إذا كان في عقله خلل.

(١) الخصال للشيخ الصدوق ص ٦٠٨ خصال من شرائع الدين ح ٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٧١ ص ٨٠.

(٣) أمالي المفيد: ٢٣٧/ ح ١.

(٤) الكافي للكليني ٥: ٥٥٤/ باب إن من عفّ عن حرم الناس عُفّ عن حرمه/ ح ٥.

إن دور الأب أشبه بدور ربّان السفينة، فهو القائد الذي يحمل معه رعيته، ويجوز بهم غمار البحار يقود السفينة بحكمة وشجاعة وتضحية، ولا يهمله أن يتضرر هو إن سلمت رعيته.

يمكن لأي أحد منا أن ينظر إلى أبيه، كيف يكدر، وينصبّ، ويبدل، ويتحمّل، ويضحى، ولكنه يضع نصب عينيه أن الفرحة التي تملأ عيون زوجته وأولاده هي ما يزيح عن كاهله تعب الأيام وغمّ العمل، هو لا يريد من الدنيا إلا أن يوصل عياله إلى حيث التميز.

فلكل أب منا ألف تحية، وألف دعاء، وألف ثناء.

الإمام زين العابدين عليه السلام أكد على حق الأب، فأرسي القواعد العامة لحقه بالتالي:
«وأما حق أبيك، فإن تعلم أنه أصلك، وأنتك لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك مما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوة إلا بالله»^(١).

هو أصلك، وهذا يعني: أنك لولاه لم تكن، وما دام هو سبباً في أصل وجودك، إذاً هو أيضاً سبب في ما تحصل عليه من كمالات، فمهما حصلت عليه من نعم، ومهما حصدت من شهادات، ومهما علقت على صدرك من أوسمة الفخر والشرف، فإياك أن تنسى صاحب الفضل الأول عليك -بعد الله تعالى-، وهو أبوك، فاحترمه، وقدره، ولا تتجاوز آداب العقل والشرع معه.

(١) أمالي الشيخ الصدوق ص ٤٥٣ - ٤٥٤.

أما ما هي تلك الآداب؟

فإليكها باختصار:

- ١/ أن لا يُناديه باسمه كما ينادي على أخيه أو صاحبه، بل يناديه بالأب.
 ٢/ أن لا يمشي أمامه، ولا يتقدمه، بل يمشي خلفه، وعلى الأقل بجانبه.
 ٣/ أن لا يجلس في مجلس قبله، بل ينتظر إلى أن يختار أبوه مجلساً معيناً فيجلس دونه في المجلس.

٤/ أن لا يفعل ما يصير سبباً لسبِّ الناس لأبيه، كأن يسبهم أو يسبُّ آباءهم، وقد يسب الناس والد من يفعل فعلاً شنيعاً قبيحاً.

وفي ذلك روي أنه سأل رجلٌ رسولَ الله ﷺ: ما حقُّ الوالدِ على ولده؟ قال ﷺ: لا يُسمِّيه باسمه ولا يمشي بين يديه ولا يجلس قبله ولا يستسب له. (١)

٥/ إذا غضب الأب لقضية ما، فعلى الولد أن يخشع له، وأن يطأطأ له، لا أن يلاسنه، أو يرد عليه كلامه.

٦/ إذا كانا في سفر أو عمل ما، ونال منها التعب، فعلى الولد أن يقدم راحة أبيه من حيث مكان الاستراحة أو الطعام أو ما شابه، ولا يُقدم نفسه على أبيه.

وفي ذلك روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: من حق الوالد على ولده أن يخشع له عند الغضب، ويؤثره عند الشكاية والوصب (٢). (٣)

٧/ أن يؤثر أباه في ماله، ما أوتي إلى ذلك سبيلاً، حتى لو كان الأب غنياً، وحتى لو لم يجب شرعاً على الولد أن ينفق على أبيه، لكنه مع ذلك فإن من البر أو كمال البر:

(١) الكافي للكليني ج ٢ ص ١٥٨ - ١٥٩ باب بر الوالدين ح ٥.

(٢) الوصب: هو التعب والفتور في البدن.

(٣) كتر العمال للمتقي الهندي ج ١٦ ص ٤٧٣ ح (٤٥٥١٢) <

أن يُقدم الولد مالا لأبيه، ليرد له بعض الدين الذي قدّمه الأب من نفس طيبة راضية. وعلى كل حال، فمهما قدمنا لأبائنا من أموال الدنيا، فهي لا تُساوي ما قدموه لنا من أموالهم حيث كنا أحوج ما نكون إليها، وحيث لولاهم لما كُتبت لنا الحياة، ومن هنا روي عن الحسين بن أبي العلاء قال: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَا يَجِلُّ لِلرَّجُلِ مِنْ مَالٍ وَلَدِهِ؟ قَالَ عليه السلام: قُوَّتُهُ بِغَيْرِ سَرْفٍ إِذَا اضْطُرَّ إِلَيْهِ.

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لِلرَّجُلِ الَّذِي آتَاهُ فَقَدَّمَ أَبَاهُ فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ؟

فَقَالَ عليه السلام: إِنَّمَا جَاءَ بِأَبِيهِ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أَبِي وَقَدْ ظَلَمَنِي مِيرَاثِي مِنْ أُمِّي! فَأَخْبَرَهُ الْأَبُ أَنَّهُ قَدْ أَنْفَقَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ عليه السلام: أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ الرَّجُلِ شَيْءٌ، أَفَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَجْبَسُ الْأَبَ لِلْأَبْنِ؟! ^(١)

حق الأم أعظم.

إذا أردنا عمل مقايسة بين حق الأب وحق الأم، فأيهما أعظم؟ علماً أن الحديث ليس عن الولاية، إذ نعلم أن للأب الولاية على ابنه، وعلى ابنته فلا يصحّ زواجها إلا بإذن أبيها، وغيرها من موارد الولاية المذكورة في محلها في كتب الفقه ^(٢)، إنَّما الكلام عن الحق.

روي أنه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَبْرُّ؟ قَالَ: أُمُّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمُّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمُّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمُّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمُّكَ. ^(٣)

(١) الكافي للكليني ج ٥ ص ١٣٦ باب الرجل يأخذ من مال ولده والولد يأخذ من مال أبيه ح ٦.

(٢) راجع: رسالات تربوية ١٥٥ - ١٦٠، وهي الحلقة الثانية من سلسلة تربوية بلون جديد.

(٣) الكافي للكليني ج ٢ ص ١٥٩ - ١٦٠ باب البرِّ بالوالدين ح ٩.

فحقّ الأم أعظم على الولد (ذكرًا كان أو أنثى).

مفارقة...

لا ريب أن الأب يفني حياته ويهدم بدنه في سبيل توفير الحياة الكريمة لأبنائه، وأنه لا يستطيع الولد تأدية حقّ أبيه؛ إذ به أصبح له كيان وحياة رغيدة بلا تعب ولا همّ، والأب لا همّ له سوى توفير ما يحتاجه أولاده، وهو الوحيد الذي يعطي ذلك بالمجان وبكل رحابة صدر.

لاحظوا: حينما يمرض الوالدان، نرى الولد يراهم ويبرّهم، لكن ربما بنية الخلاص منهم، أي إنه ربما يراهما وينتظر لحظة موتها، أما رعاية الوالدين لأبنائهم فإنها بنية استمرار حياتهم بنعمة الصحة والعافية.

لماذا كان حقّ الأم أعظم بكثير من حقّ الأب؟

عدة أسباب تجعل حقّ الأم أعظم من حقّ الأب، اختصرها الإمام السجاد عليه السلام بقوله: وأما حقّ أمك، فأن تعلم أنها حملتك حيث لا يحتمل أحدٌ أحدًا، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحدٌ أحدًا، ووقتك بجميع جوارحها، ولن تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعري وتكسوك، وتظلك وتضحى، وتهجر النوم لأجلك، ووقتك الحر والبرد لتكون لها، وأنت لا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه. ^(١)

ومن تلك الأسباب:

أولاً: إن الوعاء الذي حمل الولد هي الأم.

قد يقال: إن الأب أيضاً حمّله!

(١) أمالي الشيخ الصدوق ص ٤٥٣.

نعم، ولكن حملها خفيفاً بلا ثقل أو أذى، بينما الأم تحمله خلال التسعة أشهر تذوق الموت غصة بعد غصة: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان ١٤]

راحتُها، قوتُها، وجمالها، كلها تذهب في سبيل حياة ولدها، للحفاظ عليه في قرار مكين، هكذا حتى تأتي ساعة الطلق، وهي حكاية أخرى لمعاناة ترى فيها الموت، ولهذا تعتبر بعض الروايات أن للمرأة التي تعاني ألم الطلق أو تموت أثناء الولادة ثواباً كثوَاب الشهيد.

ففي رواية طويلة: فقالت حواء: أسألك - يا رب - أن تعطيني كما أعطيت آدم. فقال الرب ﷺ: إني قد وهبتك الحياء والرحمة والأنس، وكتبت لك من ثواب الاغتسال والولادة ما لو رأيته من الثواب الدائم، والنعيم المقيم، والملك الكبير، لقرت به عينك. يا حواء، أيما امرأة ماتت في ولادتها حشرت مع الشهداء، يا حواء، أيما امرأة أخذها الطلق إلا كتبت لها أجر شهيد، فإن تحملت وولدت، غفرت لها ذنوبها ولو كانت مثل زبد البحر ورمل البر وورق الشجر، وإن ماتت فهي شهيدة، وحضرتها الملائكة عند قبض روحها، وبشروها بالجنة، وتزف إلى بعلها في الآخرة، وتفضل على سائر الحور العين بسبعين درجة. فقالت حواء: حسبي ما أعطيت.^(١)

وهل تنتهي هنا معاناة الام؟ أو هي بداية جهاد جديد؟!

حسب التقارير العلمية فإن المشيمة -والتي تعتبر من أهم الأجزاء في حياة الجنين حيث تقوم بعدة وظائف غاية في الأهمية -هي مرتبطة بقلب الأم، فالأم تغذي ولدها من قلبها، من دمها، من غذائها هي.

لا ترى الأم مشقة في سهرها لراحة ولدها، فهل يكون سهر الولد لراحة أمه

كذلك؟

(١) تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني (ج ٣ ص ٣٥٦)

(ووقتك الحر والبرد لتكون لها، وأنت لا تطيق شكرها) لا يتمكن الولد من أداء شكر الأم مهما اجتهد، فالأم هي الوعاء الذي حملك، والحجر الذي تدفأت بدفئه، وعشت في كنفه، ولم تكتب لك حياة إلا برعايتها، ومهما كان عطاء الأب فهو لا يصل إلى مستوى عطائها.

ثانياً: إن الأم مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية.

الروايات الشريفة إذا تحدثت عن رحمة الله ﷻ تصفها يوم القيامة بأنه حينما ينشر الله تعالى رحمته، فإنه وحتى إبليس يرجو رحمته لما يراه من رحمة.

فعن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نشر الله تبارك وتعالى رحمته حتى يطمع إبليس في رحمته.^(١)

ولكي يقرب المعصومون عليهم السلام لنا الصورة، يشبهونها برحمة الام.^(٢)

النبِيُّ ﷺ رأى يوماً أمّاً قد فقدت ابنها، وهي تبحث عنه بلهفة وبكاء، وما أن وجدته حتى ضمته إلى صدرها باكية وانهالت عليه بالقبّل، فسأل أصحابه عن عظم رحمة الأم بولدها، ثم أخبرهم بأن الله تعالى لأرحم بعباده من هذه الأم بولدها^(٣)، فرحمة الله تعالى لا يمكن تصويرها إلا برحمة الأم بولدها.

ولا يعني هذا أن مقدار الرحمة الإلهية هو هذا، ولكنه أقرب ما يوضح الصورة.

في بعض القصص الخيالية، ذكروا:

(١) في امالي الشيخ الصدوق (ص ٢٧٣ ح ٣٠١ / ٢)

(٢) في التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام ص ٣٧ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: رحيم بعباده المؤمنين، ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة، وجعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم، فيها يترحم الناس، وترحم الوالدة ولدها، وتحنو الأمهات من الحيوانات على أولادها.

(٣) راجع: صحيح البخاري ٧: ٧٥.

أن ملكاً مرضت ابنته، وأجمع الأطباء على أن علاجها لا بد أن يكون قلباً قد مات صاحبه حديثاً جداً، فما كان من الملك إلا أن أغرى شاباً ببعض الأموال ليأتيه بقلب أمه، فقبل في هذه القصة شعراً يصور الحالة:

أغرى امرؤ يوماً غلاماً جاهلاً في أمره حتى ينال به الوطرُ
قال اثنتي بفؤاد أمك يا فتى ولك الجوائز والجواهر والدررُ
فمضى وأغرز خنجراً في صدرها والقلبَ أخرجوه وعاد على الأثرُ
لكنه من فرط سرعته هوى فتمزَّق القلب المعفّر إذ عثرُ
ناداه قلب الأم وهو معفر ولدي، حبيبي، هل أصابك من ضرر!^(١)
فعلاً قلب الأم هكذا...

هل رأيتم في حياتكم: كم ولدًا ترك أمه وحدها في البيت، تركها تعاني الأمرين، ولكنه بمجرد أن يرجع إليها فإنها تنسى كل إساءة له، وتغفر له، وتبكي بين يديه، وليس الأب كذلك كما هو واضح.

ثالثاً: إن الأم تحتاج إلى ولدها أكثر من احتياج الأب لولده.

ولذا يقول الإمام عليه السلام: (لتكون لها)، فهي تحتاج إليك في كبرها، تحتاجك عندما

(١) انظر الأبيات في شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام ص ٥٥٣ . ٥٥٤، وقال بعد هذه الأبيات: فنظم بعضهم أبياتاً تنفي الموضوع حقه، وتبين حالة الغلام بعد عطف القلب عليه:

فكأن هذا الصوت رغم حنوه غضب السماء به على الولدانهمر
ودرى فظيع خيانة لم يأتيها ولد سواه منذ تاريخ البشر
فارتد نحو القلب يغسله بما فاضت به عيناه من سيل العبر
ويقول يا قلب انتقم مني ولا تغفر، فإن جريمتي لا تغتفر
واستلّ خنجره ليطعن قلبه طعناً فيبقى عبرة لمن اعتبر
ناداه قلب (الأم) كُفّ يداً ولا تدبح فؤادي مرتين على الأثر!

تمرض، عندما تحتاج شيئاً ما، هي أعظم حاجة لك من الأب.

حقوق الوالدين.

لذلك رتب الروايات الشريفة حقوقاً هي من البر للوالدين، ومنها:

الحق الأول: البر بهما: فلا يجوز للولد أن يفعل ما من شأنه أن يؤذي الوالدين شفقة
منهما عليه، حتى لو كان هو السفر للدراسة مثلاً. (١)

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام فيما علّمه رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحزن والديه فقد
عقّهما. (٢)

الحق الثاني: خدمتها: اخدم والديك ما أوتيت إلى ذلك سبيلاً.

تصوّر أنك تجلس غداً صباحاً، وفجأة وجدت أمك وأباك قد ماتا جميعاً، حينها،
كم من الصور التي ستأتي إلى ذهنك، كم من الأمور التي سترغب أن تكون قد عملتها
لهما؟!!

إذاً، من الآن افعّلها معها قبل أن تذهب الفرصة منك فتكون غصة.

روي أنه قال عمر: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله على جبل، فأشرفنا على وادٍ، فرأيت شاباً
يرعى غنماً له أعجبنى شبابه فقلت: يا رسول الله، وأي شاب لو كان شبابه في سبيل الله؟
فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا عمر، فلعله في بعض سبيل الله وأنت لا تعلم، ثم دعاه النبي صلى الله عليه وآله فقال:
يا شاب، هل لك من تعول؟ قال: نعم. قال: من؟ قال أمي. فقال النبي صلى الله عليه وآله: الزمها، فإن
عند رجليها الجنة... (٣)

(١) لاحظ: فقه المغتربين للسيد السيستاني (ص ٢٣٠ - ٢٣٣) و الفتاوى الميسرة للسيد السيستاني
(ص ٤٣٥ و ٤٣٦).

(٢) الخصال للشيخ الصدوق ص ٦٢١ حديث أربعائة.

(٣) كنز العمال (ج ٤ ص ٦٠٧ ح ١١٧٦٠).

أخدم أمك، وإياك أن تقدم أي أحد عليها، انتبهوا: أن الزوجة تتبدل، والصديق يتبدل، وكل شيء يمكن استبداله، إلا الأم! اللهم إلا إذا كانت المسألة متعلقة بحق الله تعالى، وبالدين، وبإمام الزمان.

والحاصل مما تقدم:

١/ أن حق الأبوين عظيم جداً ولو كانا غير مؤمنين، ولا يُعذر فيه الولد، إلا ما تعارض مع حق الله تبارك وتعالى.

٢/ أن البر بهما يرجع إيجاباً على الولد ببرّ أولاده له، والعكس بالعكس.

٣/ أن طريقة تعاملنا مع والدينا سترسم الطريق لأولادنا في كيفية تعاملهم معنا في المستقبل، وهذا يعني: أنك إذا رميت والديك في دور العجزة، فاحجز لنفسك سريراً؛ لتختصر المسافة على أولادك!

٤/ علينا أيضاً أن ندفع أولادنا على بر أجداهم -أبويننا نحن- وخدمتهم وعدم التردد في قضاء حوائجهم، فإن ذلك نوع من البر بلا شك.

٥/ دع أولادك يرون برك بوالديك، إن في حياتها، وإن بعد وفاتها، فهذا يرسم الطريق لهم أيضاً لبرك حياً أو ميتاً.

٦/ وأخيراً، من كان أبواه حيين فليستعجل ببرّهما، وليغتنم دعواتها، وإلا، فليبرّهما وهما ميتان، وليتذكر ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: زُورُوا مَوْتَاكُمْ، فَإِنَّهُمْ يَفْرَحُونَ بِزِيَارَتِكُمْ، وَلِيَطْلُبَ أَحَدُكُمْ حَاجَتَهُ عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِ وَعِنْدَ قَبْرِ أُمِّهِ بِمَا يَدْعُو لَهُمَا. (١)

(١) الكافي للكليني ج ٣ ص ٢٢٩ - ٢٣٠ بَابُ زِيَارَةِ الْقُبُورِ ح ١٠.

المفردة الثانية : العلاقة الزوجية

عندما نقرأ تاريخ البشرية، نجد أن العلاقات بنوعها (الأفقية والعامودية) كانت قد وُلدت منذ أن وضعَ الإنسان الأول (آدم وحواء) قدميه على هذه الأرض، وحيث إنهما كانا موحدّين، فإن علاقتها مع ربّ العالمين (العامودية) كانت صحيحة، وأما العلاقة الأفقية الأولى التي وُجِدَت على هذه الأرض فهي علاقة آدم بحواء، علاقة الزوج بزوجته، بعبارة حديثة هي: علاقة الأسرة.

علماء الإنسان عندما بحثوا في تاريخ البشرية قسموه لمراحل ثلاث:

١- مرحلة الهمجية.

٢- مرحلة البربرية.

٣- مرحلة الحضارة.

البعض لما بحث في تاريخ الأسر، بحث مثلاً في تاريخ الفراعنة وكيف كانت الأسرة، وكيف كان التعامل معها، والأسرة عند البابليين، والآشوريين، إلى أن يصل إلى العصور الأخيرة.

وبغض النظر عن هذه الأبحاث التاريخية والنفسية، فإن علاقة الأسرة هي علاقة واقعية لا يمكن لنا أن ننكر ضرورتها وواقعيتها، وخصوصاً في البلاد الشرقيّة، نجد أنّ للحياة الأسرية موضعاً مهماً في حياة المجتمع، ومما يكشف عن ذلك هو التعبير الذي نردده دوماً: (الأسرة هي اللبنة الأولى لتكوين المجتمع).

أنماط التعامل مع الأسرة:

الأمر المهم الذي تجدر بنا الإشارة إليه هو:

أنّ هناك أنماطاً متعدّدة من الأسر، هذه الأنماط المختلفة أخذت أشكالاً متباينة؛ نظراً لظروف كثيرة مرّ بها الناس، بعضها ظروف اقتصادية، وأخرى ثقافية، ونفسية وغيرها، النتيجة هي أننا لو عملنا استقراء لأنواع الأسر من حيث التعامل معها فيمكن أن نجد عدّة أنماط، منها:

النمط الأول: النمط الرأسمالي الاقتصادي:

إنّ البعض ينظر للأسرة على أنّها مؤسسة مالية ربحية، فيها طرفان، كلّ له مصدره المالي، يشتركان لتكوين هذه الأسرة.

لا يوجد إشكال في هذا المقدار، ولكن تنشأ المشكلة إذا تحولت النظرة للأسرة إلى كونها مصدراً يدرّ دخلاً اقتصادياً لأفراد الأسرة، لا أكثر من هذا.

في البلاد الغربية ربما هذه النظرة هي السائدة في علاقاتهم الأسرية، فيحدث هناك تكوين علاقة ينتج عنها إنجاب أطفال ولكن دون زواج (علاقة غير شرعية)، والسبب: أن هناك إعانة من الدولة للفتاة، فإذا تزوجت فستنقطع هذه الإعانة!

بعضهم لا يتزوج، والسبب - حسب اعتقاده - أنّ من الغباء أن يجعل امرأة غريبة تراث أمواله!

المرأة في تلك البلدان تشكل عنصراً كادحاً لديمومة وخدمة الأسرة، تعمل كالرجال لتسد احتياجات نفسها واحتياجات أسرتها، والزواج لا علاقة له باحتياجات زوجته.

هذه النظرة بهذه الكيفية لا تترك مجالاً للأواصر الأسرية العاطفية والروحية أن

تقوى، ولا ينتج منها تلك المودة والرحمة التي تكون بين الزوج وزوجته؛ لذا قد نسمع أنه وعند موت بعض الأثرياء فإنهم يوصون بثروتهم لحيواناتهم، لأن الحيوان يكون أقرب لهم من أفراد أسرهم!

إن مجتمعاتنا الشرقية وإن لم تكن بهذا السوء، إلا أن الأفكار المنحرفة لتلك المجتمعات بدأت تنتصّل إلينا، تبحث عن موطئ قدم ولو خلسة، فمثلاً توجد نظرة -ولو جزئية وعلى مستوى معين- في المجتمع في الآونة الأخيرة توجب امتناع زواج الشباب إلا من وظيفة؛ وذلك لأنّها تملك مصدرًا ماليًا مستقلًا يُمكنها من أن تُعيل نفسها، وهذا من نوع التعامل الاقتصادي الربوي مع الزوجة!

بعض الآباء يفكّر بلزوم إتمام ابنته للدراسة، لا لكي تأخذ مقدارًا من العلم تنفع به نفسها ومجتمعها، وإنما من أجل أن تؤمّن مستقبلها فلا تعود بحاجة إلى زوجها في شيء! هذا لا يعني أن الإسلام ضد ثقافة المرأة ودراستها، بل هو يشجع على أن تكون المرأة طيبة ومعلمة وغيرها، ولكن هناك نقطة يجب الالتفات إليها وهي:

أن النظرية الإسلامية تنظر للمرأة على أنّها ملكة في بيتها، ويجب على الزوج النفقة عليها وتوفير جميع احتياجاتها، وإن كان للزوجة مصدر مالي مستقل. لا أن يحوّل المرأة إلى بنك، فتتحول العلاقة إلى تعامل مادي صرف، ويصبح محور التعامل هو المال، مما يؤدي إلى الفتور العاطفي -إن لم يصل إلى الطلاق العاطفي- والتفكك في العلاقة.

هذا النمط يُنتج زوجًا متكاسلاً عن أداء حقوق زوجته، كما أنه سيصبح شخصاً اتكالياً، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى تبادل الأدوار، بأن تأخذ المرأة دور القيمومة على الرجل، وهنا ستصبح الأسرة عبارة عن: إما مؤسسة تجارية، متى ما توقفت أرباحها ستنتهي، أو إلى انقلاب المعادلة، وستكون النساء حينها قوامات على الرجال!

النمط الثاني: النمط الانتقائي:

أي أن يكون اختيار الزوج للزوجة هو بحسب المزاجية، فبمجرد أن يُعجبه شكلها -من النظرة الأولى- مثلاً فهو يختارها زوجة، دون مراعاة المعايير والضوابط الإسلامية أو حتى العقلانية في الاختيار.

ومما يؤسف له أن الجمال لا يحمل صفة الديمومة، فهو يذهب بمرور السنين، أو بعد الولادة لأول طفل، أو حتى بالتعرض لحادث مفاجيء (وكذا غاية الغصون الذبول)، كما أن الجمال ليس له مستوى واحد، بل هو بنسب متفاوتة ومتنوعة، فكل جميل يوجد من هو أجمل منه، وهكذا يبقى الانتقائي ينتقل من جميلة إلى أجمل، وهكذا.

على أن هناك من النساء من تختار الزوج على أساس الجمال أيضاً.

وهذا الأساس للعلاقات غير رصين.

أيضاً اختيار الزوج أو الزوجة لأجل الأموال فقط، هو نمط انتقائي، إذ إن المال كالزئبق، كلما حاولت الإمساك به، انساب من بين أصابعك، فالتقلبات الاقتصادية وتغيرها متوقعة، فيمكن أن تذهب بالمال أدراج الرياح.

هذا أيضاً أساس موهون وغير متين لتأسيس علاقة.

ومنه ما يكون الاختيار فيه عن طريق الأب أو الأم من دون أن يكون للزوج أو الزوجة إرادة في ذلك، كما قد تفرض بعض الأعراف ابنة العم لابن العم، وهذا أيضاً غير صحيح.

بعض الشباب يوكل اختيار الزوجة للأب والأم، وهذا -نوعاً ما- صحيح في مستوى معين، هو صحيح في مستوى عمق تجربة الأبوين في اختيار الصالح، وفي نظرتهم البعيدة، يشفع في كل ذلك حبُّهما لولدهما وبحبها له عن الأصلاح، ونفس

الكلام يُقال في البنت، ولكن بالتالي هو من عليه أن يحدد الصفات التي يرغب بتوفرها في زوجة المستقبل.

وكذا على الفتيات أن يُحسِّن الاختيار ويحدِّد الصفات التي تريدها.

هذا النمط يؤدي في بعض الأحيان إلى أن يحاول الطرف الآخر البحث عن أقرب فرصة للخلاص من هذا السجن، أو من هذه العلاقة الخالية من روح التعاطف والودِّ، وربما -ولو على المدى البعيد- يفتح الباب للخيانة ولو بالتدريج، وحينها قد تقع كارثة بالأسرة لا تنتهي إلا بهدّها!

النمط الثالث: النمط الجاف (الصحراوي):

في هذا النمط قد يكون الاختيار صحيحًا من البداية، ولكن بعد فترة قليلة من الزواج -وشيئاً فشيئاً- تبدأ العلاقة بالجفاف العاطفي.

الجفاف العاطفي هو ما يسمى في علم النفس (بالطلاق العاطفي)، ففعلياً الزوجان معاً ويعيشان في بيت واحد، ولكن كل واحد منهما يعيش عالمه، لا يوجد بينهما ودٌّ، ولا تقارب، وقد يتناسى كل واحد منهما أن هناك طرفاً آخر معه في العلاقة يحتاج إلى الاهتمام والرعاية...

نمط لا يُرى للتعاطف، والتسامح، والودِّ، أثر فيه، فتجد الرجل او المرأة -كل منهما- مشغول بعالمه الخاص وبمهامه وعلاقاته الثانوية، وهذا ما يؤدي الى تصحّر تلك العلاقة.

النمط الرابع: النمط الإسلامي الواقعي:

وهو نمط ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً

وَرَحْمَةً﴾ [الروم ٢١]

الذي تجد المرأة نفسها فيه أميرة مملكتها، والرجل يعتبر بيته المكان الوحيد الذي يرتاح فيه نفسياً ويزيح فيه همومه.

هذا النمط هو الذي يُشير إليه الإمام زين العابدين عليه السلام ويرسم خطوطه العامة في قوله عليه السلام: «وأما حق الزوجة، فأَنْ تعلم أَنَّ اللهَ جلَّ وعزَّ جعلها لك سكناً وأُنساً، فتعلم أَنَّ ذلك نعمة من الله عليك، فتكرمها وترفق بها، وإنَّ كان حقُّك عليها أوجب، فإن لها عليك أن ترحمها؛ لأنَّها أسيرك، وتطعمها وتكسوها، فإذا جهلت عفوت عنها»^(١).

«وأما حقَّ الزوجة فإن تعلم أن الله جعلها لك سكناً وأُنساً» وليست الزوجة فقط من تُشكِّل سكناً وأُنساً للزوج، كذلك الزوج يُشكِّل سكناً وأُنساً للزوجة، فكلاهما أُنس وسكن للآخر، وإذا توفر هذا النوع من العلاقة فإنه سيطرت عليها أثر، وهو ما يشير إليه إمامنا زين العابدين عليه السلام: «وتعلم أَنَّ ذلك نعمة من الله» فحصول كلا الطرفين على من يُمثِّل له الأُنس والسكن هي نعمة عظيمة من الله جلَّ وعزَّ.

إذا توفرت هذه الزوجة بهذا الوصف فعليك أيها الزوج «أن تُكرمها»، فتلك المرأة التي كانت مدللة في بيت والدها أصبحت زوجة لك، أعطت لزوجها أعلى ما تملك، فعليك أن ترفق بها وتراعيها.

ثم يقول إمامنا السجاد (سلام الله عليه): «وإن كان حقُّك عليها أوجب» نعم، فحقُّ الزوج أعظم، فالرواية عن النبي الأعظم عليه السلام تقول: «لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لِأَمْرَتِ الْمَرْأَةِ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»^(٢).

(١) الخصال للشيخ الصدوق ص ٥٦٧.

(٢) في الكافي للكليني (ج ٥ ص ٥٠٧ - ٥٠٨ باب بَابُ حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى الْمَرْأَةِ ح ٦) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «أَنَّ قَوْمًا أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا رَأَيْنَا أَنَا سَاءً يَسْجُدُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله: لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لِأَمْرَتِ الْمَرْأَةِ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا».

بل روي في حق الزوج على زوجته: «هو جنتك و نارك»^(١).
 إلا أنّ الإمام (صلوات الله وسلامه عليه) يقول: «فإنّ لها عليك أن ترحمها لأنّها
 أسيرك، وتطعمها، وتكسوها» وهذه النفقات الواجبة للزوجة على الزوج «وإذا جهلت
 عفوت عنها».

بهذه الخطوط العامة تتأسس لدينا أسرة اسمها (أسرة المودة والرحمة).
 بعض العلماء عنده التفاتة لطيفة يقول: هذه المودة تكون بين الزوجين في مرحلة
 الشباب، ولكن بعد الكبر هناك قضايا تذهب وتبقى بينهم الرحمة.
 كيف يتحقق هذا النوع من الأسر؟ وكيف يمكننا الوصول إليه؟
 هناك عدّة محاور لا بدّ من مراعاتها لتحقيق ذلك:

المحور الأول: المحور الإداري:

إذا نظرنا إلى الأسرة من جانب إداري، فإنها عبارة عن مؤسسة، ولكنها مصغّرة،
 وإذا لم يكن هناك تنظيم وفق منهجية وهيكلية إدارية معينة، فستعمّ الفوضى داخل هذه
 المؤسسة الصغيرة، والإسلام يرسم خطوط هذا التنظيم، فالولاية للأب «كلكم راع
 وكلكم مسؤول عن رعيته»^(٢).

(١) في مسند أحمد ج ٦ ص ٤١٩: عن حصين بن محصن أن عمته له أتت النبي ﷺ في حاجة ففرغت من حاجتها فقال لها: أذات زوج أنت؟ قالت: نعم. قال: فأين أنت منه. قال يعلى: فكيف أنت له؟ قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه. قال: انظري أين أنت منه، فإنه جنتك و نارك.

(٢) في عوالي اللئالي لابن أبي جمهور الإحسائي ص ١٢٩ الفصل الثامن ح ٣: قال ﷺ: كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته. فالإمام راع وهو المسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع، وهو مسؤول عن رعيته. والمرأة في بيت زوجها راعية، وهي مسؤولة عن رعيته. والخادم في مال سيده راع. وهو مسؤول عن رعيته. والرجل في مال أبيه راع، وهو مسؤول عن رعيته. وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

وهذه مسؤولية عظيمة تقع على عاتق الأب، إذ يفترض به أن يتعامل مع الأم والأولاد بالشكل الذي لا يخرجهم عن جادة الصواب، وذلك عن طريق توفير احتياجاتهم المادية والمعنوية، وعدم إهمالهم، وتوفير جميع أسباب الحياة الكريمة، بالإضافة إلى متابعة كل فرد من أفراد هذه الأسرة على كل المستويات، كل ذلك مترتب على قيمة الرجال على النساء وإعطائه دور الولاية على الأسرة.

ويترتب عليه: أن البنت الباكر لا يحق لها أن تتزوج إلا بإذن أبيها أو جدّها لأبيها، والزوجة لا يحق لها الخروج من بيت زوجها إلا بإذنه، نعم توجد مستثنيات، كخروج المرأة للحج الواجب، حتى لو لم يأذن لها الزوج بالخروج، لأنه فرض فرضه الله ﷻ عليها. وكما أن للزوج حق الإدارة، فالزوجة أيضاً يجب أن يكون لها دور داخل الأسرة، ومن الخطأ أن لا يجعل الزوج أي دور واحترام للزوجة داخل الأسرة.

كما يجب أن تحافظ الزوجة على احترام زوجها داخل الأسرة بحضوره وغيابه. المحافظة على أجواء الاحترام عموماً داخل الأسرة أمر ضروري.

ولابدّ من التنظيم الإداري وتوزيع المهام بين الزوجين، وأن يكون بينهما اتفاق على كيفية حلّ المشاكل بعقلانية كي يلجأ الأولاد للأب أو الأم في حال تعرضهم لمشكلة معينة.

وبهذا نضمن بقاء الأبناء تحت إشراف الوالدين، وعدم لجوئهم للغريب لحلّ مشاكلهم.

إن مراعاة هذه الامور المهمة من شأنها أن تتكفل بتكوين أسرة يسودها الودّ والتفاهم.

المحور الثاني: العلاقة الشخصية بين الرجل والمرأة:

في رواية عن الرسول الأعظم ﷺ: «قَوْلُ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ إِنِّي أُحِبُّكَ لَا يَذْهَبُ مِنْ قَلْبِهَا أَبَدًا»..^(١)

كلمة بسيطة قد يكون كلا الطرفين يبذلها لجميع الناس، ولكن حينما يصل الدور لشريك حياته يشحّ بها عليه، سواء الزوج أو الزوجة، في حين أنها يجب أن تكون بينهما بكثرة؛ لأن الكلام الجميل يعمل عمل الماء في الأرض اليابسة. وهناك جانب آخر للعلاقة الشخصية، وهو: التهيؤ والتزين، عادة ما تهتم المرأة بزینتها ومظهرها، ولكن الرجال -بعضهم على الأقل وليس جميعهم- وللأسف لا يهتم بهذا الجانب.

عن الحسن الزيات البصري، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام أنا وصاحب لي، وإذا هو في بيت منجد (أي مزین)، وعليه ملحفة وردية، وقد حفّ لحيته واكتحل، فسألناه عن مسائل، فلمّا قمنا قال لي: «يا حسن»، قلت: لبيك، قال: «إذا كان غدّ فائتني أنت وصاحبك»، فقلت: نعم جُعلت فداك، فلمّا كان من الغد دخلت عليه وإذا هو في بيت ليس فيه إلا حصير، وإذا عليه قميص غليظ، ثمّ أقبل على صاحبي فقال: «يا أخا أهل البصرة، إنك دخلت عليّ أمس وأنا في بيت المرأة، وكان أمس يومها، والبيت بيتها، والمتاع متاعها، فتزینت لي على أن أتزين لها كما تزینت لي، فلا يدخل قلبك شيء»، فقال له صاحبي: جُعلت فداك، قد كان والله دخل في قلبي شيء، فأما الآن فقد والله أذهب الله ما كان، وعلمت أن الحقّ فيما قلت».^(٢)

وهل يوجد من هو أعلم وأورع وأزهد من الإمام الباقر عليه السلام؟ ومع ذلك نراه أعطى

(١) الكافي للكليني ج ٥ ص ٥٦٩ باب نوادر ح ٥٩.

(٢) الكافي للكليني (٦: ٤٤٨، ٤٤٩) / باب لبس المعصفر / ح ١٣.

للزوجة حقوقها.

وعن الحسن بن جهم قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام اختضب فقالت: جعلت فداك، اختضبت؟! فقال: نعم، إن التهيئة مما يزيد في عفة النساء، ولقد ترك النساء العفة بترك أزواجهن التهيئة. ثم قال عليه السلام: أيسرك أن تراها على ما تراك عليه إذا كنت على غير تهيئة؟ قلت: لا. قال عليه السلام: فهو ذاك، ثم قال عليه السلام: من أخلاق الأنبياء التنظف والتطيب وخلق الشعر وكثرة الطرؤفة...» (١).

وفي رواية أخرى أن الإمام الرضا عليه السلام قال له: «... أما علمت أن في ذلك لأجراً؟ إنها محبب أن ترى منك مثل الذي تحب أن ترى منها في التهيئة، ولقد خرجن نساء من العفاف إلى الفجور، ما أخرجهن إلا قلة تهيؤ أزواجهن» (٢).

لو لم تتحقق التهيئة من الرجل، فلعل المرأة تبدأ بالنظر للخارج، خصوصاً وأن بعض العوائل تسمح للمرأة بالنظر -ولو من خلال التلفاز-، وهنا ستبدأ بملاحظة الفرق بين زوجها وزوج صديقتها مثلاً! وهذا ما يؤدي إلى مخاطر جسيمة لا تحمد عقباها، فعلى الرجل أن يهتم بنفسه وبنظافته، فالرسول الأكرم عليه السلام كان لا يخرج إلى أصحابه حتى يمشط شعره ويضع العطر (٣)، وأئمتنا (صلوات الله وسلامه عليهم) أيضاً لم يروا على حال سيئة، فقد كانوا يهتمون بأنفسهم.

في نمط آمن للأسرة مثل هذا، قد توفرت فيه هذا المقتضيات، ستجد السعادة تملأ أرجاءه، وسترى بيتاً مليئاً بالودِّ والحبِّ ومليئاً بروح التعاون، رغم قلة ذات اليد وصعوبة الحياة.

بيت أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) ماذا كان فيه؟ السيدة فاطمة

(١) الكافي للكليني ٥: ٥٦٧ / باب نوادر / ح ٥٠.

(٢) مكارم الأخلاق للطبرسي: ٨١.

(٣) مكارم الأخلاق للطبرسي: ٣٢-٣٣.

الزهراء (سلام الله عليها) زُفت وهي لا تملك سوى ثوبين، ثوب الزفاف وثوب تلبسه، وفي صباح العرس طرقت الباب فقيرة فأعطتها ثوب الزفاف هدية، طحنت بيدها حتى مجلت يداها، وكنت البيت حتى اغبرّ وجهها، وكان أمير المؤمنين (سلام الله عليه) يساعدها في تنقية العدس، وما كان من عملٍ خارج البيت يتكفله هو، فأصبح بيته يضرب به المثل في التعاون والحبّ والمودة والرحمة.

من كل ما تقدم نخلص إلى التالي:

١/ إن التفاهم والمودة المتبادلة بين الزوجين، ستنعكس إيجاباً على حياة الأولاد؛ إذ سيعيشون الاطمئنان ويستشعرون الأمان في داخل البيت، على عكس الزوجين الذين تملأ حياتهم المشاكل والمشاكسات، فإن البيت حينها سيتحول إلى سجن للأولاد، وسيبحثون عن متنفس لهم خارجه، وحينها قد تسرقهم المقاهي الموبوءة أو الأماكن المشبوهة!

٢/ على الأبوين أن يُقدّما النصائح المهمة للأولاد فيما يتعلق باختيار الزوجة -أو الزوج للبت-، ويتركاهم الخيار، لكن لو صادف أن اختيار الأولاد كان خاطئاً -بحكم العقل والشرع- فعلى الأبوين أن يقفوا وقفة قوية ضدّ ذلك، وحتى لو أحسّ الأولاد بتجبرّ الآباء -حسب نظرهم السطحية والسادجة- لكنهم عاجلاً أو آجلاً سيرضخون للحقيقة، وسيعرفون أن الأبوين كانا على صواب.

طبعاً هذا لا يبرر تعسّف بعض الآباء وإجبار الأولاد على الزواج من دون رغبة ولا تخطيط ولا تكافؤ.

٣/ التغافل عن المشاكل، والصبر، والهدوء، وعدم استعجال الحكم، أمور ضرورية جداً لاستمرار سفينة الأسرة بالإبحار في عباب بحار الحياة، وإلا، فإنها ستغرق في أول موجة مشاكل ولو كانت بسيطة.

المفردة الثالثة: العلاقة مع الأولاد

العلاقات في مجملها يمكن أن نقسمها إلى قسمين:

القسم الأول: علاقات ذات حقوق من طرف واحد.

أي إنه توجد منظومة حقوق، لكنها من طرف واحد، والطرف الآخر ليس له إلا الواجبات والإلزامات تجاه الطرف الأول.

كيف يمكن لنا ان نتصور هذا النوع من العلاقة؟

نذكر لذلك مفردتين:

المفردة الأولى: هي علاقتنا مع الله ﷻ ونبيه ﷺ والأئمة عليهم السلام، فالحقوق في هذه العلاقة من طرف واحد، فإن لله ﷻ حقوقاً علينا نابعة من كونه مالكاً حقيقياً لنا وهو الرازق والمنعم علينا، فتترتب على أثر تلك النعمة الكثيرة علينا بأن الله تعالى حقوقاً علينا. وهل يتولد حق للإنسان على الله ﷻ إذا التزم بتأدية الواجبات وترك المحرمات؟

الجواب: كلا، لا يوجد أي حق للإنسان على الله ﷻ؛ لأن كل ما لديه هو في الحقيقة منه سبحانه، فمثلاً لولا العقل الذي وهبه الله ﷻ للإنسان لما تنعمت بنعمة الهداية لطاعته سبحانه، ولولا رزق الله ﷻ لما أنفق في سبيله تعالى... وهكذا لو تأمل الإنسان لوجد أنه لا يملك سوى أن يقدم الشكر لله ﷻ، وحتى هذا الشكر هي نعمة لا بد من أداء حق شكرها، وكما يبين إمامنا السجاد (صلوات الله عليه) في مناجاة الشاكرين ذلك ويعلمنا أنه إنما يكون بتوفيق من الله سبحانه: ﴿فَكَيْفَ لِي بِتَحْصِيلِ الشُّكْرِ وَشُكْرِي إِيَّاكَ يَفْتَقِرُ

إِلَى شُكْرٍ فَكَلَّمَا قُلْتُ لَكَ الْحَمْدُ وَجَبَ عَلَيَّ لِذَلِكَ أَنْ أَقُولَ لَكَ الْحَمْدُ. (١)

فلا يتصورنَّ أحدٌ أنه بمجرد تأديته لما عليه من حقوق تجاه رب العالمين، أنه يستوجب بذلك حقوقاً له على الله جلَّ وعلا.

عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُمَانَ قَالَ: خَرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام مِنَ الْمَسْجِدِ وَقَدْ ضَاعَتْ دَابَّتُهُ، فَقَالَ: لَيْتَ رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيَّ لِأَشْكُرَنَّ اللَّهَ حَقَّ شُكْرِهِ. قَالَ: فَمَا لَبِثَ أَنْ آتَى بِهَا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ. فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: جُعِلَتْ فِدَاكَ، أَلَيْسَ قُلْتَ لِأَشْكُرَنَّ اللَّهَ حَقَّ شُكْرِهِ؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَلَمْ تَسْمَعْني قُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ. (٢)

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ فِيهَا أَوْحَى اللَّهُ صلى الله عليه وآله إِلَى مُوسَى عليه السلام: يَا مُوسَى، أَشْكُرِي حَقَّ شُكْرِي. فَقَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أَشْكُرُكَ حَقَّ شُكْرِكَ، وَلَيْسَ مِنْ شُكْرٍ أَشْكُرُكَ بِهِ إِلَّا وَأَنْتَ أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ؟! قَالَ: يَا مُوسَى، الْآنَ شَكَرْتَنِي حِينَ عَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ مِنِّي. (٣)

نعم، إن الله تعالى من رحمته وجوده وكرمه وعدنا بأن يُدخلنا الجنة إذا ما أدينا الواجبات واجتنبنا المحرمات، فالجنة ليست من استحقاقنا، وإنما هي بفضل من الله تعالى وجوده ورحمته، وهذا ما تشير له مضامين أدعية الأئمة عليهم السلام بما مضمونه: «اللهم لا تعاملنا بعدلك وإنما برحمتك»، فمن دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة: «وَأَنَّكَ الْحَكْمُ الْعَدْلُ الَّذِي لَا تَجُورُ، وَعَدْلُكَ مُهْلِكِي، وَمِنْ كُلِّ عَدْلِكَ مَهْرِي، فَإِنْ تُعَذِّبْنِي يَا إِلَهِي فَيَذُنُونِي بَعْدَ حُجَّتِكَ عَلَيَّ، وَإِنْ تَعَفُّ عَنِّي فَيَجْلِمَكَ وَجُودِكَ وَكَرَمِكَ.».

لو تعامل البارئ جل وعلا معنا بعدله لأنتج: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾

(١) من مناجاة الشاكرين.

(٢) الكافي للكليني (ج ٢ ص ٩٧ باب الشُّكْر ح ١٨).

(٣) الكافي للكليني (ج ٢ ص ٩٨ باب الشُّكْر ح ٢٧).

وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿[النحل ٦١]

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر ٤٥].

ولذلك فإنه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم ٤١]

فلو تعامل معنا الله تعالى وبالدقة وحاسبنا على الصغيرة والكبيرة، لمَا بقي على وجه الأرض أحد.

إذًا، لله ﷻ الحق علينا ولاحق لنا عليه سبحانه، وهذا من الحقوق التي هي من جانب واحد.

ويدخل في طول حقه جل وعلا حق النبي ﷺ وحق الإمام ﷺ.

المفردة الثانية: العطاء من دون مقابل.

كأن يكرمك إنسان لا تربطك به معرفة سابقة، وليس لك أي حق عليه، ولا ينتظر منك مقابلاً، سيصبح هو صاحب حق، وليس للطرف المقابل أي حق عليه.

القسم الثاني: علاقات ذات حقوق متبادلة أو منعكسة.

أي أن يكون لطرف حق على الطرف الآخر، وبنفس الوقت عليه واجبات تجاه الطرف الآخر، كحق الزوج على الزوجة وحق الزوجة على الزوج، صاحب العمل أيضاً عليه وله حقوق متبادلة تجاه من يقوم له بالعمل.

ومنه نعلم أن البعض يعيش خللاً منهجياً، حيث ينظر للحق الذي له ولا ينظر للواجبات التي عليه! فيجب أن يكون التوازن حاضراً في هذا الجانب.

ومن الحقوق المتبادلة أيضاً هي حقوق الآباء والأبناء.

نحن كثيراً ما نتحدث عن حقوق الوالدين وبرّهم، ولكننا ننسى أنه كما أن للوالدين حقوقاً على الولد، فإن هناك حقوقاً للولد على والديه، والإنسان إذا لم يعتنِ بهذا الحقّ المتبادل، فإنه يقع في خلل منهجي، ولعله يحكم على المنظومة الإسلامية بأن فيها خللاً؛ لأنّ الطرف الآخر صار مهمشاً!

ماهي حقوق الأبناء التي يلزم على الآباء مراعاتها؟

قال الإمام السجاد عليه السلام: وأما حق ولدك: فأنت تعلم: أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنت مسؤول عما وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربه ﷻ، والمعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عملاً من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه. ^(١)

يمكن لنا أن نخرج بجملته من الحقوق للأبناء على الآباء من مجمل هذه الكلمة، ومنها:

١/ صناعة السمعة الطيبة.

أي أن يصنع الوالدان سمعة حسنة لولدهما بين أصدقائه ومعارفه، وذلك عن طريق:

أ/ اختيار الزوجة الصالحة، لأنه إذا أساء الاختيار فسيؤثر سلباً على سمعة أبنائه مستقبلاً، وهذا أمر وجداني واقعي. وقد جاء في الروايات: (طوبى لمن كانت أمه عفيفة). ^(٢)

(١) الخصال للشيخ الصدوق ص ٥٦٨.

(٢) في علل الشرائع للشيخ الصدوق (ج ٢ ص ٥٦٤ باب ٣٦٣ العلة التي من أجلها لا يدخل ولد الزنى الجنة) عن سعد بن عمر الجلاب قال: قال لي أبو عبد الله ﷺ: إن الله تعالى خلق الجنة طاهرة مطهرة فلا يدخلها إلا من طابت ولادته، وقال أبو عبد الله ﷺ طوبى لمن كانت أمه عفيفة.

وكذا الحال بالنسبة للمرأة، فإن عليها اختيار الزوج الصالح، لأن الاختيار المناسب سيوجد سمعة طيبة للأبناء.

ب/ أن يراعي الآباء والأمهات تصرفاتهم، لأنها إذا لم تكن على مستوى المسؤولية فإنها ستعكس سلباً على سمعة أبنائهم.

قد لا يبالي الفرد بما يعمله من سلوكيات خاطئة، ولكن ليكن معلوماً أن تصرفاته ربما تتحول إلى عنوان يوصم به أولاده، فالناس ربما لا تنسب الفعل إلى فاعله فحسب، وإنما قد تُلصقه بكل من يمتُّ إلى فاعله بصلة، كما يُنقل هذا الأمر في قبيلة أنف الناقة.^(١) علينا أن نتأمل في هذا المعنى -بعيداً عن الأمثلة-

٢/ صناعة عقل الطفل.

يعبر أمير المؤمنين عليه السلام عن الطفل بقوله: «إِنَّمَا قَلْبُ الْحَدِثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُقْبِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلَتْهُ»^(٢).

مما يعني أن صناعة الطفل وعقله وسلوكياته إنما تكون بيد المؤثرين عليه في بدايات حياته، وهي مسؤولية عظيمة تُلقى على كل من الأسرة والمدرسة.

(١) قال ابن الكلبي، عن رجل من بني أنف الناقة يقال له: إسمايل، قال: إِنَّمَا سُمِّيَ جَعْفَرُ بْنُ قَرِيحٍ بِنِ عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمِ بْنِ أَنْفِ النَّاقَةِ، لِأَنَّ قَرِيحاً نَحَرَ جَزوراً، فَسَمَّيَهَا فِي نِسَائِهِ، وَكَانَ عِنْدَهُ ثَلَاثُ نِسْوَةٍ، مِنْهُمُ: الشَّمُوسُ بِنْتُ الْقَمَرِ، مِنْ بَنِي وَائِلِ بْنِ سَعْدِ بْنِ هَذِيمِ بْنِ قِضَاعَةَ، أُمُّ جَعْفَرِ بْنِ قَرِيحٍ، فَقَالَتْ: انْطَلِقِ إِلَى أَبِيكَ، فَانظُرْ هَلْ بَقِيَ عِنْدَهُ شَيْءٌ، فَأَتَاهُ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ إِلَّا رَأْسَ الْجَزُورِ، فَأَخَذَ بِأَنْفِهَا يَجْرُهُ، فَقِيلَ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: أَنْفُ النَّاقَةِ، فَسُمِّيَ بِذَلِكَ. وَكَانُوا يَغْضِبُونَ مِنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا مَدَحَهُمُ الْحَطِيبَةُ الشَّاعِرُ صَارَ مَدِيحاً، مَدَحَ بَغِيضَ بْنِ عَامِرِ بْنِ لَأْيِ بْنِ شِهَاسِ بْنِ أَنْفِ النَّاقَةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ:

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا

(الأنساب للسمعاني ٤: ٤٨٦).

(٢) نهج البلاغة: ٣٩٣/ ح ٣١.

وتتم صناعة العقل من خلال:

أ/ الاهتمام بتعليمه القراءة والكتابة.

ب/ تعليمه العقيدة الصحيحة، ومتابعته؛ لئلا تحرف عقيدته، «بادروا أولادكم [أحداثكم] بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة^(١)»^(٢).

ج/ توفير الجو المناسب لنمو عقله.

٣/ بناء شخصيته.

وعدم الإفراط في دلاله، إذ الدلال الزائد قد يجعله غير قادر على الإحساس بالمسؤولية وتحملها، فيتوجب على الآباء التوازن في هذا الجانب، فلا إفراط ولا تفريط، لا القسوة الزائدة ولا الدلال المفرط.

من هنا، نجد أن المعصومين عليهم السلام كانوا يتعاملون بدقة مع أولادهم، ليحكوا لنا التربية الصحيحة المتضمنة لإعطاء الحقوق المتبادلة كل إلى أهله.

التربية المتبادلة:

أشرنا في بداية هذه المفردة إلى أن العلاقة بين الوالدين وأولادهما هي علاقة تبادلية، وتطبيقاً لهذه الحقيقة نفتح ملفاً مهماً وعملياً ومربياً لكلا طرفي العلاقة هذه، وهو ملف: كيف يربينا أولادنا؟!

التربية كمفهوم عملي تعني: مراعاة السلوك الفردي - أو الجماعي - ليكون متوافقاً

(١) أي علموهم في شرح شبابهم، بل في أوائل إدراكهم وبلوغهم التمييز من الحديث ما يبتدون به إلى معرفة الأئمة عليهم السلام والتشيع قبل أن يغويهم المخالفون ويدخلوهم في ضلالتهم، فيعسر بعد ذلك صرفهم عن ذلك، والمرجئة في مقابلة الشيعة من الإرجاء بمعنى التأخير لتأخيرهم علياً عليه السلام عن مرتبته. وقد يُطلق في مقابلة الوعيدية إلا أن الأول هو المراد هنا. (هامش المصدر).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦ / ص ٤٧ / باب تأديب الولد/ ح ٥) عن أبي عبد الله عليه السلام.

مع المبادئ التي يؤمن بها الفرد.

تعني: أن يصوغ الفرد سلوكه وسلوك من هم تحت دائرة مسؤوليته بصياغة مستقيمة.

وحتى يتحقق هذا المعنى، نحن بحاجة إلى معرفة تفصيلية بالقواعد المنهجية للتربية.

نحن بحاجة إلى مصادر عديدة لزيادة هذه المعرفة، كالتجربة، وسؤال أهل الاختصاص، وملاحظة سلوك الآباء الناجحين مع أولادهم، وما ورثناه من أهلنا من طرق تربية رأيناها ناجعة معنا، وغيرها من المصادر.

النكته هنا: أننا قد نغفل عن أن أولادنا يمكن أن يكونوا مصدر تربية لنا!

بمعنى: أن المعروف من التربية هو قيام الآباء بصياغة سلوك الأبناء وتعديله وتشذيبه، أما أن يقوم الأبناء بتربية الآباء وصياغة سلوكهم وتعديله، فهذا ما يحتاج إلى تأمل ووقفة جادة.

فهل من الصحيح أن لدى الأبناء القدرة على تربية الآباء؟

الجواب: نعم، بكل تأكيد، بمعنى أننا يمكن أن نستفيد من أبنائنا ووجودهم وسلوكياتهم في تعديل سلوكنا أو إلفات نظرنا إلى ما غفلنا عنه من سلوكيات صائبة، وحتى تتضح الصورة نذكر التالي:

الخطوة الأولى: أصل وجود أولادنا في حياتنا.

إن وجود الأولاد في حياتنا يُربِّينا تربية مفيدة جداً إذا لاحظنا الأمور التالية -مع الالتفات إلى أن بعض ما نذكره هنا لا يمثل قاعدة مطّردة تشمل جميع الآباء، إنما هي أمور عقلانية يستفيد منها من يُحكّم عقله ويتبع الموعدة، لا المعاند والمكابِر والغافل

واللا أباي-:

الأمر الأول: إن إنجاب الذرية يجعل الأبوين يشعران بأنه انفتح لهما باب الخلود من خلال أولادهما، خصوصاً إذا ما رزقها الله تعالى الذرية من دون مراجعات كثيرة للأطباء، ومن دون إنفاق الكثير من المال من أجل الحصول على ولد، كما يحصل لبعض المتزوجين.

وفي ذلك روي عن الرسول الأكرم ﷺ: إن لكل شجرة ثمرة، وثمره القلب الولد.^(١)

إن هذا المعنى يقتضي من الآباء أن يشكروا ربهم ويحمدوه، فنحن إذاً نتقرب إلى الله تعالى أكثر عندما تُرزق بالذرية ونستشعر الرحمة الإلهية بذلك، مما يعني أن أصل وجود الذرية يجعلنا نتقرب معنوياً أكثر من خالقنا وبارئنا.

خصوصاً وأن وجود الأولاد في حياة الأبوين يعني رفع بعض المسؤوليات عن كاهلها كما هو مشاهد بالوجدان، وهو ما حكاه الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله: «إِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ مَتَجَرُّهُ فِي بَلَدِهِ وَيَكُونَ خُلَطَاؤُهُ صَالِحِينَ، وَيَكُونَ لَهُ وُلْدٌ يَسْتَعِينُ بِهِمْ».^(٢)

هذا فضلاً عن أن وجود الذرية يفتح باباً للعمل الصالح الذي يستمر حتى بعد الموت، فإن دعاء الولد لأبيه بعد موته نافع للأب والأم بلا أدنى شك، وكفى بهذا المعنى دافعاً لإنجاب الأولاد، وما أجمل ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إِنَّ فُلَانًا -رَجُلًا سَمَاءَ- قَالَ: إِنِّي كُنْتُ زَاهِدًا فِي الْوَلَدِ، حَتَّى وَقَفْتُ بِعَرَفَةَ، فَإِذَا إِلَى جَانِبِي غُلَامٌ شَابٌّ

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٦ ص ٤٥٧٤٥٧ ح ٤٥٤١٥.

(٢) الكافي للكليني ج ٥ ص ٢٥٧ باب أن من السعادة أن يكون معيشة الرجل في بلده ح ١.

يَدْعُو وَيَبْكِي وَيَقُولُ: يَا رَبَّ وَالِدَيَّ وَالِدَيَّ، فَرَعَّبَنِي فِي الْوَالِدِ حِينَ سَمِعْتُ ذَلِكَ» (١).

الأمر الثاني: البعض من الشباب -ذكوراً وإناثاً- لا يلتزمون بالتقاليد والأعراف بل والدين، لكننا رأيناهم بمجرد إنجاب الذرية قد غيروا من سلوكهم نحو الأفضل، وكأن ولادة الأطفال تعطيهم جرعة من الهدوء والسكينة والتفكير ملياً قبل الإقدام على تصرف أهوج، لأنهم -أي الآباء- صاروا يفكرون بعناصر جديدة أضيفت إلى حياتهم، وهم مسؤولون عنهم، مما يقتضي ترك بعض نزواتهم لأجلهم.

إن وجود الأولاد يعلمنا على تحمّل المسؤولية وأدائها -في الغالب- فربما تكون الفتاة مدللة أهلها قبل الزواج، ولم تتعود أن تتحمل أي مسؤولية، لأنها تجد كل شيء حاضراً لها، أما بعد الزواج، وبعد الإنجاب بالخصوص، فإنها تبدأ تشعر بوجودها بأنها أصبحت مسؤولة على أولادها، وأنه يلزمها أداء تلك المسؤولية بكل جدّ وصبر، مما يؤدي إلى صياغة الشخصية نحو الأفضل.

ونفس الكلام يُقال في الرجل.

يُضاف إلى ذلك: أن من مسؤولية الآباء هو صنع السمعة الجيدة لأولادهم، إذ الأولاد يُعرفون بالآباء، خصوصاً في بدايات حياتهم، وبالتالي على الآباء أن يعملوا على أن يكونوا بحيث لا يُعيّر أولادهم بهم، وهذا ما يعني التزام الآباء بسلوكيات إيجابية، وابتعادهم عن السلبية منها.

وإلى هذا المعنى يُشير ما روي عن رسول الله ﷺ: ما نحل والدٌ ولده أفضل من أدب

حسن. (٢)

(١) الكافي للكليني ج ٦ ص ٣ باب فضل الولد ح ٥.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٦ ص ٤٥٦ ح ٤٥٤١١.

وفي رواية أخرى: ما ورث والدٌ ولده أفضل من أدب.^(١)
وهنا، تكمن نقطة أخرى من تربية أولادنا لنا ولو من طرف خفي.
من هنا، قد نرى بعض الآباء والأمهات يعملون على تطوير مهاراتهم الحياتية،
لأجل التواصل مع أبنائهم حيث إن الحياة تتطور مع تقدمهم بالسن، وحيث إنهم
يريدان أن يجعلوا أولادهم يفخرون بهم بين أصدقائهم وأترابهم.
الأمر الثالث: إن وجود الأولاد في حياة الأبوين، يفرض مسؤولية إضافية عليهم،
خصوصاً فيما يتعلق بالأمور المادية، مما يؤدي بالآباء إلى تقليل أو تنظيم مصاريفهم بما
يفي بمصارف أولادهم، وهذا يعني التضحية بالكثير من رغبات الآباء المادية، توفيراً
على الأولاد، مما يؤدي على المدى البعيد إلى العقلانية والمنهجية والتروي في التعامل مع
المال.

في الوقت الذي يمثل هذا التصرف ديناً في رغبة الأولاد، عليهم أن يوفوه لأبائهم
عند الكبر، هو يمثل خطوات تربوية للآباء أنفسهم، حيث يعلمهم الإيثار، والتضحية.
نذكر: أن هذا هو المفترض بالزوجين العاقلين، بمن حكماً عقلها جيداً، وإلا، فقد
رأينا ورأيتم العديد من الشباب الذين رموا بكاهل وعبء التربية مادياً ومعنوياً على
غيرهم، فربما رمى الزوج زوجته وأولادها على أهلها، وجعلها تكفهم لقمة عيشها
وعيش أولادها، وربما لم تبال الأم بأولادها، وبقيت على ما هي عليه من التبذير واللا
أبالية...

الأمر الرابع: عادة ما يؤدي وجود الذرية إلى الشفافية في التعامل بين الزوجين،
والتغافل عن تقصير بعضهم، كرامة وحباً بالأولاد، وإلى التخلي عن الأنانية حينما يفكر

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج١٦ ص ٤٦٠ ح ٤٥٤٣٥.

الآباء بأبنائهم أكثر من أنفسهم.

إن استمرار هذا المعنى بين الزوجين له ثمرات على عدة جوانب من حياتهما، أولها التفاهم، والتغاضي عن الأخطاء، والبناء على استمرار الحياة مهما كانت صعبة، وتحمل جشوبة العيش، والصبر على قلة ذات يد الزوج من قبل الزوجة، وتحمل بعض تصرفات الزوجة اللا مسؤولة من قبل الزوج، وكما تلاحظون، فإن كل هذه الأمور هي مسائل تربوية مهمة لاستمرار الحياة رغم مطباتها وعقباتها.

وهكذا يعمل وجود الأولاد في حياتنا على تغيير سلوكنا نحو الأفضل.

الأمر الخامس: إن ارتعاش القلب وخفقانه لو سقط ولدك على الأرض، ونسيان الأم النوم لو أصابه مرض، واختلال توازن الوالدين لو بكى الولد... وإن اشتداد الشوق لرؤية الأطفال لو غاب أحد الأبوين قليلاً عن البيت، وذهاب عناء تعب العمل عن الأم وعن الأب حينما يريان ابتسامة صغارهما، وغيرها من المواقف الكثيرة، كلها تكشف عن أحاسيس كانت عند والديكما -أيها الزوجان- من قبل، وكلها تعني أن الوقت قد حان ليرى الأبوان منكما ما كانا يرجوان، وكلها تدفعكما إلى أن تتعاملا مع والديكما برأفة أكثر، ورحمة أكبر.

حينها، يُفترض بالزوجة أن لا تقف حائلاً دون برّ زوجها بأبويه، بل عليها أن تقف إلى جانبه في ذلك، محتسبة تعب رعايتهما عند الله تبارك وتعالى، وراجية أن يرى أولادها ذلك من أبيهما فييران بهما.

هو أيضاً دافع مهم للزوج أن لا يقطع صلته بأهل زوجته، ولا يمنعها من التواصل مع أبيها كلما سنحت الفرصة.

كل ذلك هو ما كنا نسمعه من آبائنا وأمهاتنا -عندما كنا نعترض على بعض

تصرفاتهم معنا، حين نرى شدة تألم قلوبها علينا، واستغرابنا من ذلك، وربما اعتراضنا عليه في بعض الأحيان - فكانوا يقولون لنا: إنكم لن تُحسوا بما نحس به، ولن تشعروا به، إلا بعد أن تروا أولادكم! وإلا بعد أن تصبح أباً، وتصبحين أمّاً!

الأمر السادس: من الواضح للجميع ان تربية الأولاد تستلزم بذل الكثير من الجهد والوقت والمال من الأبوين، وخصوصاً الأم، ولن يستطيع الأبوان أداء مهمتهم في التربية ما لم يتحلّيا بالكثير من الصبر والتحمّل، فلسهر الليل، والمصارف الإضافية، ومتابعة شؤون الصغار، وإدارة أمورهم - ومنها ما تشمئز منه الأنفس - وتحمل صراخهم وإثارتهم للمشاكل التي يُصنّفها البالغون على أنها ساذجة، ولكن الصغار يتعاملون معها على أنها مشكلة العصر، كل ذلك لا يكون إلا مع الصبر وحبس النفس، خصوصاً من أبوين ناجحين، يتعاملان مع كل ذلك بشفافية وهدوء.

إن الأبوين يعملان في تربية أولادهما عمل المصدات التي توضع للسيارة لتمتص الصدمات التي تواجهها، فالجالس بالسيارة لا يكاد يشعر بها بالصدمات المتتالية التي تواجهها السيارة، وهكذا الأبوان -الناجحان طبعاً- يتحملان كل مشاق التربية من أجل أن يجعلوا الأولاد يعيشون حياة خالية من الصدمات أو تكاد.

فالأولاد على هذا يُربّوننا بطريقة تلقائية على الصبر والتحمل وعدم إظهار الشكوى لغير الله تبارك وتعالى، وفي ذلك فوائد جمّة للأبوين، تتسع لتشمل جميع مناحي الحياة التي تحفّها الصعوبات، ولا يمكن تجاوزها من دون صبر وضبط نفس.

ولتشجيع الأبوين أكثر على التزام الصبر في ذلك، نجد أن بعض الروايات الشريفة ذكرت لتحملها الأجر الكبير، فعن محمد بن مسلم، قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل يونس بن يعقوب فرأيته يئنُّ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «ما لي أراك تئنُّ؟»، قال: طفل لي تأذيت به الليل أجمع، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «يا يونس، حدّثني

أبي محمد بن عليّ، عن آباءه عليهم السلام، عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله أن جبرئيل نزل عليه ورسول الله وعليّ (صلوات الله عليهما) يتنان، فقال جبرئيل عليه السلام: يا حبيب الله، ما لي أراك تتنن؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: طفلان لنا تأذينا ببكائهما، فقال جبرئيل: مه، يا محمد، فإنه سيبعث لهؤلاء القوم شيعة إذا بكى أحدهم فبكاؤه لا إله إلا الله إلى أن يأتي عليه سبع سنين، فإذا جاز السبع فبكاؤه استغفار لوالديه إلى أن يأتي على الحدّ، فإذا جاز الحدّ فما أتى من حسنة فلوالديه وما أتى من سيئة فلا عليهما^(١).

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من بكى صبيّ له فأرضاه حتى يسكنه أعطاه الله (تعالي) من الجنة حتى يرضى»^(٢).

وروي أيضاً: «غمّ العيال ستر من النار»^(٣).

الخطوة الثانية: سلوك الأطفال الصغار، وكيف يربينا.

يُقصد من هذه الخطوة: أن التأمل في سلوكيات الأطفال العفوية، يكشف عن

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦ / ص ٥٢ و ٥٣ / باب النوادر / ح ٥).

(٢) الفردوس (ج ٣ / ص ٥٤٩ / ح ٥٧١٥)، نقله عنه الريشهري في تربية الطفل في الإسلام (ص ١١٩ / ح ٣٤٢).

(٣) في بحار الأنوار للعلامة المجلسي (ج ٧٣ / ص ١٦ و ١٧) عن المسيّب، قال: خرج أمير المؤمنين عليه السلام يوماً من البيت فاستقبله سلمان، فقال عليه السلام: «كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟»، قال: أصبحت في غموم أربعة، فقال له: «وما هنّ؟»، قال: غمّ العيال يطلبون الخبز والشهوات، والخالق يطلب الطاعة، والشيطان يأمر بالمعصية، وملك الموت يطلب الروح، فقال له: «أبشر يا أبا عبد الله، فإنّ لك بكلّ خصلة درجات، وإنّي كنت دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله [ذات يوم] فقال: كيف أصبحت يا عليّ؟ فقلت: أصبحت وليس في يدي شيء غير الماء، وأنا مغتمّ لحال فرخيّ الحسن والحسين عليهما السلام، فقال لي: يا عليّ، غمّ العيال ستر من النار، وطاعة الخالق أمان من العذاب، والصبر على الطاعة جهاد، وأفضل من عبادة ستين سنة، وغمّ الموت كفارة الذنوب، واعلم يا عليّ أن أرزاق العباد على الله سبحانه، وغممك لهم لا يضرّك ولا ينفع غير أنّك توجر عليه، وإنّ أغمّ الغمّ غمّ العيال».

احتوائها -عادة- على مفاصل ووقفات تربوية مهمة، لو استمرت معهم إلى آخر حياتهم، ولو عملنا -نحن الكبار- على الرجوع إليها والتزامها، لأثمرت ثماراً يانعة، نقطفها هنيئة في تعاملاتنا اليومية.

طبعاً لا يعني هذا أن كل سلوكياتهم كذلك، لكن المقصود أننا يمكن أن ننظر إلى بعض أفعالهم من زاوية معينة، بغض النظر عن زواياها الأخرى، لنرى مدى إمكان استفادتنا من هذه الزاوية التربوية.

وسنذكر بعضاً منها علّنا نُدرك البقية الباقية منها، ونعمل على إحياء الطفل الذي بين جوانحننا، ضمن النقاط التالية:

النقطة الأولى: سلامة القلب وشفافية التعامل.

إن الأطفال يتعاملون بشفافية تامة -عادة-، فهم لا يُضمرون شيئاً في دواخل نفوسهم، ويُظهرون ما يُبطنون بكل صدق وإخلاص، فإذا جاعوا طالبوا بالطعام أو بكوا حتى لو كنت أنت في اجتماع مهم، وإذا سُئلوا أجابوا بصدق حتى لو أوقعك صدقهم في حرج، وهم في العادة لا يتركون هذه الطبيعة إلا إذا صادفوا ضغطاً خارجية أو تربية منحرفة تمنعهم من البوح بالصدق والشفافية...

تعالوا الآن لنا نحن الكبار، تُرى، كم بقي من تلك الشفافية في نفوسنا، وكم وصل ضغط الظروف الخارجية علينا حتى تركنا الصدق جانباً مع نفوسنا قبل تعاملاتنا اليومية مع الآخرين؟

الأمر يستحق المتابعة أكثر.

النقطة الثانية: انعدام أوندرة الغل.

أنتم تلاحظون كم تحدث مشاكل بين الأطفال، تراها لأول وهلة وكأنها مشكلة

العصر لديهم، تفاقم بينهم حتى كأنك تعدم الحلول لها، وما إن تمرّ فترة زمنية قليلة، حتى تجدهم اجتمعوا من جديد، يتضحكون، يتناغون، يتلاعبون، وكأنهم نفس واحدة! هم يتناسون مشاكلهم بسرعة، ويرمون بالغلّ بعيداً عن قلوبهم وسلوكهم، ويرجعون إلى عهدهم الأول متحايين متفاهمين.

ما أحلاه من خُلق! وما أجمله من سلوك! أن تناسى الأضغان بيننا، وأن نقبل عذر من اعتذر منا، وأن نبحت عن عذرٍ لفعل صدر من أخ ثقة تجاههنا.

إن تناسى الغل والأحقاد هو من مقتضيات السعادة بلا أدنى شك، ولو لم يكن كذلك لما صرّح به القرآن الكريم كنعمة من نعم أهل الجنة، حيث يقول تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف ٤٢ - ٤٣]

هلمّ بنا إذن، أن نحیی ذلك الطفل الذي يتناسى الأحقاد، ويضع كفه على كتف أخيه يُربّت عليه بكل حنوٍ وعطف.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر ١٠]

النقطة الثالثة: عدم تأثرهم كثيراً بالفقدان.

من الأمور التي تلاحظ في حياة الأطفال: أنهم يأنسون كثيراً بألعابهم، وبملابسهم، وبحصولهم على كل جديد، وهم يتعلّقون كثيراً بذلك، حتى إنك تجد منهم من يضع لعبته الجديدة معه في وسادته، ليبيت على دقات قلبها التي لا يسمعها غيره!

لكن، لو كُسرَت لعبته، أو فقدها، فإنه قد يبكي قليلاً بعد أن يبحث عنها، لكنه

سرعان ما يعمل على تناسيها، سرعان ما يبحث عن بديل مناسب لها، وإن لم يجد، فإنه يعمل على تكييف نفسه على وضعه الجديد، فتجده يستأنف حياته بكل حيوية، خصوصاً إذا وجد جواً عائلياً مشجعاً في مثل هذه الظروف.

أما نحن، فقد بقى نلوم أنفسنا ونجلد ذواتنا ونفارق أفراسنا سنوات طوالاً جراًء فقدنا لأمر معين، وقد يُصاب أحدهم بمرض مزمن لو فقد بعض أمواله أو اصطدمت سيارته وخربت، وقد يُنزل البعض العظيم من النعمة والكثير من الضوضاء على عائلته لو حدثت معه مشكلة مادية ما.

أين نحن عن ذلك الخُلُق الطيب لدى الأطفال؟!!

دعونا نتعلم منهم، ولنتذكر ما روي أنه شكى رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام الحاجة فقال له: اعلم أن كل شيء تصيبه من الدنيا فوق قوتك، فإنما أنت فيه خازن لغيرك.^(١)

النقطة الرابعة: قوة التركيز:

يتميز الأطفال بقوة تركيزهم في أعمالهم، فتراهم عندما يلعبون مثلاً يتناسون حتى مرضهم، ولا يتأثرون بالظروف التي تحيط بهم، فلا يهتمهم الحرُّ ولا البرد، ولا تشغلهم الضوضاء عن متابعة حركات لعبتهم، فليس عندهم إلا إنجاز مهمتهم التاريخية والمصرية في الوصول بلعبتهم إلى ما يتغنون ويحبون...

تعالوا معي لنلاحظ أنفسنا نحن الذين نعتبر أنفسنا قد وصلنا إلى مرحلة عقلية بالغة ومتكاملة، هل ما زال التركيز حاضراً في أداؤنا، أو إن التشتت أخذ يملأ كل مساحة في ذهننا، حتى بدت الأفكار المتضاربة متزاحمة كل واحدة تبحث لنفسها عن موضع قدم في تفكيرنا وانتباهنا؟!!

(١) الخصال للشيخ الصدوق ص ١٦ ح ٥٨..

هل ما زلنا نتناسى الظروف المحيطة بنا - ولو مؤقتاً- لتتمكن من التركيز على ما
يوصلنا إلى أهدافنا؟!!

وأصلاً هل بتنا نضع اهدافاً محدّدة كما كنا صغاراً؟!
مرة أخرى علينا أن نرجع إلى الطفل الذي يكمن في جوانحنا...

النقطة الخامسة: الإلحاح.

ربما نجد أنّ أحلى مشاكلنا مع أطفالنا الصغار حينما نراهم يتملقون لنا بإلحاح
ويبحثون عن شتى الطرق التي يعتقدون أنها ترضينا، كالابتسامة - وأحلاها منهم ما
كانت مأكرة متصنّعة- أو العناق أو إطلاق بعض الكلمات التي نحبُّ سماعها منهم،
ولن يتوقفوا حتى يأخذوا منا ما يريدون، وإن استلزم الأمر ذرفوا الدمع بحرقة، يشق
طريقه بين حدودهم ليصل إلى شغاف قلوبنا، علّهم يجدون في الدمع منفذاً إلى إقناعنا...
في الحقيقة، أن هذا الخُلُق منهم كان لأجل اعتقادهم بأننا نمثل الرازق لهم والمُدبّر
لأمورهم، وهم بفطرتهم يطلبون حاجاتهم منا على هذا الأساس.

ما أحلاه من خُلُق لو التزمناه مع خالقنا، وبارئنا، نحن الذين فهمنا الحقيقة، وأن
الرازق الحقيقي والقادر المطلق ليس هو إلا خالقنا؟!!

ما أحلاه من خُلُق عندما نتيقن أن مسبب الأسباب هو الله تبارك وتعالى!

ما أحلاه من رجوع إلى الوراء حيث ذلك الطفل الذي يطرق الباب ولا يرجع إلا
بقضاء حاجته!

لاحظوا أن الروايات الشريفة أرادت أن تحيي هذه الصفة في نفوسنا.

فعن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا طَلَبَ مِنْ اللَّهِ حَاجَةً فَالَحَّ فِي الدُّعَاءِ، اسْتُجِيبَ

لَهُ أَوْ لَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾^(١)
 وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تعالى كَرِهَ الْإِلْحَاحَ النَّاسِ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْمَسْأَلَةِ،
 وَأَحَبَّ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ، إِنَّ اللَّهَ تعالى يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ وَيُطْلَبَ مَا عِنْدَهُ»^(٢).
 وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «لَا وَاللَّهِ لَا يُلِحُّ عَبْدٌ عَلَىٰ اللَّهِ تعالى إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ»^(٣).

النقطة السادسة: اللجوء إلى القوي.

لن يتردد أطفالك في اللجوء إلى كنف ذراعيك أو في رمي أنفسهم في حضن أمهم لو رأوا حشرة صغيرة خافوا منها، ولن يجدوا غيركما ملجأً في لحظات الخوف والحاجة والرعب...

لا بأس، فهذه هي طبيعتهم، التي تدفعهم إلى اللجوء إلى قوي يُخلصهم من محنة أَلَمَتْ بهم.

(١) الكافي للكليني ج ٢ ص ٤٧٥ بَابُ الْإِلْحَاحِ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّلَبُّثِ ح ٣، والآية هي مريم: ٤٨. وقال في هامس المصدر: حكاية عن إبراهيم عليه السلام حيث قال مخاطباً لقومه: ﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال الطبرسي رحمته الله: أي وأتنحى منكم جانبا وأعتزل عبادة ما تدعون من دونه و ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ قال أي أعبد ربي ﴿عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ كما شقيتم بدعاء الأصنام وإنما ذكر ﴿عَسَىٰ﴾ على وجه الخضوع انتهى. وسبب الاستشهاد بالآية قوله عليه السلام: «استجيب له» أي سريعا «أو لم يستجب» أي كذلك أو لم يستجب في حصول المطلوب لكن عوض له في الآخرة، والحاصل انه لا يترك الإلحاح لبطئ الإجابة فالاستشهاد بالآية لان إبراهيم عليه السلام أظهر الرجاء بل الجزم إذ الظاهر أن ﴿عَسَىٰ﴾ موجبة في عدم شقائه بدعاء الرب سبحانه وعدم كونه خائبا ضائع السعي كما خابوا وضل سعيهم في دعاء آلهتهم كما ذكره المفسرون. ويحتمل أن يكون في الكلام تقدير أي فرضي بعد الإلحاح سواء استجيب له أم لم يستجب ولم يعترض على الله تعالى لعدم الإجابة ولم يسئ ظنه به، فالاستشهاد بالآية بحملها على أن المعنى عسى أن لا يكون دعائي سببا لشقاوتي وضلالتي ويحتمل أن يكون ذكر الآية لمحض بيان فضل الدعاء

(٢) الكافي للكليني ج ٢ ص ٤٧٥ بَابُ الْإِلْحَاحِ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّلَبُّثِ ح ١.

(٣) الكافي للكليني ج ٢ ص ٤٧٥ بَابُ الْإِلْحَاحِ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّلَبُّثِ ح ٢٠.

لماذا لا نستثمر هذا السلوك منهم في تعديل سلوكنا، فنقطع رجاءنا من غير الله تبارك وتعالى؟!!

لاحظوا كيف أن فطرتنا ما زالت ترجعنا إلى الباري جل وعلا في لحظات الخوف، وحرِّي بنا أن نكون كذلك في كل الحالات مع الله تبارك وتعالى.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «مَنْ تَقَدَّمَ فِي الدُّعَاءِ اسْتُجِيبَ لَهُ إِذَا نَزَلَ بِهِ الْبَلَاءُ، وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: صَوْتُ مَعْرُوفٍ. وَلَمْ يُجِبْ عَنِ السَّيِّئِ، وَمَنْ لَمْ يَتَقَدَّمْ فِي الدُّعَاءِ لَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ إِذَا نَزَلَ بِهِ الْبَلَاءُ، وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: إِنَّ ذَا الصَّوْتِ لَا نَعْرِفُهُ.»^(١)

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ يَسْتَخْرِجُ الْخَوَائِجَ فِي الْبَلَاءِ.»^(٢)

النقطة السابعة: الإصرار.

صحيح أن الأطفال يكون بسرعة عادة، وصحيح أنهم يغيرون مواقفهم باستمرار، إلا أن ذلك لم يمنعهم من الإصرار والمقاومة، ويتجلى إصرارهم على الوصول إلى الهدف في بكائهم مثلاً حتى الحصول على المبتغى، وفي استمرارهم بالمحاولة رغم السقوط عدة مرات، وفي التخطيط التلقائي باستخدام أساليب متنوعة إلى أن يجدوا الأسلوب المناسب للحصول على الحاجة.

جميل أن يعيش المرء الإصرار في حياته، إذ إن الحياة لم تسلم قيادها بسهولة لساكنيها، وإنما هي مملوءة بالأشواك، بل مزروعة بالألغام، التي لا تعرف متى تضع رجلك على واحد منها، فيطير بك منفجراً في الهواء!

ولو عاش المرء الكسل والتواكل واليأس، فلن يحصل منها على شيء.

(١) الكافي للكليني ج ٢ ص ٤٧٢ بَابُ التَّقَدُّمِ فِي الدُّعَاءِ ح ١.

(٢) الكافي للكليني ج ٢ ص ٤٧٢ بَابُ التَّقَدُّمِ فِي الدُّعَاءِ ح ٣.

الإصرار، والبحث عن خطط بديلة، والاستمرار، والمقاومة، ومفاتيح مهمة للنجاح في الحياة، وإن لم تُعلّمنا التجارب، فنتعلمها من الأطفال، فالناجح هو من يأخذ العبرة من أي موجود يراه...

ثامناً: النشاط الدائم.

إن من أوضح الصفات التي نراها في الأطفال هي أن لديهم نشاطاً دائماً، حتى أنك قد ترى بعض أطفالك لا يمشي الهويته أبداً، وما تراه إلا راكضاً أو يقفز كغزال في باحة خضراء!

ذلك باعتبار الطاقة الزائدة التي لديهم، إذ إنهم في طور البناء البدني المستمر، لكن على كل حال لا تجد للكسل عندهم موضعاً إلا نادراً.

لننظر إلى هذا النشاط المستمر لدى أولادنا، ثم نقيسه إلى ما نحن عليه من الكسل الصريح أو المقنع، فكم من مشروع لدينا لم نبدأ به لحد الآن، ولو كنا قد بدأناه لم نتممه، وإنما تركناه معلّقاً في منتصف الطريق، وكم من واجبات كان المفترض علينا أن نقوم بها تركناها وراء ظهورنا وكأن الامر لا يعيننا، ناهيك عن الكسل عن أداء صلاة الفجر في وقتها مثلاً.

في الحقيقة، لو دققنا في تصرفاتنا -نحن الذين نعتبر أنفسنا وصلنا إلى مرحلة عقلية متكاملة- لرأينا أن الكثير منها تقبع تحت ظلام الكسل، ليس هذا فحسب، بل إننا نعمل باستمرار لتبرير كسلنا بانعدام الوقت الكافي، أو التعب، أو الاشتغال بأعمال أخرى... لو صدقنا مع أنفسنا لوجدنا أننا نحتاج إلى أن نرجع إلى هذا النشاط الصياني، الذي لا يقف أمامه لا الجوع ولا الوقت ولا الأشغال الأخرى.
مرة أخرى نحتاج إلى أن نوظف الطفل القابع بين حنايانا...

ختاماً:

من النصوص الدينية التي تُشير إلى بعض الجهات التي يُمكن أن يستفيد منها البالغون من تصرفات الصبيان، هو ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أُحِبُّ الصبيان لخمسٍ: الأول: أنهم هم البكَّاءون، والثاني: يتمرغون بالتراب، والثالث: يختصمون من غير حقد، والرابع: لا يدخرون لغد شيئاً، والخامس: يُعمِّرون ثمَّ يُجربون»^(١).

(١) المواظب العددية للعالمي (ص ٢٥٩)، نقله عنه الريشهري في تربية الطفل في الإسلام (ص ١٤٦ /

المفردة الرابعة: العلاقة بين الإخوة

تبرز علاقة الأخوة في داخل الأسرة كعلاقة فعّالة ونشطة، من اليوم الأول لولادة الطفل الثاني في العائلة، وتعتبر من أولى وأولى العلاقات للفرد، ومن أهم وأصعب وأدق المهام الملقاة على عاتق الأبوين في أن يعملوا على منهجتها بشكل تربوي وانسيابي، لما لها من تأثير مباشر على صياغة هذه العلاقة بطريقة تربوية ناجحة، أو إهمالها إلى حد نشوب المشاعر السلبية وربما الحروب الدامية بين الإخوة!

وحتى نكون على بينة من الأمر، نذكر عدة نقاط توضيحية حول هذه العلاقة، مما ينبغي أن نأخذها بعين الاعتبار، وما ينبغي أن نلقيه لأولادنا تجاه بعضهم البعض:

النقطة الأولى: الأخ الأكبر بمنزلة الأب.

روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: الأخ الأكبر بمنزلة الأب.^(١)

إن أول العنقود من ثمار الزواج هو الولد الأكبر، ولو كان ذكراً فهو كما عبّرت الرواية بمنزلة الأخ الأكبر، وهذا يعني التالي:

١/ ضرورة احترامه من قبل بقية الإخوة، وعلى الأبوين العمل على توفير ذلك

الاحترام.

(١) الاستبصار للشيخ الطوسي ج ٣ ص ٢٤٠ ح [٨٦٠] ٥، وعلق الشيخ الطوسي تثني بقوله: فالوجه في هذا الخبر انه بمنزلة الأب في وجوب الاحرام له والانتقياد لأوامره والرجوع إلى طاعته وليس المراد به أنه بمنزلة الأب في جواز العقد له على أخته الصغيرة بغير رضاها ولا استيثار من جهتها بدلالة ما قدمناه ولو كان صريحاً بذلك لحملناه على التقية لأنه مذهب بعض العامة.

- ٢/ على الأبوين تدريب الولد الأكبر على إمساك زمام الأمور حال غيابها أو أحدهما بالتدريب، وعليهما أن يفرضا قانوناً يلزم بقية الإخوة بالاستماع لتوجيهاته.
- ٣/ على الولد الأكبر أن يكون على قدر المسؤولية في ذلك، ولا يتجاوز حدود التعامل الأبوي مع إخوته الأصغر منه، وهذا يعني أنه بحاجة إلى توجيهات مستمرة من الأبوين حيال ذلك، إلى أن يتعلم إدارة الأمور بشكل جيد.
- ٤/ على الأبوين القيام بخطوات عملية لتهيئة الولد الأكبر لهذه المسؤولية، من قبيل إرجاع البت في بعض الأمور ولو الجزئية إليه، وإرجاع البت في ما يتعلق بأمور الإخوة إليه إذا كان قادراً على ذلك، وهكذا.

تطبيقات فقهية :

التطبيق الأول: الحبوة.

وهي مختصات الأب، وهي للولد الذكر الأكبر ولو كان صبيّاً غير بالغ، بل حتى لو وُلد بعد وفاة والده، وخلاصة أحكام ذلك^(١):

يجبى الولد الأكبر الذكر مجاناً بالتالي:

١: ثياب بدن الميت، ولو كانت متعددة، صيفية كانت أو شتوية، حتى الحزام والجورب والنعل والحذاء.

٢: خاتمه.

٣: وسيفه، ويتبعه غمده وقبضته، إلا مع تعدده فلا بد من المصالحة مع بقية الورثة.

٤: ومصحفه، ويتبعه بيتُّ المصحف، إلا مع تعدده فلا بد من المصالحة مع بقية

(١) منهاج الصالحين للسيد السيستاني ج ٣ مسألة ١٠٠٦ إلى مسألة ١٠١٨.

الورثة.

أما الساعة والكتب وما شابه، فلا تدخل في الحبوة. وكذا لا تشمل الحبوة مثل الدرع والطاس والمغفر ونحوها من معدات الحرب. والأحوط لزوماً التصالح مع سائر الورثة في البندقية والخنجر وما يشبههما من الأسلحة، وكذا الرَّحْل.

التطبيق الثاني: قضاء الصلاة والصوم عن الأب.

يجب (على الأحوط وجوباً) على الولد أن يقضي ما فات أباه المؤمن من الصلوات والصوم، والأحوط استحباباً أن يقضي عن أمه أيضاً. بشروط مذكورة في محلها من الكتب الفقهية.^(١)

التطبيق الثالث: استئذان البنت أخاها في الزواج.

ليس لغير الأب والجدِّ للأب ولاية في تزويج البنت، سواء كانت الأمُّ أو الخال أو العمُّ أو غيرهم. نعم الأفضل للبنت المالكة لأمر نفسها أن تستأذن أباهما أو جدَّها، وإن لم يكونا حيَّين فينبغي لها أن تستأذن أخاها الأكبر.^(٢)

النقطة الثانية: الأخت، الأم الثانية.

الأخت في الأسرة عنصر فعّال، بل هي المحرِّك لبقية الإخوة بحسب التجربة، ولتنظيم العلاقة بينها وبين إخوتها ينبغي الالتفات إلى التالي:

(١) راجع: رسالات تربوية/ الرسالة الثانية عشرة/ الحكم الرابع عشر، وهي الحلقة الثالثة من سلسلة: تربية بلون جديد. وأيضاً راجع منهاج الصالحين للسيد السيستاني (ج ١/ مسألة ١٠٥٨)
(٢) التفاصيل أيضاً في رسالات تربوية/ الرسالة الثانية عشرة/ الحكم الرابع والأربعون.

١/ احترامها:

قد نجد في بعض العوائل من ينظر إلى البنت نظرة جاهلية، وأنقل لكم عن واقع أن بعض الآباء - حسب ما نقل هو لي، وبحمد الله تعالى تغير إلى الأفضل بعد الحديث معه - لم يُقبَل ابنته قط، ولا يرغب بالنظر إليها أصلاً!

إن الإخوة إذا رأوا هذا التصرف من أبيهم فإنهم سيجدون المبرر الكافي لاسترقاقها والتعامل معها معاملة العنصر المستهلك الذي ليس له حق في الحياة سوى خدمتهم وتحمل سخافاتهم! وستكون الأخت موضعاً لصفعات أيديهم وركلات أرجلهم، وهم لن يجدوا من يردعهم!

علينا أن نعطي للبنت كرامتها، واستحقاقها بين إخوتها، وأن نساعدنا على بناء شخصيتها، ولتذكر في ذلك ما روي عن السَّكُونِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَأَنَا مَغْمُومٌ مَكْرُوبٌ فَقَالَ لِي: يَا سَكُونِيُّ، مِمَّا غَمُّكَ؟ قُلْتُ: وُلِدْتُ لِي ابْنَةٌ! فَقَالَ عليه السلام: يَا سَكُونِيُّ، عَلَى الْأَرْضِ نُقْلُهَا، وَعَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا، تَعِيشُ فِي غَيْرِ أَجْلِكَ، وَتَأْكُلُ مِنْ غَيْرِ رِزْقِكَ.

فَسَرَى وَاللَّهِ عَنِّي، فَقَالَ لِي: مَا سَمَّيْتَهَا؟ قُلْتُ: فَاطِمَةَ. قَالَ عليه السلام: آه، آه... أَمَا إِذَا سَمَّيْتَهَا فَاطِمَةَ فَلَا تَسْبِّهَا وَلَا تَلْعَنُهَا وَلَا تَضْرِبُهَا. ^(١)

٢/ احترام أنوثتها.

وذلك يكون بعدم تحميلها ما لا يتناسب مع قوتها البدنية، ولا مخاطبتها بما لا يتناسب مع كونها ريحانة، وعدم احتقارها، أو التقليل من شأنها بسبب أنوثتها.

صحيح أنه ينبغي للبنت تربوياً أن تساعد إخوتها - فضلاً عن أبويها - لكن ذلك لا

(١) الكافي للكليني ج ٦ ص ٤٨ - ٤٩ بَابُ حَقِّ الْأَوْلَادِ ح ٦.

يبرّر التعامل معها على أنها مجرد خادمة!

٣/ احترام خصوصيتها.

فلا يدخل عليها إخوتها في غرفتها الخاصة مثلاً من دون استئذان، ولا يفتح خزانها أبداً، لوجود أمور خاصة بها لا ينبغي للذكر أن يطلع عليها كما هو معلوم.

٤/ إيعانتها.

على الإخوة الذكور أن يُعينوا أختهم فيما تحتاج إليهم به، كحمل الأثقال عنها مثلاً، أو إيعانتها المادية ولو بعد زواجها، والسؤال عنها، وما شابه.

٥/ الحفاظ عليها وعلى عفتها.

وذلك بعدم السماح لها بالخروج من غير حجاب شرعي، بما يشمل الملابس والمشى بعفة، وكذا عدم السماح لها بوضع مساحيق التجميل على وجهها.

كذلك ينبغي تحذيرها - وهذه من مهام الأم بالخصوص - من الابتزاز الإلكتروني، ومن الانجرار وراء مواقع التواصل إلى الحدّ الذي تنسى فيه المهم من أعمالها والهدف من وجودها.

ينبغي للأهل عموماً أن يرافقوا البنت في خروجها لبعض حاجياتها كالطبيب أو التسوق، وحتى الذهاب للمدرسة لو احتُمل وجود من يضايقها في الطريق، بل مطلقاً. وفي كل هذه الحقوق، على الأبوين أن يكونا محور تحقيقها، ومتابعتها، وعليهما التدخل لو حصل خلل ما، وعليهما دفع الإخوة لتحقيق هذه الحقوق مع أختهم أو أخواتهم.

النقطة الثالثة: المشاكل بين الإخوة، حقيقة واقعية.

مشكلة مزمنة، لا نجد بيتاً يخلو منها، وبعيداً عن المثاليات، نقول التالي:

ربما يكون ضرباً من الخيال أن نرى أولادنا من دون مشاكل ومشاكسات، خصوصاً في فترة الصغر والصبا، وبالتالي، قد تتولد بعض الأمور السلبية، كالغيرة والنميمة وغيرها.

هذا يعني: أن علينا أن نتقبل هذا الواقع، وفي نفس الوقت نعمل على التعايش معه، وعلى علاج ما يمكن علاجه، ولو بالتدرج. فالمهم هو عدم إهمال هذه الحالة.

ومن الواضح جداً، أن أهم خطوة في علاج أي حالة مرضية هي معرفة وتشخيص سببها، وهكذا في مشاكل أولادنا، فصحيح أن المشاكل أمر طبيعي بينهم، وصحيح أن بعض تلك المشاكل ساذجة، لكنها على أي حال متناسبة مع مستوى إدراكهم ومرحلتهم العمرية، وتركها من دون علاج قد يؤدي إلى تحوّلها إلى مشاكل مزمنة. من هنا، فاللازم على الأبوين معرفة سبب المشكلة، ولعلمهم بالتدقيق والبحث يجدان أن السبب كان منها؛ وذلك لأجل التالي:

أ: لعلها لم يوفّر المكان المناسب لكل واحد من الأولاد، سواء كان مكان النوم أو الدراسة أو حتى اللعب، لأن ضيق المكان يورث سوء الأدب كما يُقال.

ب: ولعلها لم يوفّر لكل واحد من الأولاد جميع ما يحتاج إليه من مستلزمات، كالألعاب، والملابس، وأدوات الكتابة، وما شابه، وبالتالي سيضطر الأولاد إلى التشارك فيما بينهم، والمشاركة مدعاة للمشاكل.

ج: ولعلها يُفرّقان بالتعامل بين الأولاد، مما يولّد الغيرة، والتحاسد، ولذا روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ حَتَّىٰ فِي الْقُبُلِ»^(١).

(١) كتر العُمَال للمتمّقي الهندي (ج ١٦ / ص ٤٤٥ / ح ٤٥٣٥٠).

وروي أنه نظر رسول الله ﷺ إلى رجل له ابنان فقَبَّلَ أحدهما وترك الآخر، فقال له النبي ﷺ: «فهلأ واسيت بينهما»^(١).

لقد نقل القرآن الكريم أن أحد أسباب التحاسد هو التفرقة بالتعامل، فأولاد يعقوب النبي ﷺ صرّحوا بذلك - وإن كانوا خاطئين في حكمهم على أبيهم، ولكنه على أي حال إحساس يجده الأولاد في داخلهم وإن أخطأوا الحكم -، قال تعالى ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهٌ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف ٨ - ٩].

ويدخل ضمن ذلك عقد المقارنات بين الأولاد، واعتبار أحدهم أفضل من الآخر، مما يسبب ضغينة في قلب الطفل، فهو ما زال لا يُشغَل عقله بصورة صحيحة، ولعله لا يكتشف المغزى من هذه المقارنة إلا بعد أن تقع المشكلة وتتفاقم!

د: ولعلها أهمل اللعب مع الأولاد والاستماع إليهم، والجلوس معهم، وبالتالي فإن قلة خبرة الأولاد في الحياة تجعلهم يتصرفون بعشوائية، وبدون حكمة، مما يولد المشاكل.

هذه هي أهم الأسباب بين يديكم، فلا بد من العمل على اقتلاعها رأساً، والعمل على تجذير الأخوة والمحبة بين الإخوة.

النقطة الرابعة: مجمل الحقوق المتبادلة بين الإخوة.

لقد اختصر الإمام السجاد ﷺ هذه الحقوق بقوله ﷺ: «وأما حق أخيك، فأَنْ تعلم

(١) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ج ٣ / ص ٤٨٣ / ح ٤٧٠٤)؛ ورواه العلامة المجلسي في بحار الأنوار (ج ٧١ / ص ٨٤) عن أمير المؤمنين ﷺ باختلاف سير.

أنه يدك وعزك وقوتك، فلا تتخذة سلاحاً على معصية الله، ولا عدةً للظلم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوه والنصيحة له، فإن أطاع الله، وإلا فليكن الله أكرم عليك منه، ولا قوة إلا بالله»^(١).

وخلاصة ما ذكره ﷺ هو التالي:

١ / «أن تعلم أن أخاك يدك وعزتك وقوتك».

فالإنسان كثير بإخوته، والمسألة وجدانية، فنحن نرى الناس تحترم وتهاب الإخوة، خصوصاً المتفاهمين والمتعاونين فيما بينهم، ومن جهة أخرى، لن تجد أحداً يقف معك يوم ضعفك، ليعطيك عزاً من عزّه، وقوة من قوته، غير أخيك.

ويترتب على هذا المعنى: «أن لا تتخذة سلاحاً على معصية الله ﷻ».

كيف يتخذ المؤمن أخاه سلاحاً على معصية الله ﷻ؟

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

لاحظوا: تارة أحدهم يوصي الثاني، فهذه وصية، وأخرى كلُّ منهما يوصي الآخر، وهذا معنى التواصي.

إن الذي ينبغي حصوله بين المؤمنين هو التواصي بالحق، والسير على النهج الإيماني الصحيح، أما دعوة شخص لآخر للتعدي على حرمة الله ﷻ وارتكاب المعاصي، فهذا خلاف التواصي بالحق، على أن المؤمن أنه إذا رأى أخاه المؤمن على خطأ فعليه أن يحذره من السقوط في هاوية المعصية لله تعالى.

عن رسول الله ﷺ: «قالت الحواريون لعيسى: يا روح الله، من نجالس؟ قال: من

(١) الخصال للشيخ الصدوق ص ٥٦٨.

يَذَكِّرْكُمْ اللَّهُ رُؤْيَيْتَهُ، وَيَزِيدْ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقَهُ، وَيُرْغَبْكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلِهِ»^(١).

يفترض بالأخوة الإيمانية أن تكون دافعاً لطاعة الله ﷻ، وفي نفس الوقت أن تنهى عن معاصيه سبحانه.

ومما يترتب على ذلك أيضاً أن لا تتخذ أخاك «عدة للظلم لخلق الله».

لقد ورد: أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، وقد يستغرب البعض عن كيفية نصره الأخ الظالم؟

والجواب فيما روي عن رسول الله ﷺ: أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. قيل: يا رسول الله، هذه نصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً؟ قال: تمسكه من الظلم فذاك نصره إياه.^(٢)
«و لا تدع نصرته على عدوه والتصيحة له»

أي إن عليك أن تنصره بالنصيحة، وليس بالغش والمداينة، بأن تبين له الطريق الصحيح في التعامل، فإن أطاع الله ﷻ فيها وإلا «فليكن الله ﷻ أكرم عليك منه» أي لا بد من تقديم كرامة الله تعالى على كل شيء، وعلى هذا الأخ الذي لا يسير على الهدى. ثم يقول ﷺ: «ولا قوة إلا بالله» أي إن هذه المسائل ليست بالهينة أو السهلة، وإنما هي بحاجة إلى الاستعانة بالله ﷻ والتوكل عليه والطلب منه بالتسديد لذلك التعامل العقائدي مع الأخوة في الله ﷻ.

٢/ ومن الحقوق أيضاً: «أن لا تقطعه ولا يقطعك».

أي إنه حتى لو حدث بينكما خلاف فلا تقطع صلتك معه، بعض الفقهاء يقولون بالكراهة الشديدة للمقاطعة، وبعضهم يقول بالحرمة الفعلية، أما لسان الروايات

(١) الكافي للكليني ١: ٣٩ / باب مجالسة العلماء وصحبهم / ح ٣.

(٢) صحيح ابن حبان (ج ١١ ص ٥٧٠ - ٥٧١ ح ٥١٦٤).

فِيُحَرِّمُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَزِيدَ الْقَطِيعَةَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. فَإِذَا زَادَتْ قَطِيعَةُ أَخْوَيْنِ فِي اللَّهِ عَلَى الثَّلَاثَةِ أَيَّامٍ فَقَدْ خَرَجَا مِنَ الطَّاعَةِ إِلَى الْمَعْصِيَةِ، وَالرَّوَايَةُ تَذَكِّرُ أَنْ أَحْبَبَهُمُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَسْبَقَهُمْ لِأَخِيهِ بِالْمَرَاضَاةِ، وَإِنْ كَانَ هَذَا الْفِعْلُ غَيْرَ مَحْبَبٍ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ لَا يَلْتَفِتَ إِلَّا لِمَرْضَاةِ اللَّهِ ﷻ، مَا دَامَ لَمْ يَصِلْ إِلَى مَرَحَلَةِ ذَلَّةِ النَّفْسِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَرْضَى لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذَلَّ نَفْسًا، لِأَنَّ فِي الْمَبَادِرَةِ لِلصَّلَاحِ رَفْعَةَ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ، وَلِهَذَا يُؤَكِّدُ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَوَاصُلِ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ حَتَّى وَإِنْ كَانَ عَنْ طَرِيقِ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ كَيْ لَا يَجِدُ انْقِطَاعَ بَيْنَهُمْ.

وَفِي هَذَا الْمَجَالِ رَوَى عَنِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ ﷺ: «لَا تَحُلِ الْمُهْجَرَةَ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَإِنَّ التَّقِيَا فَسَلِمَ أَحَدُهُمَا فَرَدَّ الْآخَرَ اشْتَرَكَا فِي الْأَجْرِ، وَإِنْ لَمْ يَرِدْ بَرِيءٌ هَذَا مِنَ الْإِثْمِ وَبَاءَ بِهِ الْآخَرُ، وَإِنْ مَاتَا وَهَمَا مَتَهَا جِرَانٌ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي الْجَنَّةِ».^(١)

٣/ أن يكون بين الأخوة ثقة واطمئنان:

أي أن يأمن المؤمن من أخيه على نفسه وماله وعرضه.

هذا الاطمئنان من شأنه أن يوجد علاقات رصينة وأموراً عالية من حيث التوفيقات الإلهية.

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج ٩ ص ٤٧ ح ٢٤٨٦٩.

الجانب الثالث: الجانب الاجتماعي

الإنسان كائن اجتماعي، بطبعة -على رأي- أو لأنه لا
يتمكن من القيام بكل ما عليه ليصل إلى بغيته، فاضطر إلى إقامة
علاقات مع الآخرين من بني جنسه -على رأي آخر-



بغض النظر عن فلسفة كون الإنسان اجتماعياً، فنحن ندرك بالوجدان أنه ليس وحشياً، ولا يمكنه العيش بمفرده، وحتى لو جرب ذلك، فإنه لن تطول تجربته حتى يحدث عنده ألف أمر وأمر يضطره إلى أن يستعين بالجماعة.

من هنا، كان من أهم أهداف التربية الصالحة هي تنشئة الأولاد بطريقة تجعلهم عناصر فاعلين في المجتمع، وتهيئتهم لخوض تجاربهم المنتظرة في دوامة الشبكات العنكبوتية التي تولدها العلاقات مع الآخرين.

وبنظرة سريعة، نجد أن تلك العلاقات الاجتماعية -خارج إطار الأسرة- متكررة، وسنختار منها أربعة مهمة وعملية وقريبة جداً من الأولاد، وهي العلاقة مع صاحب الكبير والصغير وذي المعروف، فهذه علاقات لا يخلو منها إنسان، وهي علاقات مهمة جداً، رغم وجود علاقات مهمة أخرى.

إن مهمة الأبوين في تربية أولادهم تتدرج من الدائرة الضيقة إلى الواسعة، ويُقصد من الأولى هي الدائرة التي لا يكون هناك مؤثر قوي على الأطفال سوى أبويه ومن في داخل الأسرة، والجانبان المتقدمان يمكن اعتبارهما من الدائرة الضيقة ولو في بداياتها.

أما العلاقة مع المجتمع، فهي تدخل في الدائرة الأوسع، إذ سيبدأ الولد بالخروج عن البيت، وربما تطول ساعات غيابه، فتتعدم المراقبة المباشرة من الأبوين تجاهه، وهذا يعني: أن المهمة بدأت تفرض صعوباتها أكثر، وهذا لا يدعو إلى القلق إذا كان الأبوان قد قضيا ما عليهما من واجب في الدائرة الضيقة، وأدّيا ما عليهما من واجب التربية قبل أن ينفض الولد جناحيه ليطير بعيداً عنها.

ونحن سنذكر هنا أربع مفردات، ونركز على بيان أهميتها وكيفية التعامل التربوي معها، ومن الله تعالى التوفيق.

المفردة الأولى: العلاقة مع الصاحب والصديق

يعتبر موضوع الصديق من المواضيع الاجتماعية التي فرضت نفسها بقوة الواقع، فهناك أمور لو أردنا البحث عن دليل لها فإنها لا تحتاج إلى أكثر من النظر إلى نفس الواقع، ولو نظرنا إلى حياتنا اليومية بجميع مراحلها لوجدنا أن الصديق أمر فرض نفسه على أرض الواقع، ولا نحتاج معه إلى دليل يثبت ضرورة الصداقة والصحة في حياتنا الاجتماعية، ولأهمية هذا الموضوع، نجد أن الإمام السجاد عليه السلام قد أبرز حقوقه ببيان واضح، فقال عليه السلام: «وأما حق الصاحب فأن تصحبه بالفضل ما وجدت إليه سبيلاً وإلا فلا أقل من الإنصاف. وأن تكرمه كما يكرمك وتحفظه كما يحفظك ولا يسبقك فيما بينك وبينه إلى مكرمة، فإن سبقك كافأته. ولا تقصر به عما يستحق من المودة. تلزم نفسك نصيحتته وحياطته ومعاضدته عليه طاعة ربه ومعاونته على نفسه فيما لا يهيم به من معصية ربه، ثم تكون [عليه] رحمة ولا تكون عليه عذاباً ولا قوة إلا بالله»^(١).

فحق الصاحب أن تصحبه بالفضل ما استطعت إليه سبيلاً، وإلا، أي إذا لم تتمكن أن تتعامل معه بالفضل، فلا أقل من الإنصاف، بأن تُحِبَّ له ما تحبُّ لنفسك، وتكره له ما تكره لها، وأن تحفظه كما يحفظك وأن تكرمه كما يكرمك وأن لا يسبقك فيما بينك وبينه إلى مكرمة فإن سبقك كافأته...

وسنذكر عدة محاور للوصول إلى هدف معين:

(١) نحف العقول للحرايي ص ٢٦٦ - ٢٦٧

المحور الأول: مميزات علاقة الصداقة.

تحدثنا في ما سبق عن أن للإنسان علاقات متعددة، منها عامودية - كالعلاقة مع الله ﷻ، مع الدين والشريعة، والنبي ﷺ، والإمام ﷺ، وما يترتب على هذه العلاقات من حقوق - وهناك علاقات أفقية: الأسرة، النسب، اللون، القومية...

من ضمن هذه العلاقات الأفقية التي تربط الإنسان بأبناء جنسه هي: علاقة الصداقة، وتمتاز هذه العلاقة عن باقي العلاقات بعدة مميزات منها:

الميزة الأولى: أولى العلاقات.

تعتبر هذه العلاقة أول علاقة يفتح عليها الطفل بعد أن يخرج من مدرسة أبيه وأمه، أي من بعد علاقة الأسرة، حيث يُعتبر تأسيس صداقة مع فرد جديد خارج محيط الأسرة من الإنجازات المهمة في حياة الطفل، كونه شيئاً جديداً وغير مألوف، وقد تستمر صداقة ما إلى نهاية العمر، ولذا فلا تتصور وجود إنسان من دون صداقات إلا في حالات شاذة.

الميزة الثانية: الانفتاح.

تتسم هذه العلاقة بالانفتاح، فالإنسان يُطلع صديقه على أسرار وقضايا لا يفكر - مجرد تفكير - أن يُطلع عليها والديه أو أحدهما، فقد يواجهه موقفٌ ما، يرى من الصعوبة إطلاع والديه عليه، بينما يرويه بسلاسة لصديقه، وهذا أمر وجداني.

ومع أن الانفتاح في الصداقة غير مقيد بقيد حسب الذي يُرى في الكثير من الصداقات، إلا أن الروايات الشريفة وضعت لنا حدوداً لتلك العلاقة، فهناك أمور لا بد أن يخفيها الإنسان حتى عن الصديق، والقاعدة هي «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَّا، عَسَى

أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغَضُ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا»^(١).
 والقاعدة الأخرى هي ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لبعض أصحابه: «لا تُطْلَعُ صَدِيقَكَ مِنْ سِرِّكَ إِلَّا عَلَى مَا لَوْ اطَّلَعَ عَلَيْهِ عَدُوُّكَ لَمْ يَضْرَكَ، فَإِنَّ الصَّدِيقَ قَدْ يَكُونُ عَدُوًّا يَوْمًا مَا»^(٢) أي لعل هذا الصديق في يوم ما يصبح عدوًّا لك فتضرك معرفته بذلك السر، وهذه الوصية للرجال والنساء على حدٍ سواء، والحر تكفيه إشارة.

وهنا عدة لَفَتَات:

أ/ على المؤمن أن يضع حدوداً مع الصديق لا يتجاوزها معه، ولا يسمح له بتجاوزها أيضاً.

ب/ يؤكد علماء التربية على ضرورة تعامل الآباء مع أولادهم تعامل الأصدقاء، وليس بعدوانية أو علاقة الأمر الناهي داخل البيت.

ولهذا جاء في بعض الروايات تذكر أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من كان عنده صبي فليتصاب له»^(٣). أي لينزل لمستواه حتى يتحدث معه بلغته، ويلعب معه لعبته ليتقرب إليه، فيفهم مراداته النفسية.

ج/ ولدك سيّد سبع سنين، ومَلِكٌ سبْعًا، وبعدها وزير^(٤)، أي إن عليك أن تستشيريه في بعض الأمور وتصاحبه.

د/ على أن من الأمور التي تساعد على تأسيس علاقات صداقة بين الآباء وأبنائهم

(١) نهج البلاغة ج ٤ ص ٦٤ الحكمة (٢٦٨)

(٢) أمالي الشيخ الصدوق ص ٧٦٧ ح ١٠٣٦ / ١٠

(٣) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج ٣ ص ٤٨٤ ح ٤٧٠٧.

(٤) في مكارم الأخلاق للطبرسي ص ٢٢٢ عن النبي صلى الله عليه وآله: «الولد سيد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين، فإن رضيت أخلاقه لإحدى وعشرين، وإلا فاضرب على جنبه، فقد أعدرت إلى الله تعالى».

هو الزواج المبكر بشروط وضوابط خاصة، لأن ذلك يعني تقارب العمر أو المرحلة الثقافية بين الوالد والولد.

هذه التربويات الإسلامية تتناغم تماماً مع القواعد التربوية التي يذكرها علم النفس، والتي قد ينبهر بها البعض وهي في الحقيقة موجودة في تراثنا الإسلامي.

الميزة الثالثة: أنها علاقة متجددة.

فالكثير من العلاقات هي علاقات نسبية محدودة بحدود، أما الصداقة فهي متجددة ومتكررة ومستمرة، وهذه الميزة لها من الإيجابيات الشيء الكثير، كما أنها لا تخلو من سلبيات.

الميزة الرابعة: التأثير المتبادل.

من أهم خصائص هذه العلاقة ولعلها أكثرها خطراً هي: ميزة التأثير المتبادل بين الأصدقاء فيما يتعلق بالأخلاق والسلوكيات العامة، في إحصائية -استقراء- للشباب المدخنين، وجدوا أن نسبة (٥٪) من الشباب مارسوا التدخين تقليداً لأبائهم، أما المدخنون المتأثرون بأصدقائهم فهم بنسبة (٤٥٪)، وهي نسبة خطيرة، إذ إنها تبين أن تأثير الصداقة يفوق تأثير الآباء بتسع مرات على الأقل، ولهذا نجد التأكيد في الروايات على تربية الأبناء على الدقة في اختيار الصديق، بل توجد روايات تبين أنه إذا أردت معرفة إنسان فعليك بمعرفة من يمشي معه، أو من يصاحب؛ لأن الاخلاق تنتقل.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «وَأَحَدُ صَحَابَةِ مَنْ يَفِيلُ رَأْيِهِ^(١)، وَيُنْكَرُ عَمَلَهُ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ... وَإِيَّاكَ وَمُصَاحِبَةَ الْفُسَّاقِ، فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ»^(٢).

(١) فال الرأي يفيل، أي: ضعف (هامش المصدر)

(٢) نهج البلاغة ج ٣ ص ١٣٠ و ص ١٣١ من كتابه عليه السلام إلى الحارث الهمداني.

وروي أن سليمان عليه السلام قال: «لا تحكموا على رجل بشيء حتى تنظروا من يُصاحب، فإنما يُعرف الرجل بأشكاله واقرانه»^(١).

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «اختبروا الناس بأخذانهم، فإنما يخادن الرجل من يعجبهُ نحوه»^(٢).

المحور الثاني: العلاقة العقائدية.

هناك علاقة من نوع آخر، بعيدة عن اللون أو العرق أو النسب أو القومية، علاقة محورها ومركزها: الله تعالى، وهي العلاقة العقائدية الدينية، وهي ما يلزم أن ندفع أولادنا إلى إقامتها مع أصحابهم، ما أوتوا إليها سبيلاً، لأنها علاقة حيوية نافعة، بل لا ضرر معها ولا فيها، وهي تختلف عن باقي العلاقات بما تمتاز به من مميزات.

مميزات العلاقة العقائدية:

أولاً: مع أن الله تعالى ونبيه الكريم صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام أعطوا تلك العلاقات حقها وأهميتها وبيّنوا الحلول للمشاكل التي تحصل فيها، إلا أن هناك تأكيداً شديداً وحثاً للناس على أن يكون ارتباطهم ارتباطاً عقائدياً، حتى إن القرآن الكريم إذا جاء لذكر هذه العلاقة يصفها بقوله عز من قائل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات ١٠] فجعل الارتباط بين المؤمنين يصل إلى مرحلة الأخوة، فمهما كانت الفوارق بينهم من لون، أو دم، أو قومية، ومهما كان التباعد بينهم جغرافياً أو تاريخياً، فإن رباطهم يكون بصيغة: الأخوة الإيمانية.

(١) كنز الفوائد للكراچكي ص ٣٦.

(٢) تنبيه الخواطر ونزهة الناظر (مجموعة ورام) ص ٥٦٨. وفي الهامش: نحوه أي طريقه في أعماله وأفعاله. والأخذ إن جمع الخدن بكسر الحاء وهو الصديق.

علمًا أن الشريعة المقدسة لا تُنكر باقي العلاقات، وإنما تعطي لهذه العلاقة أهمية فُصوى.

ثانيًا: العلاقة العقائدية تمتاز عن باقي العلاقات بأنها لا يحدّها زمان ولا مكان. لاحظوا العلاقة مع الجار، إنها علاقة مكان، فإذا تبدلت الدار فلربما تنتهي هذه العلاقة، وهكذا باقي العلاقات، بخلاف العلاقة العقائدية، فإنها خارجة عن حدود الزمان والمكان، بإمكان المؤمن أن يكون له أخ من بلاد نائية لم يرها ولم يصل إليها، كما يمكن أن تضرب بجذورها إلى الماضي السحيق، وهناك روايات واضحة في التأكيد على هذه المسألة، منها ما روي من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام لما أظفره الله بأصحاب الجمل وقد قال له بعض أصحابه: «وَدِدْتُ أَنْ أَخِي فَلَانًا كَانَ شَاهِدَنَا، لِيرَى مَا نَصَرَكَ اللهُ بِهِ عَلَى أَعْدَائِكَ. فَقَالَ لَهُ عليه السلام: أَهْوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ عليه السلام: فَقَدْ شَهِدْنَا، وَلَقَدْ شَهِدْنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرَّجَالِ، وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَرَعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ وَيَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ.»^(١)

إذاً، يمكن للمؤمن مع فارق الزمان أن يكون مع أمير المؤمنين عليه السلام بمجرد أن يكون هواه معه (صلوات الله عليه).

كما أن لقائل كلمة «يا ليتنا كنا معكم» أثرًا يترتب عليها، وهو ثواب من شارك مع الإمام الحسين عليه السلام، فمن حديث الإمام الصادق عليه السلام مع ابن شبيب: «يا ابن شبيب، إن سرك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما.»^(٢)

وفي نفس هذا المضمار روي عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: قلت لأبي

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ٤٤.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق ص ١٩٣ ح ٢٠٢ / ٥.

الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام: يا بن رسول الله، ما تقول في حديث روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها؟» فقال عليه السلام: «هو كذلك»، فقلت: فقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤] ما معناه؟ فقال: «صدق الله في جميع أقواله، لكن ذراري قتلة الحسين يرضون أفعال آبائهم، ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أن رجلاً قُتل في المشرق فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند الله شريك القاتل، وإنما يقتلهم القائم إذا خرج لرضاهم بفعال آبائهم»^(١).

فالقيد هو: «الرضا بفعال القوم»، ثم يعطي الإمام عليه السلام قاعدة: «فلو أن رجلاً قُتل في شرق الأرض فرضي بقتله رجل في غربها لكان الراضي شريك القاتل في القتل».

لا علاقة لهذا بالنسب أو اللون أو القومية، وإنها بالعلاقة الاعتقادية، فإذا رضي بقتل الإمام الحسين عليه السلام فهو يعتبر من قتلته، من هنا روي عن محمد بن الأرقط أنه قال له الإمام الصادق عليه السلام: «تنزل الكوفة؟»، قلت: نعم، قال: ترون قتلة الحسين عليه السلام بين أظهركم؟، قال: قلت: جُعلت فداك، ما بقي منهم أحداً، قال: فأنت إذا لا ترى القاتل إلا من قُتل أو من ولي القتل؟! ألم تسمع إلى قول الله تعالى: «قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قِبَلِ الْبَيْتَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» [الأعران: ١٨٣]، فأبي رسول قتل الذين كان محمد عليه السلام بين أظهرهم، ولم يكن بينه وبين عيسى رسول، إنما رضوا قتل أولئك فسموا قاتلين..»^(٢)

وهذا الأمر لا يترتب إلا على العقيدة، سواء من الجانب الإيجابي أو السلبي، فإنه يصبح هناك أثر وحكم يترتب على تلك العلاقة، وهو من مميزات هذه العلاقة.

(١) علل الشرائع ١: ٢٢٩/ باب ١٦٤/ ح ١

(٢) تفسير العياشي ١: ٢٠٩/ ح ١٦٥

ثالثًا: أغلب العلاقات قائمة على تبادل المصالح، وقد تسري هذه السمة حتى إلى أوطلد العلاقات النسبية، كعلاقة الأخ بأخيه، أو علاقة الابن بأبيه، ولكن هذه الظاهرة غير جارية في العلاقة العقائدية، فهي لا تتوقف على وجود المنافع أو المصالح.

يوم القيامة جميع العلاقات لا نفع فيها، ويحدث فيها تجافٍ بل فرار: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةَ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس ٣٣ - ٣٧]

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء ٨٨ - ٨٩]

ولكن هناك علاقة واحدة تبقى قائمة حتى في أهوال يوم القيامة، تلك التي أشار لها تعالى بقوله عز من قائل: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف ٦٧]

ولأن علاقة المتقين هي علاقة إيمانية، فقد أصبحت لها ميزة الاستمرارية والبقاء حتى يوم القيامة، أما باقي العلاقات فإن لم يكن فيها ارتباط عقائدي فلا دوام لها وقد يكون لا نفع فيها.

المحور الثالث: كيف تختار صديقك؟

أو ما هي مواصفات الصديق الذي يجب علينا اختياره؟

العلم الحديث للتربية والاجتماع والروايات الشريفة تتفق على مصاحبة من تنفعك صحبته في الدنيا والآخرة، وأما من لا منفعة فيه في الدنيا ولا في الآخرة فعليك تجنبه.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ

لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان ٢٧ - ٢٩]

من يُعَدني عن خط الرسول الكريم ﷺ ونهج أهل البيت ﷺ فعليّ تجنب صحبته،
لأنّه لن تنفع الندامة حينها يُقال: ﴿رَبِّ اَرْجِعُونِي لَعَلِّي اَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ فيأتي
الجواب: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون ٩٩
- ١٠٠] ولات حين مندم.

أي نوع من الأصحاب أرافق؟ أالذي تذكرني رؤيته بالله ﷻ؟ أم الذي يصدّ عن
طاعة الله سبحانه؟

يقول عزّ من قائل: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف

[٦٧]

يا الله! الأخلاء يوم القيامة يتحولون إلى أعداء، باستثناء المتقين.

علماء النحو يقولون عن الاستثناء: إنه شيء كثير تُحْرَجُ منه شيئاً قليلاً، وعلى هذا
فمعنى الآية: أن قسماً كبيراً من الأخلاء يوم القيامة يصبحون أعداءً، باستثناء قسم قليل
منهم، هم الذين كانوا في الدنيا يتعاونون على التقوى، ويوم القيامة يبقى بينهم هذا
التعاون.

﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ ماذا تعني؟ وما معنى التقوى؟

التقوى باختصار هي: «أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ»^(١) كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام)،
والورع: هو الابتعاد عن المحرمات، والاجتهاد: هو فعل الواجبات.

أداء الواجبات وترك المحرمات هي مرحلة من مراحل التقوى، وهي مرحلة لا
يُعذر فيها أحد، فالكل مطلوب منه أن يلتزم هذه المرحلة من التقوى، وإذا أراد الإنسان
الارتقاء أكثر فيمكنه ذلك عن طريق إتيان المستحبات وترك المكروهات.

(١) نهج البلاغة ج ٣ ص ٧٠.

فصحة صاحب التقوى تنفع في الدنيا والآخرة، حيث يُذكر أن المؤمن يشفع بمثل قبيلة مضر وربيعه، فقد روي عن رسول الله ﷺ: «لا تستخفوا بشيعة علي، فإن الرجل منهم ليشفع بعدد ربيعة ومضر»^(١).

علينا إذن أن نحسن اختيار الصديق، كما أن علينا أن ننقل معرفتنا وتجربتنا إلى أولادنا ليُحسنوا اختيار أصدقائهم.

توجد بعض الروايات النافعة في هذا المجال، منها ما عن رسول الله ﷺ: «قالت الحواريون لعيسى: يا روح الله، من نجالس؟ قال: من يُدِّرُكُم اللهُ رؤيته، ويزيد في علمكم منطقته، ويُرغِّبكم في الآخرة عمله»^(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «من صحب جاهلاً نقص من عقله»^(٣) لأن الجاهل أحمق، والأحمق إذا أراد أن ينفعك فإنه يضرك، فعلينا تجنب مصاحبته.

وعن أبي عبد الله عن أبيه عليه السلام قال: «قَالَ لِي عَيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (صلوات الله عليه): يَا بُنَيَّ، انظُرْ حَمْسَةً فَلَا تُصَاحِبْهُمْ وَلَا تُحَادِثْهُمْ وَلَا تُرَافِقْهُمْ فِي طَرِيقٍ. فَقُلْتُ: يَا أَبَه، مَنْ هُمْ؟»

قَالَ: إِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْكُذَّابِ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ السَّرَابِ يُقَرَّبُ لَكَ الْبَعِيدَ وَيُبَاعِدُ لَكَ الْقَرِيبَ.

وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفَاسِقِ، فَإِنَّهُ بِأَيْدِيكَ بِأَكْلَةٍ أَوْ أَقْلٍ مِنْ ذَلِكَ.
وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْبَخِيلِ فَإِنَّهُ يَحْذُلُكَ فِي مَالِهِ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ.
وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْأَحْمَقِ فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيُضُرُّكَ.

(١) في أمالي الشيخ الطوسي (ص ٦٧١ ح ١٤١٣ / ٢٠).

(٢) الكافي للكليني ١: ٣٩ / باب مجالسة العلماء وصحبتهم / ح ٣.

(٣) كنز الفوائد للكرجكي: ٨٨.

وإِيَّاكَ وَمُصَاحِبَةَ الْقَاطِعِ لِرَجِيهِ، فَإِنِّي وَجَدْتُهُ مَلْعُونًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷺ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ وَقَالَ: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ وَقَالَ فِي الْبَقْرَةِ: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْخَسِرُونَ﴾. (١)

المحور الرابع: كيف أختبر الصديق؟

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ قَالَ: «قَامَ رَجُلٌ بِالْبُصْرَةِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنَا عَنِ الْإِخْوَانِ. فَقَالَ: الْإِخْوَانُ صِنْفَانِ: إِخْوَانُ الثِّقَّةِ وَإِخْوَانُ الْمَكَاشِرَةِ، فَأَمَّا إِخْوَانُ الثِّقَّةِ فَهُمْ الْكَفُّ وَالْجُنَاحُ وَالْأَهْلُ وَالْمَالُ، فَإِذَا كُنْتَ مِنْ أَخِيكَ عَلَى حَدِّ الثِّقَّةِ فَأَبْذُلْ لَهُ مَالَكَ وَبَدَنَكَ وَصَافٍ مَنْ صَافَاهُ، وَعَادٍ مَنْ عَادَاهُ وَاکْتُمِ سِرَّهُ وَعَيْبَهُ وَأَظْهِرْ مِنْهُ الْحُسْنَ، وَاعْلَمْ أَيُّهَا السَّائِلُ أَنَّهُمْ أَقَلُّ مِنَ الْكِبْرِيَّتِ الْأَخْمَرِ.

وَأَمَّا إِخْوَانُ الْمَكَاشِرَةِ، فَإِنَّكَ تُصِيبُ لِدَّتِكَ مِنْهُمْ، فَلَا تَقْطَعَنَّ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَلَا تَطْلُبَنَّ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ ضَمِيرِهِمْ، وَابْذُلْ لَهُمْ مَا بَدَّلُوا لَكَ مِنْ طَلَاقَةِ الْوَجْهِ وَحَلَاوَةِ اللِّسَانِ». (٢)

فالإمام علي ﷺ يذكر إخوان المكاشرة وينهى عن كثرة مصاحبتهم.

إن الأدبيات الدينية والعقل يرشداننا إلى ضرورة اختيار الصديق قبل الثقة به، وقد

روي عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «لا تثق بالصديق قبل الخبرة» (٣).

(١) الكافي للكليني (ج ٢ ص ٣٧٦-٣٧٧ بَابُ مَجَالَسَةِ أَهْلِ الْمَعَاصِي ح ٧)

(٢) الكافي للكليني ج ٢ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ بَابُ فِي أَنَّ الْمُؤْمِنَ صِنْفَانِ ح ٣.

(٣) عيون الحكم والمواعظ للبيهي الواسطي ص ٥٢٢.

وعنه عليه السلام: «لا ترغبين في مودة من لا تكشفه»^(١).

هذا، وتوجد طرق أرشدتنا لها الروايات الشريفة لاختبار الصديق -الذي بعضنا يفضله حتى على أهله ويسعى جاهداً لقضاء حوائجه وإرضائه- منها:

١/ الأموال: إما بإظهار العوز لنرى هل يبادر لستر العوز، أو عن طريق اثتانه على مبلغ من المال، لمعرفة تأديته للأمانة.

وما أجمل ما روي في هذا المجال من أنه أهدى لرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله رأس شاة مشوي، فقال: إن أخي فلاناً وعياله أحوج إلى هذا حقاً، فبعث إليه، فلم يزل يبعث به واحد إلى واحد حتى تداولوا بها سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأول، فنزل: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنُفِهِ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

٢/ الغضب: إن للغضب تأثيراً كبيراً على السلوك الإنساني، وهو في العادة يكشف عن مواطن الإنسان وما يحاول إخفائه في الظروف المواتية، فإذا ما غضب، وتحرر من قيود الظروف المحيطة، وأبرز ما يُخفيه، أمكنك حينها أن تعرف حقيقة توجهه إليك، مما يعني أنه يمكن اختبار الصديق عن طريق تعمد إيصاله لمرحلة الغضب، حتى إن الروايات تذكر أن تعمل على أن تغضبه ثلاث مرات، وإذا وجدته لا يتكلم عنك بسوء، فهو نِعَم الصديق.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أردت أن تعلم صحة ما عند أخيك فأغضبه،

(١) عيون الحكم والمواعظ للشيخي الواسطي ص ٥٢٠.

(٢) مشكاة الأنوار لعلي الطبرسي (ص ٣٣٠). (وقيل: نزلت في سبعة عطشوا في يوم أحد، فجئ بماء يكفي لأحدهم، فقال واحد منهم: ناول فلاناً، حتى طيف على سبعتهم، وماتوا ولم يشرب أحد منهم، فأثنى الله سبحانه عليهم) [تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي (ج ٩ / ص ٤٣٠)].

فإن ثبت لك على المودة فهو أخوك، وإلا فلا»^(١).

وعنه عليه السلام: «لا تعتدّ بمودة أحد حتى تغضبه ثلاث مرات»^(٢).

وعنه عليه السلام لبعض أصحابه: «من غضب عليك من إخوانك ثلاث مرات، فلم يقل فيك شراً، فاتخذته لنفسك صديقاً»^(٣).

٣/ عند ذهاب القدرة: صاحب السلطة والجاه يكون له الكثير من الأصدقاء، أمّا عند ذهاب جاهه وقدرته، فربما لا يبقى معه إلا القليل، وربما لا أحد، فيمكنك أن تختبر من يدعون صداقتك بأن تدعي مثلاً أو تطهر لهم أن ما عندك من قدرة أو جاه أو مال قد ذهب منك ولم يعد بيدك منه شيء، وانظرهم حينها، واحكم بنفسك، وربما يكون حينها حقاً ما قيل: ما أكثر الإخوان حين تعدهم لكنهم في النائبات قليل.

٤/ الولاية: من الطرق التي ذكرتها الروايات لاختبار الصديق هي عند حصوله على منصب، فإذا لم يغيره المنصب في تعامله معك فهو الصديق، وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الْوَلَايَاتُ مَضَامِيرُ الرَّجَالِ»^(٤)

«أراد بالمضامير مظانّ معرفة جودة الفرس وهي الأمكنة التي يقرن فيها الخيل للسباق، واستعار لفظها للولايات باعتبار أنّها مظانّ ظهور جودة الوالي من خستته ورداءته كما أنّ المضامير للخيل كذلك»^(٥).

فالمعنى على هذا: أنه «نبّه عليه السلام إلى أنّه كما يعرف جودة الفرس وجوهه في ميدان

(١) تحف العقول للحراني ص ٣٥٧.

(٢) تحف العقول للحراني ص ٣٥٧.

(٣) أمالي الشيخ الصدوق (ص ٧٦٧ ح ١٠٣٤ / ٨).

(٤) نهج البلاغة ج ٤ ص ١٠٢ الحكمة (٤٤١).

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ج ٥ ص ٤٥٤.

المسابقة، يعرف كفاية الرَّجل وجوهره بتصدّيه للولاية على شعب أو صقع من حيث صحّة تدبيره في إدارة الأمور وعدمها وقوّة رأيه وعزمه وضعفه ومن حيث عدله وظلمه ومن نواحٍ أُخرى يرتبط بالولاية والحكم»^(١).

وعنه عليه السلام: «فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمٌ جَوَاهِرِ الرَّجَالِ»^(٢).

أي «تقلّب أحوال الدنيا على المرء كرفعته بعد اتّضاعه وبالعكس، وكنزول الشدائد به يفيد العلم التجريّ بأحواله الباطنة من خيرٍ وشرٍّ وجلادة وضعف وفضيلة ورذيلة»^(٣).

ومعه، فالقاعدة في اختبار الصديق في هذا المجال هي ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إِذَا كَانَ لَكَ صَدِيقٌ فَوَلِيٌّ وَلَايَةٌ، فَأَصْبَتْهُ عَلَى الْعِشْرِ مِمَّا كَانَ لَكَ عَلَيْهِ قَبْلَ وَلَايَتِهِ، فَلَيْسَ بِصَدِيقٍ سَوْءٍ»^(٤).

٥/ السفر: واحدٌ من الطرق لاختبار الصديق هو السفر، وقد سُمّي السفر سفراً لأنّه يُسَفَرُ ويكشف عن الأخلاق، ففي السفر تفهم حقيقة الصديق وأنه هل يحاول تقديم راحتك على راحتته، وهل يقوم بخدمتك، أو ماذا، لأنّه قد يكون من أهل الخذلان في الشدائد.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لَا تُسَمِّ الرَّجُلَ صَدِيقًا سِمَةً مَعْرِفَةٍ حَتَّى تَحْتَبِرَهُ بِثَلَاثٍ: تَغْضِبُهُ فَتَنْظُرَ غَضْبَهُ يَخْرُجُهُ مِنَ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، وَعِنْدَ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وَحَتَّى تَسَافِرَ مَعَهُ»^(٥).

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة لحبيب الله الهاشمي الخوئي ج ٢١ ص ٥١٤.

(٢) نهج البلاغة ج ٤ ص ٤٩ الحكمة رقم (٢١٧).

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج ٥ ص ٣٥٣.

(٤) الأمالي للشيخ الطوسي (ص ٢٧٩ ح ٥٣٣ / ٧١).

(٥) أمالي الشيخ الطوسي ص ٦٤٦ ح ١٣٣٩ / ٢.

إذا وجدت صديقاً نجح في هذه الاختبارات فتمسك به؛ لأنه ربح في الدنيا والآخرة، وإلا فالبقاء بلا صديق خير من مرافقة الذي يخذل في الشدائد والنائبات. وكل ذلك ينبغي لنا أن ننقله - مصحوباً بتجاربنا الخاصة - إلى أولادنا، لنعلمهم الطريق الصائب للحصول على صديق، والحدود التي ينبغي لهم عدم تجاوزها معهم. ومهما تحدثنا عن الصحبة والأخوة في الله ﷻ، فلا نجد واحدة ترقى لمستوى رفعة ووفاء أصحاب الإمام الحسين (سلام الله عليه) لأنهم نعم الأصحاب وبشهادته (صلوات الله عليه) حيث عرفهم بمقولته الشهيرة: «اللهم إني لا أعرف أهل بيت أبرّ ولا أزكى ولا أظهر من أهل بيتي، ولا أصحاباً هم خيراً من أصحابي»^(١).

فلنذكر أولادنا بجميل صنْع هؤلاء الأفاضل، الذين ما فتئ التاريخ يذكرهم بكل إعظام وإجلال وإكبار، حشّرنا الله وإياكم معهم في ركب أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

(١) أمالي الشيخ الصدوق ص ٢١٥ ح ٢٣٩ / ١.

المفردة الثانية : العلاقة مع الكبير

العوامل المشتركة بين الحقوق :

رغم اختلاف الحقوق بين الموجودات، وما يترتب عليها من واجبات وإلزامات، إلا أنها تشترك في عدة أمور وعوامل، منها:

١/ أنها تعبر عن علاقات بين طرفين، فمثلاً حقّ الله ﷻ يُعبّر عن علاقة بين العبد وربّه، وحقّ الأم يُعبّر عن علاقة بين الأم وولدها...، فهي علاقات فيها نوع من التفاعل والائتمانية.

٢/ أنها مما لا بدّ منه في هذه الحياة، فلا يستطيع الإنسان الاستغناء عنها في حياته، فبعضها يغذّي الجانب الروحي، أو العقلي، أو العقائدي، وبعضها يدخل في نظام:

الناس للناس من بدوٍ ومن حضرٍ بعض لبعضٍ وإن لم يشعروا خدماً
٣/ لا بدّ لهذه العلاقات من أن تُضبط بنظام، فإذا ما أُريدَ لتلك العلاقات النجاح فلا بد أن لا تُترك للعشوائية والانتقائية، ولا بدّ أن تخضع لقواعد وقوانين توضع بين الطرفين ليلتزم بها كلّ من صاحب الحقّ ومَنْ عليه الحقّ والواجب.

٤/ وهناك صفة أخرى كامنة داخل تلك العلاقات، وهي: أنّ التزام الإنسان بتأدية تلك الحقوق هو مؤشّر وكاشف عن احترامه لتلك العلاقة، فهو ما لم يحترم علاقته مع الله ﷻ -مثلاً- فلن يهتم بتأدية ما عليه من حقوق له سبحانه، وبالتالي لن يكون عبداً كما يريدّه الله ﷻ، وهكذا باقي الحقوق.

الاحترام إذن هو خيط مشترك بين كل تلك العلاقات، فمن يحترم علاقة معينة فإنه سيقوم بتأدية ما تفرضه عليه من حقوق وإلزامات.

علماء الفقه والأصول لديهم بحث اسمه (التجري)، ومثاله: لو كان أمام شخص كأس مملوء بسائل، واعتقد ذلك الشخص أن ما في الكأس هو خمر، وهو يعلم أن الخمر حرام، مع ذلك أصبح لديه قرار بشرب ما في الكأس، وبعد أن شربه تبين أنه ماء وليس بخمر، يأتي السؤال هنا: هل يستحق هذا الشخص عقوبة أو لا؟

هناك من قال: يستحق العقوبة وعلل رأيه: إنه وإن كان المشروب ماءً وليس خمرًا، ولكنه قبل الشرب كان يعتقد أنه خمر، وهو يعلم أن الخمر حرام، ومع ذلك ارتكبه، فهذا يكشف عن سوء سريرته وأن لديه استعدادًا لمعصية الله ﷻ، إذًا هو لم يحترم علاقته مع الله ﷻ، فيعاقب لجرأته على الله سبحانه، وليس لأنه شرب الخمر، فلا يُقام عليه الحدّ المخصّص لشرب الخمر مثلاً؛ لأنه لم يشرب الخمر، ولكن يُعاقب لجرأته على الله ﷻ.

مناشئ الاحترام في العلاقات:

في حياتنا، نجد أن الاحترام في العلاقات له مناشئ متعددة، مثلاً: احترام الولد لوالديه؛ لأنها السبب في وجوده، واستمرار حياته، وتوفير الظروف الملائمة له.

احترام المعلم؛ لأنه السبب في الهداية والتعليم والتخليص من الجهل.

احترام من يقدم خدمة معينة؛ لأنه ساعدك في قضية ما.

وهذا أمر عقلائي متعارف بين الناس.

وهناك مناشئ أخرى لاحترام جميع المسلمين؛ بعض النصوص والأدبيات تشير إلى أن من اللازم احترام جميع المسلمين، ذلك لأنهم أحد ثلاثة: إما أكبر منك، أو أصغر منك، أو بعمرك، فإذا كان أكبر منك فخدمته للإسلام أكثر منك، وأما الأصغر منك

فتحترمه لأن ذنوبه أقل من ذنوبك، وأما من كان بعمرِكَ (تُربِك) فتحترمه لأنك أعلم بذنوبك ولا تعرف ذنوبه.

إذن هناك مناشيء متعددة للاحترام فيما بيننا، بعضها مناشيء عرفية، وبعضها عقلائية، وأخرى دينية.

منشأ احترام الكبير.

إن من أهم الفئات التي سيكون لأولادنا علاقات معهم ولو كانت سطحية، ولو كانت علاقة عابرة في طريق أو سيارة أو مكان جلوس، هي فئة كبار السن، فلا بد أن نعرفهم على الخطوط العامة للتعامل معهم، بما يحفظ للعلاقة معهم قيمتها، ورونقها، ولذلك نجد أن الإمام زين العابدين عليه السلام يبين لنا حقيقة وهي: أن الكبير لابد من احترامه، ولكن لماذا؟

قال عليه السلام: «وحق الكبير توقيره لسنه، وإجلاله لتقدمه في الاسلام قبلك، وترك مقابلته عند الخصام، ولا تسبقه إلى طريق ولا تتقدمه، ولا تستجهله، وإن جهل عليك احتملته وأكرمته لحق الاسلام وحرمة». ^(١)

ذكر لنا (صلوات الله وسلامه عليه) منشأين لابد أن يجتمعا ليتولد الاحترام للكبير، أي إن هناك صفتين إذا توفرتا في الكبير فلا بد من احترامه، وهما:

الصفة الأولى: توقيره لسنه.

يمرّ الإنسان بمراحل عمرية متعددة يصل بعدها إلى مرحلة يغزو الشيب فيها سواد رأسه، فيصبح شيخاً كبيراً، والروايات تذكر أن الله ﷻ يستحي من شيبه الرجل الكبير في الإسلام.

(١) الخصال للشيخ الصدوق ص ٥٧٠.

ففي رواية عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ: إِجْلَالُ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ». (١)

وقال أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِتًّا مَنْ لَمْ يُوقَّرْ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمَ صَغِيرَنَا». (٢)

استطرد: في ضرورة احترام الكبير لشيبته ولعمره.

على الكبير أن يحترم كبر عمره وشيبته، ولا يدخل نفسه في ما يجلب له الإهانة.

يجب أن لا تكون تصرفاته صبيانية.

عليه أن يتعد عن الكلام المريب، والتصرفات المريبة.

عليه أن لا يتدخل فيها لا يعنيه.

ولا يحشر نفسه في أمور لا يفقه منها شيئاً.

ولا يتكلم في مواطن لا ينبغي له الكلام فيها.

ولا يلبس ما لا يليق بعمره.

ولا يدخل في أماكن لا يصحّ لمن بعمره الدخول إليها.

عليه أن يحافظ على كل ما من شأنه أن يحفظ له هيئته ووقاره، وأن يتعد عن كل ما من شأنه أن يقلل من ذلك.

لابد للإنسان - حين يصل إلى مرحلة عمرية متقدمة - أن يحترم شيبته كي يفرض احترامه على الآخرين ويحافظ على سمعته، وإن كانت له أخطاء سابقة فعليه أن يبادر إلى التوبة منها، لأن الشيب هو أول نُذُر الموت.

عليه أن يكون وقوراً، وقد روي أنه قال الصادق ﷺ: «أول من شاب إبراهيم الخليل ﷺ وإنه ثنى لحيته فرأى طاقة بيضاء، فقال: يا جبرئيل ما هذا؟ فقال: هذا وقار،

(١) الكافي للكليني ج ٢ ص ١٦٥ بَابُ إِجْلَالِ الْكَبِيرِ ح ١.

(٢) الكافي للكليني ج ٢ ص ١٦٥ بَابُ إِجْلَالِ الْكَبِيرِ ح ٢.

فقال إبراهيم: اللهم زدني وقاراً^(١).

تصحيح الأخطاء الماضية والابتعاد عما يجلب الإهانة وعن أماكن الشبهة وغيرها من الأمور التي تحفظ لكبير السن هيبته واحترامه، هو ما يجب عليه أن يراعيه.

الصفة الثانية: تقدمه في الإسلام.

وهو ما أشار له ﷺ بقوله: «وتبجيله لتقدمه في الإسلام قبلك» أي أن يكون مسلماً، وأن يكون ممن سلم الناس من يده ولسانه، واحترَمَ علاقته مع الله ﷻ، وذلك يتم من خلال: «من أصلح فيما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس»^(٢).

على الإنسان أن يصلح علاقته مع الله ﷻ، فإن فعل ذلك وجد أن الغير يحترمه، ويقدره، لا لشيء إلا لأن علاقته مع الله ﷻ جيدة، لذلك تنقل بعض الروايات عن أصحاب الأئمة ﷺ كهشام بن الحكم أنه كان الإمام الصادق ﷺ يقدمه على أصحابه الكبار وهو بعد لم يختط عارضاه، لأنه كان قوياً في دينه.^(٣)

فإذا اجتمعت هاتان الصفتان: كبر السن، وخدمة الإسلام، عندئذ تترتب حقوق يجب علينا أن نؤديها لهذه الشبية: التوقير، والتبجيل.

علينا أن نُلقي في روع أولادنا احترام الكبير لتينك الصفتين، حتى لا يتجاوزوا حدود الأدب والتربية معهم.

(١) في من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ج ١ ص ١٣٠ ح ٣٣٦)، وفي لفظ قصص الأنبياء للراوندي ص ١١٣: (فقال إبراهيم: اللهم ما هذا؟ فقال: وقار. فقال: اللهم زدني وقاراً).
(٢) المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي (ج ١ / ص ٢٩ / باب ثواب من أصلح فيما بينه وبين الله / ح ١٣) عن أمير المؤمنين ﷺ.

(٣) الكافي للكليني ج ١ ص ١٧١ - ١٧٣ باب الاضطرار إلى الحجة ح ٤ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ... فَوَرَدَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ وَهُوَ أَوَّلُ مَا اخْتَطَطَ لِحَيْثِهِ وَلَيْسَ فِينَا إِلَّا مَنْ هُوَ أَكْبَرُ سِنًا مِنْهُ. قَالَ: فَوَسَّعَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: نَاصِرُنَا بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ...

وكيف ذلك؟

إمامنا السجاد عليه السلام يعلمنا الكيفية بالتالي:

١/ ترك مقابله عند الخصام.

إذا كانت لأحد خصومة مع كبير، فعليه تركها؛ لكبر سنّه، وتوقيراً لشيبته، حتى وإن كان هو صاحب الحقّ ما أمكنه ذلك.

٢/ لا تستجهله.

أي لا تتعامل معه معاملة الجاهل، بعدم أخذ كلامه على محمل الجدّ، لأنّه صاحب خبرة في الحياة، ولك أن تستفيد من تجربته التي هي عبارة عن عصارة حياته ويقدمها لك جاهزة.

٣/ لا تسبقه إلى طريق ولا تتقدمه.

فعلينا أن نقدم الكبير في كلّ شيء سواء في المشي أو الكلام أو غيره.

٤/ إن جهل عليك احتملته وأكرمته لحقّ الإسلام وحرمته.

أي حتى لو اعتدى عليك، فعليك أن تحترمه وتكرمه، والسبب يذكره إمامنا (صلوات الله وسلامه عليه)، وهو: حقّ الإسلام، مؤكّداً على أنّه إذا كانت لهذا الكبير خدمة للدين أكثر، فتوقيره وتبجيله يجب أن يكون على أعلى مستوياته.

وهذا هو مبدأ الإسلام في التعامل مع الكبير.

المفردة الثالثة: العلاقة مع الصغير

للدين في خطابه مع الجمهور مناهج وأساليب متعددة، يلاحظ فيها نوعية الخطاب ونوعية المخاطب، ولا يجمد على منهج معين لبيان الخطاب وتوضيح المضامين التي يريد إيصالها للمجتمع، بل إن عنده خطابات متعددة، بعضها لها صيغة علمية عالية جداً، تحتاج إلى العديد من المقدمات العلمية للوصول إلى مضامينها، مثل قوله عزّ من قائل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء ٢٢] فعندما يأتي العلماء لبيان هذه الآية يُقدّمون العديد من المقدمات المنطقية والفلسفية للوصول إلى المعنى الصحيح لهذا الدليل الذي ساقه القرآن الكريم لإثبات التوحيد.

هناك خطابات علمية، لكنها تنزل عن تلك اللغة الفلسفية العالية إلى لغة أقرب إلى الفهم العامي، مثل قوله تعالى ﴿سُنِّرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت ٥٣] فهذه الآية تبين دليلاً من الأدلة التي تُذكر على إثبات وجود الخالق العالم القادر الحكيم لهذا العالم، وهي تدعو الإنسان إلى أن ينظر إلى الكون وما فيه من حكمة وتدبير، وإلى أسرار نفسه وعظمة خلقته، فإذا تأمل هذه الأسرار الآفاقية والأنفسية، صارت لدى الإنسان هذه المعرفة، عندها يتبين له أن الله ﷻ حق، وهو ما يُسمى ببرهان النظم.

في بعض الأحيان ينزل الخطاب عن اللغة العلمية إلى اللغة الخطابية التي يُقصد منها إقناع الجمهور بقضية معينة، عن طريق استخدام بعض القضايا المعروفة بين

الناس، حتى يصل المتحدث بالجمهور إلى نتيجة معينة.

ولذلك بينت الأحاديث الشريفة أن المعصومين عليهم السلام كانوا يتحدثون حسب مقدار فهم المخاطب.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «ما كلم رسول الله عليه السلام العباد بكُنه عقله قط»، وقال: «قال رسول الله عليه السلام: «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»^(١).

فكان عليه السلام لا يكلمهم بما يملكه من معرفة عالية، لأنهم لا يطيقون ذلك، وهو أسلوب عقلائي، أن ينظر الإنسان إلى نوعية الخطاب ونوعية المخاطب، ويحاول أن ينزل خطابه وفق هذه المقاييس الموضوعية والعقلانية.

وإذا أردنا أن نذكر بعض الشواهد على هذا الأمر من حياة المعصومين عليهم السلام، فإننا نجد فيها الكثير من هذه الأساليب نذكر منها:

عن أبي أمامة، قال: إن فتى شاباً أتى النبي عليه السلام، فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه، فزجروه، وقالوا: مه، مه. فقال: «ادنه»، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال: «أُتِجِبَهُ لَأُمِّكَ؟»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يُحِبُّونَهُ لَأُمَّهَاتِهِمْ»، قال: «أُفْتُجِبُهُ لَابْنَتِكَ؟»، قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ»، قال: «أُفْتُجِبُهُ لَأُخْتِكَ؟»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ»، قال: «أُفْتُجِبُهُ لَخَالَاتِكَ؟»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يُحِبُّونَهُ لَخَالَاتِهِمْ»، قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه»، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء^(٢).

(١) الكافي للكليني ١: ٢٣ / كتاب العقل والجهل / ح ١٥.

(٢) في مسند أحمد بن حنبل (ج ٥ / ص ٢٥٦ و ٢٥٧).

لو لاحظنا خطاب النبي ﷺ مع الشاب لوجدنا أنه لم يكن علمياً، ولم يستخدم الخطاب الشرعي، فلم يقل له مثلاً: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَقْرَ نُطْفَتِهِ فِي رَحِمٍ يَحْرُمُ عَلَيْهِ»^(١).

وإنما استخدم معه الأسلوب التربوي، وهو أسلوب عكس الحالة، فكما لا ترضاه لنفسك، فالناس لا ترضاه أيضاً... «فارض للناس ما ترضاه لنفسك»^(٢).

وهو المعنى الذي أشار له أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولده الإمام الحسن عليه السلام حين قال له: «يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قُلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ...»^(٣).

بعض الناس يصفهم القرآن بالمؤلفة قلوبهم، وهم كفار ولهم نصيب من الزكاة لأجل استمالتهم إلى الدين وللأمن من شرهم.

بعض الأحيان يكون الأسلوب المناسب هو السكوت وغيض الطرف عن المقابل، وكان الرسول الكريم عليه السلام والأئمة عليهم السلام يتبعونه.

وقد يصل الأمر إلى أسلوب النهر كي يعود الفرد لنفسه ويحاسبها، ومن ذلك ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَلْقَى أَهْلَ الْمَعَاصِي بِوُجُوهِ مُكْمَهَرَةٍ»^(٤).

(١) الكافي للكليني ج ٥ ص ٥٤١ باب الزاني ح ١ عن أبي عبد الله عليه السلام ..

(٢) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ج ٤ / ص ١٩ / ح ٤٩٧٢) عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٣) نهج البلاغة (ج ٣ / ص ٤٥ و ٤٦).

(٤) الكافي ٥: ٥٩ / باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر / ح ١٠.

الخطاب مع الصغار.

من الفئات التي يكون معها الخطاب أمراً واقعياً ويومياً وابتلائياً دائماً هم فئة الصغار، الصبيان، غير البالغين، فئة لها حياتها الخاصة ومشاكلها الخاصة، وينبغي أن يكون الخطاب متناسباً مع هذه الفئة.

فكيف يكون الخطاب معهم؟

لقد أولى الإسلام للصغار أهمية عظيمة في خطباته، ولو لاحظنا حياة النبي ﷺ لوجدنا أنه كان يتعامل مع الصغار تعاملاً تربوياً يمتاز بالدقة، ملؤه التشجيع والاحترام والإنسانية، ليعلمنا كيف نتعامل مع هذه الشريحة من المجتمع.

المسلمون كانوا إذا وُلد لهم ولد يذهبون به إلى النبي ﷺ ليباركه لهم أو ليسميه، في إحدى المرات بال طفل في حجره الشريف، أراد اهله حمله وقطع بوله عليه، فنهرهم النبي ﷺ بقوله: مه، لا تزرموا بالصبي أي لا تقطعوا عليه بوله، وتركه إلى أن اكمل ثم أرجعه لأهله، وأخبرهم أن الثوب يطهره الماء.^(١)

بهذا التعامل الإنساني كان يتعامل الرسول الأعظم ﷺ مع الأطفال، حتى إذا صادفوه في طريق كان هو من يبدأهم بالسلام، مع عظم مكانته، ولما سأله أصحابه عن ذلك أجابهم: «كي تكون سنة من بعدي».^(٢)

هذا النوع من التعامل يعرّفنا أن الإسلام أراد أن يكون الخطاب مع الصغار مختلفاً تماماً عن أي شريحة في المجتمع، لا بد أن يكون تعاملاً ملؤه الرحمة والإنسانية.

(١) مكارم الأخلاق للطبرسي: ٢٥.

(٢) عن رسول الله ﷺ: «خمس لا أدعهنَّ حتىَّ الممات: الأكل على الحضيض مع العبيد، وركوب الخمار مؤكفاً، وحلب العنز بيدي، ولبس الصوف، والتسليم على الصبيان، لتكون سنة من بعدي». (الخصال للشيخ الصدوق: ص ٢٧١).

أولادنا، صغاراً اليوم، ولكنهم كبار الغد ورجال المستقبل، فعلينا أن نفتح معهم ملف التعامل مع الصغار، عبر خطوتين:

الخطوة الأولى: تعاملنا نحن معهم، إذ سينطبع في شخصياتهم ليتحول إلى سلوك في المستقبل.

الخطوة الثانية: دفعهم للتعامل التربوي مع من هم أصغر منهم سناً، بدءاً بإخوانهم الصغار.

الإمام زين العابدين عليه السلام يذكر لنا بعض الأساليب لذلك، والتي يصبغها عليه السلام بصبغة الحقوق، فيقول عليه السلام: «وحق الصغير: رحمته في تعليمه والعفو عنه والستر عليه والرفق به والمعونة له»^(١).

١ / حق الصغير: رحمته في تعليمه.

يبدو أن الإمام (سلام الله عليه) كان ملتفتاً إلى قسوة بعض المعلمين لتلاميذهم، فصرّح بكيفية التعامل مع الصغار والأسلوب الأنسب لتعليمهم، وهو أسلوب الرحمة والتسامح، خصوصاً مع الالتفات إلى أنهم صغار لم يعتادوا الالتزام والتقييد.

ولا نغفل عن دور الآباء والأمهات داخل الأسرة في تعليمهم وتشجيعهم، لأن مسؤولية تربية وتعليم الصغار مشتركة بين الوالدين والمعلم، يجب عليهم جميعاً مراعاة المعاملة الحسنة التي يرتضيها الإسلام لإنشاء جيل سليم وصحي نفسياً وجسدياً.

وهذا أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) على عظمته والذي يقول فيه ضرار: «كنا لا نُكلمُه لهيبته»^(٢) كان يأتيه أطفال الكُتّاب يتحاكمون عنده «يا أمير المؤمنين،

(١) الخصال للشيخ الصدوق ص ٥٧٠.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق ص ٧٢٤ ح ٩٩٠ / ٢.

أحكم بيننا، أينا أحسن خطأً» فكان يقول: «أما إنها حكومة» أي إنها محاكمة تُسأل عنها يوم القيامة فعليك بأن تحكم بالعدل.

فقد روي أن أمير المؤمنين عليه السلام ألقى صبيان الكتاب الوأحهم بين يديه ليخير بينهم، فقال: «أما إنها حكومة، والجور فيها كالجور في الحكم، أبلغوا معلمكم إن ضربكم فوق ثلاث ضربات في الأدب اقتص منه»^(١)

وروي أن عبد الرحمن السلمي علم ولد الحسين عليه السلام (الحمد) فلما قرأها على أبيه، أعطاه ألف دينار وألف حلّة، وحشا فاه ذرّاً، ف قيل له في ذلك، قال: «وأين يقع هذا من عطائه»، يعني تعليمه^(٢).

هذه قيمة المعلم، علينا أن نتنبه لذلك.

٢ / العفو عنه.

هو طفل لا تجربة طويلة له في الحياة، عقله صغير، فهو معرض للخطأ، فإذا أخطأ فلا يعني ذلك نهاية الدنيا، وإنما علينا ان نعفو عنه، ولا نعني من العفو عدم الحساب، بل لا بد أن يُجاسب ولكن لا يصل إلى حدّ العقاب، نُفهمه بكل رفق سوء فعله وخطأه ونحذّره من تكرار الخطأ، ونعفو عنه.

٣ / الستر عليهم.

بعض الأطفال حينما يخطئ فإنه لا يجب أن يطلع على خطئه أحد، إذ إن له شخصيته وكرامته، ولكن مما يؤسف له أن بعض الكبار لا يحترم الطفل، والبعض يُعنفون أبناءهم ويتقصون منهم أمام الآخرين، بينما الإمام السجاد عليه السلام يوصينا بالستر عليهم.

(١) في الكافي للكليني (ج ٧ ص ٢٦٨ باب النوادر ح ٣٨)

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ٢٢٢.

٤ / الرفق به .

يعتقد بعض الآباء أنه ومن خلال قسوته على ابنه فإنه سيبنى له شخصية ويصبح بها رجلاً شجاعاً في المستقبل، البعض يدفعون أبناءهم للعمل في صغر سنهم غير مبالٍ بما سيلاقيه هذا الطفل من قسوة الحياة وتعامل المجتمع وما يمكن أن ينتقل إليه من أخلاق وسلوكيات منحرفة.

إنّ العلماء يُحذِّرون من إرسال الأبناء إلى بلدان تضعف فيها عقيدتهم أو تؤدي لانحرافهم، بل ويلزم على الأولياء أن يبعدوا أبناءهم عن العمل في أماكن الريبة وما يُضعف عقيدتهم.^(١)

٥ / المعونة له :

الطفل كائن صغير وضعيف غير مكتمل النضج، هو بحاجة إلى تقديم المساعدة في حياته واتخاذ قراراته وإدارة أموره، فعلى الكبار - وخصوصاً الآباء - أن يعاونوهم على ذلك، نعم لأبأس باختباره أو إلقائه في بعض الصعاب، ولكن بعد تعليمه ومدّ يد العون له، وهذا التعامل ليس فقط مع صغارنا، وإنّما مع جميع الصغار؛ لأن هذا ما يريده الإسلام والعلم الحديث.

هكذا يعلمنا الإسلام والنبي ﷺ .

(١) منهاج الصالحين للسيد السيستاني (ج ٢ / مسألة ١٠٧٨): (يجوز للوليّ تسليم الصبيّ إلى أمين يُعلِّمه الصنعة أو إلى من يُعلِّمه القراءة والخطّ والحساب والعلوم النافعة لدينه ودنياه، ويلزم عليه أن يصونه عمّا يُفسد أخلاقه فضلاً عمّا يضرُّ بعقائده).

المفردة الرابعة: العلاقة مع صاحب المعروف علينا.

لا شك أن الإنسان سيواجه في حياته من يُحسن إليه، بدءاً بالصديق، والجار، والمعلم، فضلاً عن الوالدين، والأرحام.

فكيف يتم التعامل مع صاحب المعروف علينا؟

لا بد أن نتعرف على هذه الكيفية، وننقل معرفتنا إلى أولادنا، ليُحسنوا أداء هذا الحق بكل أريحية وانسيابية.

بادئ ذي بدء، نذكر مقدمة:

تتعدد العلاقات بين البشر بتعدد الشخصيات، وعند التعامل المتبادل بين البشر - بشخصياتهم المختلفة- تتولد عدة أنماط من السلوك، ولكل نمط ميزاته وخصائصه، والمشاهد وجداناً أن هناك أساليب يستعملها بنو البشر في سلوكياتهم، ومنها التالي:

الأول: الأسلوب الأناني:

وهو ينطبق على الشخص الذي لا يرى حقاً إلا لنفسه في تعامله مع الآخرين تحت

شعار:

هي النفس نفسي يذهب الكل عندها إذا سلمت فليذهب الكون عاطباً
فهو لا يفكر إلا في مصلحته الشخصية.

في الحقيقية، أن التفكير بالمصلحة الشخصية ليس فيه خلل في حدّ نفسه، وإنما يكون الخلل والعيب إذا صار حساب المصلحة الشخصية يضر بالآخر، أو أن يبني

سعادته على تعاسة الآخرين، بحيث تجده يتصرف وفق أسلوب يكشف عن أنانيته، ومثال ذلك الاستعمار، حيث إنه يأتي بشعارات براقية تحت عنوان الحرية والديموقراطية وتخليصك من الدكتاتورية، ولكن عند التنفيذ تجد أنه يقدم مصلحته الشخصية على الآخرين، ولا ضير عنده في أن يستخدم الأسلحة الكيماوية أو الجرثومية وما تخلفه من أضرار، ولا يهمنه أن يهلك شعب وتهلك الثروات الطبيعية في قبال التخلص من شخص واحد، فهو يعمل ضمن دائرة التفكير الأناني.

هناك من يرمي بالمخلفات من سيارته حفاظاً على نظافتها، ولا يهمنه نظافة الطريق وبلده، فهو لا يفكر بالمصلحة العامة.

ومثاله أيضاً البخيل، فهو يجمع الأموال على حساب سعادة أولاده وزوجته، بل هناك من يبخل حتى على نفسه.

الثاني: الأسلوب الجاف أو القصاصي.

أو أسلوب: من لا يفعل المعروف إلا إذا سبقته أنت بمعروف، وهو أفضل من الأسلوب الأول بدرجة، وهو أسلوب منتشر بين العديد من فئات المجتمع، ويمكن أن تجده في صور متعددة، ومثاله: من لا يلقي التحية حتى تُلقى التحية أنت عليه، حتى وإن كان الشخص المقابل أكبر منه عمراً أو منزلةً، في حين أن الإسلام حثّ على أهمية من يبدأ بالسلام، فقد روي في بعض الروايات: المؤمن لين المنكب يوسع على أخيه، والمنافق يتجافى يضيق على أخيه، والمؤمن يبدأ بالسلام، والمنافق يقول: حتى يبدأ بي.^(١) فأنت لا تستطيع أن تسبق المؤمن بالسلام حتى في المكالمة التلفونية؛ إذ بيتدئ حديثه بإلقاء السلام، والنبي الأعظم ﷺ كان يبدأ بالسلام حتى على الصبيان لتكون

(١) كنز العمال للمفتي الهندي (ج ١ ص ١٥٦ ح ٧٧٨).

سنة من بعده.^(١)

في بعض الأحيان هناك مواقف تحتاج إلى مروءة، إلا أن صاحب هذا الأسلوب لا يسمح من أخطأ بحقه، حتى وإن جاء وطلب السماح منه، فلا يقبل العذر، هو صارم وجافٌ جداً، لا تجد فيه أي نوع من الليونة في التعامل - كما في القوانين الوضعية في كثير من الأحيان - فلا تسامح ولا تعامل بالمروءة.

في بعض الأحيان هذا الأسلوب ينفع، هو أسلوب: ﴿فَمَنْ اِعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة ١٩٤].
ولكن في بعض الأحيان يؤكد القرآن على التسامح وأهميته فيقول ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء ١٢٨].

إذاً، يجب أن تكون هناك مرونة في التعامل مع الآخر؛ حتى تستمر الحياة.

الثالث: الأسلوب الاستسلامي:

صاحب هذا الأسلوب لا يقول: (لا) أبداً، حتى وإن سلبته حقه، أو كلفته بأمور تضره في نفسه أو في عائلته أو في صحته، وحتى لو غششته، فهو يبالي في صفة الحياء إلى الحد الذي تُصبح فيه سبباً لإذلاله أو ضرره.

إن الحياء مطلوب، ومن صفات المؤمن أن يكون حياً، ولكن بمعنى أن يكون حياً عن الحرام، فيلزم أن لا تكون للمؤمن رغبة تذله^(٢)، ولا يضع نفسه في موضع الشبهة

(١) أنظر: الخصال: ٢٧١ و ٢٧٢ / ح ١٢ و ١٣.

(٢) في الكافي للكليني (ج ٢ ص ٣٢٠ بَابُ الطَّمَعِ ح ١ و ح ٢) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «مَا أَقْبَحَ بِالْمُؤْمِنِ أَنْ تَكُونَ لَهُ رَغْبَةٌ تَذَلُّهُ».

وعن أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ لَهُ طَمَعٌ يَقُوذُهُ وَبِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ لَهُ رَغْبَةٌ تَذَلُّهُ».

فيُظن به ظن السوء^(١)، والمرأة الحبيبة يجب أن تكون مستورة ولا ترفع صوتها وضحكاتهما في الشارع مثلاً، فهذا الأمر مطلوب، لكن بحدٍّ أن لا يذوب الإنسان في الآخر، بحيث لا يكون له أي رأي، فهذا الأمر منهي عنه؛ لأنه سيولد الكثير من المشاكل في المجتمع، فمثل هذا الشخص سيقصّر مع عائلته؛ لأنه لا يستطيع أن يقول (لا) لأحد؛ خجلاً من الآخرين، بل حتى إنه ليؤثر على نفسه وصحته.

نحن في بعض الأحيان نحبّ هذا الأسلوب من البعض تجاهنا، فمثلاً الكثير منّا يميل في قلبه على ولده المطيع المستسلم، والذي ينفذ كل ما نطلبه منه، ولكن علماء النفس يؤكدون بأن مثل هذا الولد قد تكون شخصيته ضعيفة ومهزوزة - وإن كان يمكن أن يكون مؤدباً ومن يحترم والديه كثيراً-، في حين أن من يناقشك ويطلب السبب قبل التنفيذ، فهو ذو شخصية أقوى، إذ إن باب الحوار مع الأولاد ينمي شخصياتهم، ومعه فيجب أن لا نغرس في أولادنا الأسلوب الاستسلامي، وإنما نعلمهم على أسلوب النقاش والتفاهم بحدود الأدب، وعلم التنمية البشرية اليوم يؤكد على أن نتعلم كيف نقول: (لا).

الرابع: أسلوب (أنا وأنت، كلانا نربح):

وهو أسلوب التوازن في العلاقات، وأسلوب المعروف، وهو ما أكدت عليه الدراسات الاجتماعية والتنموية والتربوية وغيرها، وهو يبتني على عدة ركائز، منها:

الركيزة الأولى: قانون الحقوق والواجبات:

إن المنهج الاجتماعي يقتضي أن تأخذ وتعطي، لا أن تأخذ ولا تعطي، ولا أن تعطي

(١) في نهج البلاغة: (٥٠٠ / ح ١٥٩) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ وَصَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهْمَةِ، فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ».

وفي نهج البلاغة: (٥٣٦ / ح ٣٤٩): مَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ أَثِمَّ.

ولا تأخذ، والمؤمن المستقيم يعمل ضمن هذا النظام مع الجميع.
 في حديث للإمام الصادق عليه السلام: «الناس سواء كأسنان المشط. والمرء كثير بأخيه،
 ولا خير في صحبة من لم ير لك مثل الذي يرى لنفسه»^(١).
 فمثل هذا الذي لا يرى لك عليه مثل الذي له عليك، هو ليس لك بأخ، فهو يأخذ
 منك ولا يعطي.

الركيزة الثانية: الشخصية المتزنة:

فهو لا مستسلم جداً ولا صلب جداً، على غرار: لا تكن يابساً فتكسر ولا ليناً
 فتُعصر، ففي المواقف الصلبة يقف ولا يتنازل عن رأيه، وفي نفس الوقت إذا ما تغير
 الموقف ووجد أن عليه أن يعتذر، فهو يبادر إلى الاعتذار.
 إن التوازن يقتضي أن تقاس المواقف بمقياس دقيق، وأن يتم التصرف حسب
 الظروف الموضوعية، ويقتضي من الإنسان أن يكون صاحب معروف، وأن يضع
 المعروف في أهله.

وقد أرفدتنا الروايات الشريفة بما ينفعنا في هذا المجال، فعن الإمام الصادق
 (صلوات الله وسلامه عليه) أنه قال لعنوان البصري: «فمن قال لك: إن قلت واحدة
 سمعت عشراً، فقل: إن قلت عشراً لم تسمع واحدة، ومن شتمك فقل: إن كنت صادقاً
 فيما تقول فالله أسأل أن يغفرها لي، وإن كنت كاذباً فيما تقول فالله أسأل أن يغفرها لك،
 ومن وعدك بالجفاء فعهده بالنصيحة والدعاء...»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «بَعَثَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِلَى بَشْرِ بْنِ عَطَّارٍ التَّمِيمِيِّ فِي

(١) تحف العقول للحراني ص ٣٦٨.

(٢) مشكاة الأنوار لعلي الطبرسي (ص ٥٦٤).

كَلَامَ بَلَّغَهُ، فَمَرَّ بِهِ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي بَنِي أَسَدٍ وَأَخَذَهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ نَعِيمٌ بِنُ دَجَاجَةَ الْأَسَدِيِّ فَأَفَلَّتَهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَأَتَوْهُ بِهِ وَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُضْرَبَ، فَقَالَ لَهُ نَعِيمٌ: أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ الْمَقَامَ مَعَكَ لُدُّلٌ، وَإِنَّ فِرَاقَكَ لَكُفْرٌ. قَالَ: فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ قَالَ لَهُ: يَا نَعِيمُ، قَدْ عَفَوْنَا عَنْكَ، إِنَّ اللَّهَ تعالى يَقُولُ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ أَمَا قَوْلُكَ: إِنَّ الْمَقَامَ مَعَكَ لُدُّلٌ، فَسَيِّئَةٌ اِكْتَسَبْتَهَا، وَأَمَا قَوْلُكَ: إِنَّ فِرَاقَكَ لَكُفْرٌ فَحَسَنَةٌ اِكْتَسَبْتَهَا، فَهَذِهِ بِهَذِهِ. ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُحْلَى عَنْهُ..^(١)

ومن أجل التشجيع على هذا الأسلوب وإدامته ونشره، وضع الإمام زين العابدين (سلام الله عليه) فقرة من رسالة الحقوق بأن تؤدي حق من قام بالمعروف لك، حتى لا ينقطع سبيل المعروف، فقال عليه السلام: «وأما حق ذي المعروف عليك فإن تشكره وتذكر معروفه وتكسبه المقالة الحسنة وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله تعالى، فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرا وعلانية، ثم إن قدرت على مكافأته يوما كافيته».^(٢)

وهذه الحقوق هي:

الأول: أن تشكره:

فإن من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق، فيجب أن تشكر صاحب المعروف.

عَنْ عَمَّارِ الدُّهْنِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِينٍ وَيُحِبُّ كُلَّ عَبْدٍ شَكُورٍ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِعَبْدٍ مِنْ عِبِيدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَشْكُرْتُمْ فَلَانَا؟ فَيَقُولُ: بَلْ شَكْرْتُمْ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: لَمْ تَشْكُرْنِي إِذْ لَمْ تَشْكُرْهُ. ثُمَّ قَالَ: أَشْكُرْكُمْ اللَّهُ أَشْكُرْكُمْ لِلنَّاسِ».^(٣)

(١) الكافي للكليني (ج ٧ ص ٢٦٨ باب النوادر ح ٤٠).

(٢) الخصال للشيخ الصدوق ص ٥٦٨ - ٥٦٩.

(٣) الكافي للكليني (ج ٢ ص ٩٩ باب الشكر ح ٣٠).

الثاني: تذكر معروفه:

فعندما تجالس غيره عليك أن تذكر معروفه، إذ عندما تمدحه فإنك تشجعه وتشجع غيره على عمل المعروف.

الثالث: تكسبه المقالة الحسنة:

لعل بعض الناس يتكلم بالسوء على من يُحسن اليه، وهذا أمر قبيح، بل العقل والنقل يلزمك أن تمدحه وتنشر فعله الحسن بين الناس، فيكتسب بذلك السمعة الحسنة، ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن: ٦٠).

الرابع: أن تخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله تعالى:

أي تدعو له سرًا بينك وبين الله تعالى، ففيه نفع لك وله. ولا شك في أن دعائك بظهر الغيب لأخيك، سيرجع عليك بفائدة عظيمة، وقد روي عن يونس بن عبد الرحمن، قال: رأيت عبد الله بن جندب وقد أفاض من عرفة، وكان عبد الله أحد المتهجدين قال يونس: فقلت له قد رأى الله اجتهادك منذ اليوم. فقال لي عبد الله: والله الذي لا اله الا هو، لقد وقفت موقفي هذا وأفضت، ما سمعني الله دعوت لنفسي بحرف واحد، لأنني سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «الداعي لأخيه المؤمن بظهر الغيب ينادي من أعنان السماء، لك بكل واحدة مائة ألف، فكرهت مضمونة لواحدة لا أدري أجاب إليها أم لا». ^(١)

فإن فعلت كل ذلك، كنت قد شكرته سرًا وعلانية.

الخامس: يؤكد الإمام (صلوات الله عليه) على أمر آخر وهو:

أنك إن قدرت على أن تُرجع المعروف لصاحبه، أي أن تجازيه بمعرفه، فافعل،

(١) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) للشيخ الطوسي (ج ٢ ص ٨٥٢ رقم الترجمة ١٠٩٧).

فهو من ابتداءً بالمعروف، فإن مرت الأيام وكنت قادرًا على ردّ المعروف فردّه بأفضل منه،

ولنا في أئمتنا أسوة حسنة.

فقد روي أنه خرج الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر حُبَّاجًا، ففاتتهم أثقالهم، فجاجعوا وعطشوا، فرأوا في بعض الشعوب خبأً رثًا وعجوزًا، فاستسقوها، فقالت: اطلبوا هذه الشويهة، ففعلوا، واستطعموها، فقالت: ليس إلاّ هي، فليقم أحدكم فليذبحها حتّى أصنع لكم طعامًا، فذبحها أحدهم، ثمّ شوت لهم من لحمها وأكلوا وقيلوا عندها، فلمّا نهضوا قالوا لها: نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه، فإذا انصرفنا وعدنا فالممي بنا فإننا صانعون لك خيرًا، ثمّ رحلوا، فلما جاء زوجها وعرف الحال أوجعها ضربًا، ثمّ مضت الأيام فأضربها الحال، فرحلت حتّى اجتازت بالمدينة، فبصر بها الحسن عليه السلام فأمر لها بألف شاة وأعطها ألف دينار، وبعث معها رسولاً إلى الحسين عليه السلام فأعطها مثل ذلك، ثمّ بعثها إلى عبد الله بن جعفر فأعطها مثل ذلك^(١).

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (ج ٣ / ص ١٨٢).

الجانب الرابع: الجانب الاقتصادي

يعتبر الجانب الاقتصادي من أهم الجوانب التي تشغل مساحة واسعة من تفكير الناس أمس واليوم، لما له من أثر مباشر في حياتهم اليومية.



ولأهميته القصوى، واليومية، فقد عمدت بعض الدول الاستعمارية إلى استغلال حاجة غيرهم في السيطرة عليهم وجعلهم تابعين لهم بمعنى الكلمة، وأنتم تعلمون أن من أفسى العقوبات الدولية هو الحصار الاقتصادي.

لو لم يتم إشباع هذا الجانب، فقد يندفع الفرد إلى ارتكاب الجرائم في حق نفسه أو في حق غيره، وبالتالي قد تتسبب هذه الحالة في فوضى لا قرار لها.

هذا أمر واقعي لا يُنكر، وقد روي عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا»^(١).

الدين عموماً لا يقف موقفاً سلبياً من الغنى وتحسين الحالة الاقتصادية، لا على العكس، فإن له منظومة متكاملة في هذا الجانب، بحيث يملأ كل فراغاتها، بدءاً من الدعوة إلى العمل، وجعل الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله تعالى، مروراً بضبط طرق تحسينها، وتشذيبها مما قد يؤدي إلى الطبقة المقيتة، وتحريم الطرق الملتوية وغير العقلانية ولا الشرعية، وانتهاءً بالدعوة إلى التكافل الاجتماعي عبر منظومة من التشريعات الواجبة والمستحبة.

في هذا الجانب، سنعمل على تسليط الضوء على مفردتين، تمثل الأولى منها الصورة العامة للتعامل مع الطبيعة، وكيف أن الإنسان استخدمها إلى أقصى حد، وطرق التعامل معها، وفي الثانية منها تخصص الكلام بالتربية الاقتصادية للأولاد، ونسأل الله تعالى التوفيق والقبول.

(١) الكافي للكليني ج ٢ ص ٣٠٧ باب الحسد ح ٤.

المفردة الأولى: العلاقة مع الطبيعة

من العلاقات الواقعية التي لا يستطيع الإنسان العيش بدونها، لأنها توفر له المادة الخام لاستمراره في هذه الحياة، هي علاقته مع الطبيعة.

الموجود في هذه الأرض ليس فقط الإنسان، فهناك الحيوان، النبات، وهناك أيضاً بقية الموجودات -الطبيعة- وكما تعبر الفلسفة القديمة هناك العناصر الأربعة: الماء، الهواء، التراب، النار، هذه العناصر تمثل الطبيعة والتي توجد فيما بينها وبين الإنسان علاقات متجذرة منذ أول يوم وجد الإنسان على هذه الأرض، ولا غنى للإنسان عن هذه العلاقة، إذ كيف يعيش من دون ماء أو هواء...؟!

الطبيعة، النبات، الحيوان، وكل عنصر موجود -غير الإنسان- في هذه الأرض يمثل جزءاً من العلاقة الضرورية الواقعية التي يعيشها الإنسان في هذه الحياة، وإذا أردنا أن نبحث في علاقة الإنسان مع هذه الطبيعة وكيف تعامل معها، فإننا نجد أن الإنسان لم يتخذ طريقة واحدة في التعامل معها، هو على كل حال انتفع من الطبيعة، ولكن كيف؟ نتحدث هنا في عدة خطوات:

الخطوة الأولى: أنواع التعامل مع الطبيعة.

أولاً: الأبحاث التاريخية تقول: إن التعامل كان على نواحٍ متعددة، بعض الحضارات وجدت أن الإنسان أضعف بكثير من بعض موجودات الطبيعة، وفي نفس الوقت هو محتاج لهذه الموجودات، فتصور أن لها تأثيراً ما، فعمد إلى التقرب إليها، فعبدها، فأصبح

هناك إله الشمس، إله الرياح، إله البرق... والكثير من الآلهة التي ظنَّ الإنسان أن فيها قدرة تفوق طاقته، فعبدوها علَّها تخفف من وطأة غضبها عليه...

ثانياً: هناك نوع آخر من عبادة الطبيعة، جاء متلبساً بلباس جديد، يعني أنهم لم يصرحوا بعبادتهم للطبيعة، وإنما عبدوها بطريقة مغلَّفة، وذلك حين بحثوا في بدايات الخلقة للإنسان، وما هي النقطة التي انطلقت منها البشرية، فانتهوا إلى أن الطبيعة هي من خلقتهم!

إن الطبيعة ما هي إلا (الماء، الهواء، التراب، النار) وجميعها موجودات عشوائية وليست منظَّمة، انظر مثلاً: العاصفة، إذا دخلت على بلد أفسدت كل شيء، النار إذا شبت فإنها تُحرق الأخضر واليابس، والماء إذا طغى لا يرحم صغيراً ولا كبيراً، ولم نَرِ ظاهرة من الظواهر الطبيعية تصنع شيئاً منظَّماً، فكيف يمكن أن نعقل أن هذه الطبيعة هي التي أوجدت هذا الإنسان وبهذه الدقة التي يحكيها لنا الطب وعلم التشريح؟! على كل حال، فإن هناك نوعاً من التعامل مع الطبيعة على أنَّها إله وإن كان بطريقة مغلَّفة.

ثالثاً: تعاملت النخب العلمية مع الطبيعة على أنَّها مادة مختبرية لإجراء أبحاث علمية للاستفادة القصوى منها في هذه الحياة، وهذا النوع من التعامل مع الطبيعة هو الذي طوّر الحياة إلى ما نراه اليوم، إذ استطاع الإنسان أن يستفيد من العناصر الموجودة في الأرض ليبنى منها ناطحات السحاب، والانتفاع من الهواء في رفع الطائرة في السماء، وذلك الماء ليعطينا الطاقة الكهربائية، ذلل النار ليعطينا محركات دفع قوية اختصرت علينا المسافات.

هذه النخبة من العقول استطاعت الانتفاع من المواد الخام لتسخيرها في خدمة الإنسان، ونجحت في ذلك، وهذا أمر جيد، والعقل يقبله والدين لا يُعارضه.

رابعاً: البعض تعامل مع الطبيعة مختبرياً، ولكن بالإضافة إلى ذلك كانت لهم نظرة أخرى، حيث رأوا هذه الطبيعة بهذا التنظيم اللامتناهي والذي إلى الآن لم يتمكن البشر من اكتشاف الكثير من العلاقات بين موجوداتها، فقالوا: إنَّ هذا النظام الدقيق في الكون لا يمكن أن يصدر بالصدفة، ولا يمكن أن يكون بطريقة عشوائية، فلا بد من وجود منظمِّ عالم، حكيم، قادر، هو الذي خلق هذا النظام الدقيق لهذه الطبيعة. فانتهوا إلى وجود مدبر لهذا الكون، وهو الذي نسميه: الله ﷻ.

الخطوة الثانية: تفاعل الإنسان مع الطبيعة:

علاقات الإنسان مع الطبيعة متعددة، ومرت بمراحل كثيرة، ولكن الشيء الجامع لكل هذه العلاقات هو أنَّ الإنسان أراد أن ينتفع منها غاية الانتفاع. هو محتاج إليها، وحتى يستفيد منها احتاج إلى الآلة وإلى الإنسان الآخر، احتاج إلى الفأس وإلى المعول وغيرها من الآلات كي يحفر الأرض ويجرثها ويوجد الأنفاق وغيرها.

احتاج إلى الإنسان الآخر لأنه أدرك أنه بمفرده لا يتمكن من إنجاز جميع أعماله، وأما كيف استخدم الإنسان الآخر؟

البعض بالإجارة، البعض بالتعاون، وآخرون بالاستعباد.

كما أن الاستفادة من الطبيعة كانت بعدة وسائل، واحدة من الوسائل التي استخدمها الإنسان لإخضاع الطبيعة هي ما تسمى بالأموال.

الأموال: وسيلة اصطنعها الإنسان حتى يتمكن من تسخير الإنسان الآخر لإخضاع الطبيعة والاستفادة منها.

المال هو مجرد أمر اعتباري، هي ورقة تمت طباعتها بطريقة معينة خاضعة لقانون

معين.

علينا أن نذكر بأن الدين لا يتعارض مع إذلال الطبيعة لخدمة الإنسان، الله تعالى هو من سخرها لنا، يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجمانية ١٣] خلقه الله تبارك وتعالى لنا، وترك لنا أن نُفَعِّلَ إرادتنا ونستعمل عقولنا في كيفية الاستفادة منها للعيش في هذه الدنيا حياة رغيدة، فأصبح المال إحدى الوسائل لإخضاع الطبيعة والانتفاع منها.

الخطوة الثالثة: تعامل الإنسان مع المال.

إن تعامل الإنسان مع هذه الأموال لم يكن على نسق واحد، وإنما اختلفت معاملته: ١/ بعضهم اعتبر الأموال غاية وهدفاً، فنراه ابتلي برذيلة البخل، حتى إن بعضهم لديه من الأموال ما تكفي عدة أجيال من بعده، ومع ذلك نراه يكدح ويتعب نفسه في جمع وكنز الأموال!

هناك حديث لأمير المؤمنين عليه السلام حول هذه الحالة يبين أن أقل من ينتفع من هذه الأموال هو جامعها، فيقول عليه السلام: «عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعَجِلُ الْفَقْرَ الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ، وَيُفَوِّتُهُ الْغِنَى الَّذِي إِتْيَاهَ طَلَبَ، فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ، وَيُحَاسِبُ فِي الْآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ»^(١).

وسبحان الله الذي جعل الدنيا كماء البحر كلما شرب منها العطشان ازداد عطشاً!^(٢) إن من يرى أن الأموال هدف فإنه سيبتلى بالبخل والجشع، كما أنه سيشرعن لنفسه أي طريقة للحصول عليها، ولو كانت عن طريق السرقة والغش والربا... وغيرها من

(١) نهج البلاغة ص ٢٩ - ٣٠ الحكمة (١٢٦)

(٢) في الكافي للكليني (ج ٢ ص ١٣٦ بَابُ دَمِّ الدُّنْيَا وَالزُّهْدِ فِيهَا ح ٢٤) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ مَاءِ الْبَحْرِ، كُلَّمَا شَرِبَ مِنْهُ الْعَطْشَانُ أَزْدَادَ عَطْشًا، حَتَّى يَقْتُلَهُ».

الطرق غير المشروعة، وآخر هذا الجمع للأموال أنه ستركها ويذهب رغماً على أنفه!
 ٢/ هناك بعض آخر يتعامل مع المال على أنه وسيلة وآلة، ولكن لا استعداد
 الآخرين، فيعتبرهم كأنهم خدم له. يحسب أن أمواله تشرفه على الآخرين، ولو لم ينته
 مثل هذا الفرد فإن أمواله ستهلكه عاجلاً أو آجلاً...

روي أنه جاء رجل موسر إلى رسول الله ﷺ نقي الثوب، فجلس إلى رسول الله ﷺ،
 فجاء رجل معسر درن الثوب، فجلس إلى جنب الموسر، فقبض الموسر ثيابه من تحت
 فخذه، فقال له رسوله الله ﷺ: «أخفت أن يمسك من فقره شيء؟»، قال: لا، قال:
 «فخفت أن يصيبه من غناك شيء؟»، قال: لا، قال: «فخفت أن يوسخ ثيابك؟»، قال:
 لا، قال: «فما حملك على ما صنعت؟»، فقال: يا رسول الله، إن لي قريناً يُزِين لي كلَّ
 قبيح ويُقَبِّح لي كلَّ حسن، وقد جعلت له نصف مالي، فقال رسول الله ﷺ للمعسر:
 «أقبل؟»، قال: لا، فقال له الرجل: ولم؟ قال: أخاف أن يدخلني ما دخلك.^(١)

٣/ هناك نوع ثالث للتعامل مع الأموال على أنها وسيلة وآلة، كالطعام الذي هو
 وسيلة للاستمرار بالعيش، لا لكنزه وخرنه، وهذا النوع من التعامل أيضاً ينقسم إلى
 قسمين:

أ: بعض يستعمل الأموال كوسيلة لإعمار الدنيا دون الآخرة، وللتوسعة على نفسه
 ولكن دون مراعاة حقوق المال.

ب: وبعض يستعمله كوسيلة لعمران الدنيا والآخرة.

ولا نحتاج إلى كثير عناء لنحكم بأن أفضل من يتعامل مع المال هو الأخير.

أما ما هي حقوق الأموال التي جعلت هذا النوع من التعامل ينقسم إلى قسمين؟

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٢/ ص ٢٦٢ و٢٦٣/ باب فضل فقراء المسلمين/ ح ١١)..

فهذا ما سنعرفه في الخطوة اللاحقة.

الخطوة الرابعة: صفات المال النعمة.

يتبين من خلال ما تقدم: أن المال يتصف بعدة صفات، إذا أخذت بعين الاعتبار سيصبح نعمة من نعم الله ﷻ، ويصبح من العوامل المساعدة لدخول الإنسان إلى الجنة، والتي هي:

أولاً: أن المال وسيلة لا هدف، لأنه إذا أصبح هدفاً فسيولد البخل، والغش، والسرقة، والربا، وغيرها من الرذائل الأخلاقية المهلكة.

ثانياً: المال مسؤولية لا شرف، فهو وإن أُعْتِبِرَ في غالب المجتمعات شرفاً، لكن في نفس الوقت هو مسؤولية، فمسؤولية الغني تختلف عن مسؤولية الفقير.

مسؤولية المال: أن لا يأخذه إلا من حلّه، ولا ينفقه إلا في وجهه، وكما تعبر الرواية عن رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة لم تزل قدما عبد حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعمّا اكتسبه من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن حبنا أهل البيت»^(١).

قد يكتسبه من مصدر حلال، ولكنه ينفقه في حرام، وقد يكتسبه من حرام وينفقه في حلال، كلاهما خطأ!

على الإنسان أن يكتسبه من حلال وينفقه في حلال، فإذا أدى مسؤولية المال وأنفق على من يجب أن ينفق عليهم، فلا يجعل زوجته وأولاده يتكفنون الأموال من غيره، وأخرج الحق المفترض من الله ﷻ عليه من زكاة وخمس وغيرها «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتَّعَ بِهِ غَنِيِّ، وَاللَّهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَن

(١) تحف العقول لابن شعبة الحرّاني: ٥٦.

ذَلِكَ»^(١).

إذا أصبح التعامل مع الأموال بهذه الطريقة، فهذا سيقوده إلى الآخرة.

وفي ذلك روي أنه قال رَجُلٌ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: وَاللَّهِ إِنَّا لَنَطْلُبُ الدُّنْيَا وَنُحِبُّ أَنْ نُؤْتَاهَا! فَقَالَ عليه السلام: «مُحِبُّ أَنْ تَصْنَعَ بِهَا مَاذَا؟» قَالَ: أَعُوذُ بِهَا عَلَى نَفْسِي وَعِيَالِي وَأَصْلُ بِهَا وَأَتَصَدَّقُ بِهَا وَأُحِبُّ وَأَعْتَمِرُ. فَقَالَ عليه السلام: «لَيْسَ هَذَا طَلَبَ الدُّنْيَا، هَذَا طَلَبُ الْآخِرَةِ»^(٢).

التوسعة على العيال، إقراض المال للمحتاجين من المؤمنين، الإنفاق في سبيل الله تعالى، هذه من الأمور الموصلة إلى الآخرة، ولهذا يخطئ من يتهم مؤمناً لأنه يسكن في بيت واسع أو يرى عليه بعض علامات الحياة المرفهة، وكأن على المؤمن أن يعيش حياة القسوة والحرمان، متصوراً أن هذه هي حياة الزهد التي يلزم على المؤمن أن يعيشها، في حين أن الزهد هو ترك الحرام. وهو ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: «الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قَصْرُ الْأَمَلِ وَشُكْرُ كُلِّ نِعْمَةٍ وَالْوَرَعُ عَنْ كُلِّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عز وجل»^(٣).

فإذا حصل الإنسان على الأموال من حلال، وأنفقها في الحلال، وطلب بها مرضاة الله عز وجل، فهذا لا يخالف الشريعة.

الإمام زين العابدين عليه السلام يبين أن من حق المال باختصار هو: «وأما حق مالك فأن لا تأخذه إلا من حله، ولا تنفقه إلا في وجهه، ولا تؤثر على نفسك من لا يحمذك، فاعمل فيه بطاعة ربك، ولا تبخل به فتبوء بالحسرة والندامة مع السعة، ولا قوة إلا بالله»^(٤).

(١) روضة الواعظين للفتال النيسابوري (ص ٤٥٤)؛ ووسائل الشيعة للحرّ العاملي (ج ٩ / ص ٢٩).

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٥ / ص ٧٢ / باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة / ح ١٠).

(٣) الكافي للكليني ٥: ٧١ / باب معنى الزهد / ح ٣.

(٤) الخصال للشيخ الصدوق ص ٥٦٩.

«ولا تؤثر على نفسك من لا يحمدك» أي: لا تنفقه على شخص لا يُقدَّر ذلك منك
وكأنك رميت بأموالك في البحر.

«فاعمل به بطاعة ربك، ولا تبخل به فتبوء بالحسرة والندامة مع التبعة»

البعض من الذين يجمعون الأموال تتقدم بهم أعمارهم وتتكاثر الأمراض عليهم،
فلا يتمكنون حتى من أن يهتئوا بأموالهم، وتبقى الحسرة والندامة في قلوبهم، كما تبقى
تبعتها تلحقهم يوم القيامة إذا لم يؤدوا حقوقها.

فالمال وسيلة لا هدف، مسؤولية لا شرف، المال يُقصد منه عمران الدنيا والآخرة
معاً، وليس الدنيا فقط أو الآخرة فقط، إذ إنه ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «ليس منّا من
ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه»^(١).

وروي عن العالم عليه السلام أنه قال: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك
كأنك تموت غداً»^(٢).

إذا أصبح التعامل مع المال بهذه الطريقة، فسيصبح من الأمور النافعة في الدنيا
والآخرة، وإذا حدث في هذه المعادلة خلل فإنه سيحدث خلل في المنهجية، خلل في
الحياة، خلل في النتائج.

(١) من لا يحضره الفقيه للصدوق ٣: ١٥٦ / ح ٣٥٦٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه للصدوق ٣: ١٥٦ / ح ٣٥٦٩.

المفردة الثانية: التربية الاقتصادية

هذه الحياة قائمة على مبدأ التوازن، والخلل فيه يؤدي إلى الخلل في الحياة، وهذا الأمر شامل لكل مفرداتها، وعلى جميع المستويات.

التربية تدخل ضمن هذا المضمار، فهي مفهوم حياتي يقتضي التوازن لو أريد له النجاح، وهذا الأمر يشمل كل جوانبها، إذ للتربية جوانب متعددة، بعضها نفسية، وبعضها ثقافية، وجسدية، وغيرها، ومنها الجانب الاقتصادي، وهو محل البحث.

إن الجانب الاقتصادي يُنظر له من جانبيين:

الجانب الأول: من جهة الوالدين

أي ما يلزم على الأبوين اقتصادياً اتجاه الأبناء، والمطلوب منهم هو إحداث عملية (التوازن) هنا، فلا إفراط ولا تفريط، لا دلال زائداً عن الحد المطلوب، ولا بخل وتقصير فيما يحتاجونه اقتصادياً.

وحتى تتضح الصورة نذكر النقاط التالية:

النقطة الأولى: إن إهمال الجانب الاقتصادي للأولاد، يؤدي إلى نتائج وخيمة، منها: أولاً: شعور الأولاد السلبي بعدم قيمتهم في الحياة لدى آبائهم، فعندما يراك ولدك تهتم بسيارتك وصحتها الميكانيكية أكثر من صحته البدنية، وعندما يراك تشتري أعلى الهواتف النقالة لإشباع رغبتك ولا تشتري له لعبته المفضلة أو حتى ملابسه الضرورية، عندها سيتمنى أن يكون حاجة من حاجياتك التي تهتم بها، وسيشعر أنه إنسان لا قيمة له عندك.

هذا إذا كان الأب يهتم بمثل تلك الأمور.

ثانياً: أما إذا كان من النوع البخيل، فهو لا يصرف على نفسه ولا على عياله، فإنه بالإضافة إلى خسارته لولده، هو سيخسر قيمته المعنوية أمام أولاده، ذلك لأنهم وبلا شك سيسمعون أصدقاءهم يسردون عليهم مقاطع قصصية من سفراتهم الترفيهية مع آبائهم، أو صورة الهدية التي أحضرها الأبوان يوم عيد ميلادهم، أو يوم حصلوا على نتائج جيدة في الامتحان، وبمقايسة بسيطة من الأولاد سيحكمون على ذلك الأب البخيل بحكم قاسٍ جداً، وسيحتاج الأب إلى وقت طويل ليصحح ذلك الحكم

ويستأنف حياته الأبوية بصورتها الإيجابية معهم، لو أراد تصحيح صورته طبعاً.

ثالثاً: إن الأولاد سينتظرون اللحظة المناسبة للتحرر من قيود سجن البيت، ذلك عندما تتاح لهم فرصة الحصول على المال، بعمل او غيره، حينها، سيستغنون عن أبيهم بالمرّة، كما اضطرهم هو من قبل أن يستغنوا عن أمواله.

لا تنس أن المال يمكن تعويضه، ولكن كيف ستعوض قلباً خسرتَه أو ابناً حرمتَه؟!
النقطة الثانية: إن الشرع قائم على ضرورة تكفّل الأب مهمة الرعاية الاقتصادية للبيت عموماً، فحتى لو كانت الزوجة غنية، فإن نفقتها الواجبة هي على زوجها، نعم، إذا كان للأولاد أموال خاصة فيمكن للأب - وهو وليهم الشرعي - أن يصرفها عليهم، بشرط أن لا يكون في صرفها مفسدة عليهم، أما إذا لم يكونوا يملكون المال، فإن تمام نفقتهم اللازمة هي على أبيهم، والتقصير في هذا الجانب قبيح عقلاً وحرام شرعاً.^(١)

النقطة الثالثة: صحيح أنه لا يجب على الأم أن تنفق على أولادها وعلى نفسها مع

(١) منهاج الصالحين للسيد السيستاني (ج ٢ / مسألة ٨٥): يجوز للأب والجدُّ للأب وإن علا التصرف في مال الصغير بالبيع والشراء والإجارة وغيرها، وكلٌّ منها مستقلٌّ في الولاية فلا يُعتبر الإذن من الآخر، كما لا تُعتبر العدالة في ولايتها، ولا أن تكون مصلحة في تصرفها، بل يكفي عدم المفسدة فيه، نعم إذا دار الأمر بين الصالح والأصلح لزم اختيار الثاني إذا عدَّ اختيار الأول - في النظر العقلائي - تفریطاً من الوليِّ في مصلحة الصغير، كما لو اضطرَّ إلى بيع مال الصغير وأمكن بيعه بأكثر من قيمة المثل فلا يجوز له البيع بقيمة المثل، وكذا لو دار الأمر بين بيعه بزيادة درهم عن قيمة المثل وزيادة درهين لاختلاف الأماكن أو الدلائل أو نحو ذلك لم يجز البيع بالأقلِّ، وإن كانت فيه مصلحة المفسدة على كونه كذلك في نظر العقلاء لا بالنظر إلى علم الغيب، فلو تصرف الوليُّ باعتقاد المصلحة فتبيّن أنّه ليس كذلك في نظر العقلاء بطل التصرف، ولو تبيّن أنّه ليس كذلك بالنظر إلى علم الغيب صحَّ إذا كانت فيه مصلحة بنظر العقلاء.

وفي منهاج الصالحين للسيد السيستاني (ج ٢ / مسألة ١٠٨١): (ينفق الوليُّ على الصبيِّ بالاقتصاد، لا بالاسراف ولا بالتقتير، ملاحظاً في طعامه وكسائه وغيرهما ما يليق بشأنه).

وجود الأب، ولكن هذا لا يعني أن تتوقع على أموالها لنفسها، بل ينبغي لها -تربويًا على الأقل- أن تمدد العون لزوجها ولأولادها ما أوتيت إلى ذلك سبيلًا.

وأما إذا لم تكن ذات مالٍ، فعليها أن لا تعدم الأسلوب الجميل والابتسامة والترحيب والتشجيع المستمر، ومعالجة المواقف الحرجة بحنكة وذكاء.

عليها أن تقف إلى جنب زوجها -لو أعوزه الحال- وأن تصبر على قلة ذات يده، وعليها أن تُفهم أولادها أن أباهم لا يملك غيرهم، وأنه يبذل قصارى جهده من أجل تلبية رغباتهم، ولكن الظروف لم تتأت معه كما يجب أو كما يُحب، لذلك عليهم أن يقدرُوا هذا منه، وأن يجعلوا من خططهم المستقبلية مساعدة أبيهم اقتصاديًا عندما تتاح لهم الفرصة المناسبة.

النقطة الرابعة: وكما أن التقصير في هذا الجانب خطأ، كذلك الإفراط به إلى حدّ الدلال غير المبرمج ولا المنظم هو خطأ آخر قد يقع فيه بعض آخر من الآباء.

إن من طبيعة الطفل أنه موجود مستهلك، فلو وجد الموارد أمامه متوفرة وبكثرة وبسهولة، فإنه سيزيد من استهلاكه اللا مسؤول، وسوف لن يتراجع إلى نقطة سابقة بعد أن تجاوزها...

خذ مثالاً على ذلك: الطفل لو لم يُفطم، فإنه سيستمر بالرضاع ولو تجاوز عمره الأربع أو الخمس سنوات ربما، وأعتقد انكم رأيتم طفلاً أو اثنين ممن يضعون الماصّة الخاصة بالأطفال وهم بهذه الأعمار أو ربما حتى أكبر! ولذلك شبه أحد الشعراء النفس -التي لم توضع لها قيود من العقل- بالطفل وحبّه للرضاع فقال:

والنفس كالطفل، إن تمهله شبّ على حبّ الرضاع وإن تطفمه ينطم
فلو لم نضع له قيوداً من البداية، لبقى الطفل يسير مغمضاً عينيه يستهلك الأخضر

واليابس، وفي اللحظة التي يعجز الأب - لسبب ولآخر - عن توفير رغباته اللامتناهية، فإنه سيحكم على أبيه بأحكام سلبية، وسيعتبر نفسه ضحية حرب، وقد يواجهه بها لا يُحِبُّ من الألفاظ أو السلوك.

وكتطبيق عملي، ينصح علماء التربية بتحديد مصروف يومي للطفل، لا يُعطى أكثر منه إلا في حالات الضرورة القصوى، وللطفل أن يدخر من مصروفه لحاجاته الأخرى، فذلك يعلمه أن المال لا يُعطى دومًا بالمجان، ويعلمه كيفية إدارة أمواله بما يخدم مصالحه، وأن يقسم موارده على ما يحتاج إليه من أمور، وكل ذلك يصبُّ في عملية البناء الاقتصادي التكاملي للطفل.

ولذلك قالوا: إن «تخصيص مصروف مفتوح وغير مقنن للطفل، لن يعلمه أبدًا كيف تسير الحياة من حوله، وهناك أجيال ترعرعت وهي تعيش مُسَلِّمات كثيرة خاطئة، ومنها: أن المال منحة مجانية، ويتوقع هؤلاء أن يبقى الآباء ينفقون عليهم ويسدّدون فواتيرهم حتى بعد أن يكبروا... فتوفير فيض زاهر من الأموال للأطفال، من دون أن نعلّمهم عادة العمل الجادّ، سيجعلهم أبناءً متذمّرين وأنانيين، يرون كل شيء في حياتهم حقًا مكتسبًا، وعندما نحرّمهم من أي شيء، صغر أو كبر، يعتبرون أنفسهم ضحايا... في حين أن أسوأ ما يمكن أن تربي عليه أبناءك، هو أن يعتبروك - أو يعتبروا أي إنسان آخر - مجرد بنك متحرّك أو صراف آلي، يقدّم لهم المال كلّما جاؤوا للسؤال.»^(١)

النقطة الخامسة: لا شك أن معظم الآباء يبذلون قصارى جهدهم من أجل توفير العيش الكريم لعوائلهم، وقد تتفهم الأم - أو على الأقل بعض الأمهات - حقيقة هذا

(١) الأسرة والجيل الرقمي - مجموعة من الكتاب - من مقال: التنشئة الاقتصادية للأبناء - تأليف: ديف رامزي وريتشل كروز، ص ٢٠٢ - ٢٠٣. الطبعة الأولى ٢٠١٦ - قنديل للطباعة والنشر والتوزيع.

الأمر، وقد تتحسّس آلامه وصعابه، وإن كنا لا نعدم الأمهات اللائي لا يقدرن ما يبذله الأزواج من جهود في سبيل إسعادها وأولادها، كما لا نعدم في الجانب المقابل أزواجًا لا يقدرّون ما تبذله الزوجات في سبيل تحويل البيت من سجن إلى حديقة غناء!

ولكن الأولاد - في كل ذلك - قد لا تكون عندهم القدرة على فهم تلك الجهود المبذولة وتقديرها، خصوصًا في بدايات حياتهم، إلا بعد أن يقطعوا شوطًا طويلًا في مضمار الحياة.

وهنا، تبرز أهمية التربية الاقتصادية الناضجة، لتعمل على تهيئة الظروف المناسبة للأولاد ليتعرفوا على حجم تلك الجهود التي يبذلها الأبوان.

إن تكليف الأم لابنتها بأن تغسل أواني الطعام ليوم واحد، هو أمر تربوي يكشف للبت - بعده - مقدار الجهد الذي كانت ولا زالت تبذله الأم في غسل الأواني وغيره كثير من الأعمال المنزلية.

كما أن تكليف الأب لولده بأن يحرث أرض الحديقة المنزلية مثلًا، وينظفها من الأدغال، كفيّل بأن يحسّس الولد بمقدارٍ قليل من التعب الذي يتجرعه الأب يوميًا عندما يهرع من الصباح الباكر لممارسة شتى الأعمال - ربما - والتي يكون تنظيف الحديقة وحرثها جزءًا يسيرًا جدًا منها، كل ذلك من أجل توفير العيش الكريم لهم.

الخلاصة: أن تكليف الأولاد - في عمر مناسب - بالقيام ببعض الأعمال - المتناسبة مع أعمارهم وقواهم العضلية - كفيّل بالإشارة إليهم وإشعارهم بالجهود الاستثنائية التي يبذلها الآباء والأمهات يوميًا... وهذا أمر يدخل في نظام: (تنضيج) الأولاد فكريًا وعمليًا.

النقطة السادسة: أساليب تربوية للتنمية الاقتصادية:

الأسلوب الأول: مهارة الادّخار.

تعود أبنائنا - خصوصًا في المجتمعات الشرقية ولعله كذلك في المجتمعات الغربية - على أن يستلموا مصروفاتهم اليومية بالمجان من أحد الأبوين، وغالبًا ما يكون الهدف من المصروف هو إنفاقه أثناء التواجد في المدرسة أو حتى في البيت، وهذا في حدّ نفسه أمر ضروري للأولاد، إذ إنهم يحتاجون لمصروف معين كما هو واضح.

المهارة هنا تكون في أن نعلّمهم وندفعهم ونحفّزهم على أن يرشّدوا من الاستهلاك اليومي بتأجيل بعض الرغبات، أو استبدالها بأقل كلفة منها، أو التعويض عن الأكل في كافيتريا المدرسة بطعام يؤخذ من البيت، وما شابه، وتوفير ما يقابل هذه الحاجات من مال في صندوق خاص.

وقد تعمل بعض العوائل على تجميع مقدار معين من مصروفات الأولاد يوميًا لفترة معينة ليُعطى المجموع لهم بالتالي (ما يُسمى عرفًا بالسلفة). هذا، وإنّ علينا أن نعلّمهم التوفير في ما يكتسبونه من مال، سواء وصل لهم بالمجان، كالهدايا، أو ما حصلوا عليه إزاء عمل معين قاموا به.

الادّخار أمر ضروري في توفير واردات تسدّ الحاجة وقت الفاقة أو العسر.

وقد دعا الدين في موارد عديدة وأشار إشارات واضحة إلى ضرورة العمل على مهارة (الادّخار)، ليس للصغار فقط، وإنما للكبار، مما يعني أنها مهارة حياتية تدخل ضمن مقومات النجاح وأسس الحياة وضمائم المستقبل.

«وقصة النبي يوسف عليه السلام في القرآن الكريم خير دليل على أهمية الادّخار، وذلك عندما فسّر رؤيا فرعون مصر في البقرات السبع بسنوات عجاف، والجذب، ومن ثمّ

اقترح عليه توفير القمح، لتجاوز هذه المحنة، جاء في كتاب الله العزيز: ﴿يُوسِفُ أَيُّهَا الصَّدِيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِيَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ حُضِرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾ [يوسف ٤٦ - ٤٩].

نستلهم من هذه الآيات المباركة أن الهدف من الادّخار يكون حميداً، لو كان الهدف منه حماية اقتصاد المجتمع، والحفاظ على أنماط تماسكه، لدرجة أن نبياً من أنبياء الله تعالى قد تولّى هذه المهمة بنفسه^(١)

وهناك إشارات روائية عديدة لضرورة الادّخار، فقد روي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: «إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَدْخَلَ طَعَامَ سَنَّتِهِ خَفَّ ظَهْرُهُ وَاسْتَرَحَّ، وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليهما السلام لَا يَشْتَرِيَانِ عَقْدَةً^(٢) حَتَّى يُحْرَزَ إِطْعَامُ سَنَّتِهِمَا.»^(٣)

وعن رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «إِنَّ النَّفْسَ إِذَا أَحْرَزَتْ قُوَّتَهَا اسْتَقَرَّت.»^(٤)

وعن أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: « قَالَ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ النَّفْسَ قَدْ تَلْتَأَتْ عَلَى صَاحِبِهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا مِنَ الْعَيْشِ مَا تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ، فَإِذَا هِيَ أَحْرَزَتْ مَعِيشَتَهَا اطْمَأَنَّتْ.»^(٥)

فإذا علمنا أن أثر الادّخار أمر واقعي لا علاقة له بالعمر أو بالمستوى الثقافي،

(١) فنّ التدبير في المعيشة - مركز نون للترجمة والتأليف - ص ١٦٤ - ١٦٥ - نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية - الطبعة الأولى ٢٠١٣ م / ١٤٣٤ هـ.

(٢) العقدة - بالضم -: الضيعة والعقار الذي اعتقده صاحبه ملكاً. (القاموس) [هامش المصدر]

(٣) الكافي للكليني ج ٥ ص ٨٩ بَابُ إِحْرَازِ الْقُوْتِ ح ١.

(٤) الكافي للكليني ج ٥ ص ٨٩ بَابُ إِحْرَازِ الْقُوْتِ ح ٢.

(٥) الكافي للكليني ج ٥ ص ٨٩ بَابُ إِحْرَازِ الْقُوْتِ ح ٣.

فعلينا حينها أن نعلم أولادنا على هذه المهارة منذ نعومة أظفارهم، حتى لا يقعوا فريسة الاستهلاك غير المسؤول واللابالية عندما يكبرون.

ملحوظة مهمة :

صحيح أن علينا أن نعلم أولادنا مهارة الادّخار، كما أنّ علينا نحن أيضًا أن نمارس هذه المهارة، ولكن يلزم أن لا ينسى المرء نفسه فيصل إلى حدّ البخل وحرمان النفس من ضروريات الحياة، وهذه مسألة خطيرة، فقد يستغرق المرء في توفير المال، فيحلوا في عينه جمعه، إلى أن يصل إلى حدّ تنقبض يده عن البسط تمامًا، فيقع في شرك البخل ومصيدة الحرمان.

وهذا يعني: أن علينا أن نزن الأمور بموازينها الواقعية، وأن نبقى على تواصل دائم مع أصحاب العقول الراجحة والتجارب الناجحة، وليس هناك أفضل من أهل بيت العصمة عليهم السلام، حيث أعطونا قواعد عامة يمكن أن تكون هي المنهاج الأمثل في التوفير والادّخار للكبار والصغار على حدّ سواء.

وفي هذا المجال، روي عن معتب قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: وقد يزيد السعر بالمدينة، كم عندنا من طعام؟ قال: قلت عندنا ما يكفينا شهرًا كثيرة قال: أخرجته، وبعه. قال: قلت وليس بالمدينة طعام؟ قال: بعه. قال: فلما بعته قال: اشتر مع الناس يومًا بيوم، وقال: يا معتب اجعل قوت عيالي نصفًا شعيرًا ونصفًا حنطة، فإن الله يعلم أنني واجدٌ أن أطعمهم الحنطة على وجهها، ولكني أحب أن يراني الله تعالى قد أحسنت تقدير المعيشة. ^(١)

فلاحظ أن الإمام عليه السلام رغم أنه كان مقتدرًا على إطعام أهله الحنطة الخالصة، ولكنه

(١) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج ٧ ص ١٦١ باب التلقي والحكرة ح (٧١٠) ١٥.

أمر معتباً بأن يخلط معه الشعير تقديرًا للمعيشة، خصوصاً وأن الرواية تشير إلى وجود نوع من قلة الطعام في المدينة آنذاك.

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: **فَدَعَ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِدًا، وَاذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَدًا، وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضُرِّ وَرَتِّكَ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ.** (١)

وفي رواية عن مُعَمَّرِ بْنِ خَلَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام يَقُولُ: «إِنَّ رَجُلًا أَتَى جَعْفَرًا (صلوات الله عليه) شَبِيهًا بِالْمُسْتَنْصِحِ لَهُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، كَيْفَ صِرْتَ اتَّخَذْتَ الْأَمْوَالَ قِطْعًا مُتَفَرِّقَةً؟! وَلَوْ كَانَتْ فِي مَوْضِعٍ [وَاحِدٍ] كَانَتْ أَيْسَرَ لِمُؤَوَّنَتِهَا وَأَعْظَمَ لِمَنْفَعَتِهَا. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: اتَّخَذْتُهَا مُتَفَرِّقَةً، فَإِنْ أَصَابَ هَذَا الْمَالَ شَيْءٌ سَلِمَ هَذَا الْمَالُ، وَالصُّرَّةُ تُجْمَعُ بِهَذَا كُلُّهُ.» (٢)

لاحظوا كيف أن الإمام الصادق عليه السلام يعلمنا طريقة للتوفير، وهي أن نضع أموالنا في أماكن متفرقة لا في مكان واحد، إذ لعل شيئاً ما يُصيب هذا المكان، فلو كانت مجتمعة لعطبت كلها وتلفت، أما إذا كانت متفرقة، فإن تلف بعضها لا يسري إلى البعض الآخر، وهذا من مهارات التوفير والادّخار العقلانية الواقعية.

الأسلوب الثاني: تحديد الأهداف.

إن من أكثر الأخطاء شيوعاً لدى بعض الناس -وربما الكثير منهم- هو عدم تحديدهم أهدافهم وغاياتهم التي يريدون الوصول إليها، لذلك تجدهم يسرون سير النملة التي لا ترى أكثر من عدة سنتمترات، ولا ينظرون بعين الصقر الثاقبة التي تتجاوز الحدود المتعارفة للنظر.

إن تحديد الأهداف من الأفعال يعتبر من أهم طرق النجاح المنهجي، ولذلك تؤكد

(١) نهج البلاغة ج ٣ ص ١٩.

(٢) الكافي للكليني ج ٦ ص ٩١ باب شراء العقارات وبيعها ح ١.

عليه جميع الدراسات التي تناولت التنمية البشرية، الاقتصادية وغيرها. وفيما يتعلق بتحديد الهدف الاقتصادي للأولاد، علينا أن نتذكر أن أولادنا ما زالوا في بداية طريقهم في هذه الحياة، وأن مداركهم لم تكتمل لتتعرف على الأهداف النبيلة من غيرها، لذلك، لزم علينا -نحن الآباء والأمهات- التدخل السريع في مساعدتهم على تحديد أهداف منتجة في هذا المجال.

هل تتذكرون عندما كنا صغاراً، وكان معلّمونا يسألوننا عما نود ونهدف أن نصل إليه في دراستنا؟!

إنها طريقة تحفيزية رائعة، ترسم هدفاً للتلميذ من أول يوم يضع فيه قدمه على خط التعلم، ليسعى إلى الوصول إليه قدر إمكانه، وأعتقد أنكم لاحظتم أن علامات التلميذ ودرجاته في الاختبارات كانت عادة متناسبة مع الهدف الذي يصبو أن يصل إليه. وفي هذا المجال يمكن إعطاء قائمة توصيات تتعلق بالتربية الاقتصادية:

١/ علينا أن نعلم أولادنا أسلوب: الأهم والمهم، وأسلوب: المستعجل وما يمكن تأجيله، حينها سيفهم أنه لا يلزم على الأبوين توفير كل ما يرغب به مباشرة، وسيتعلم كيف يؤجل بعض رغباته لأن غيرها أهم منها.

٢/ علينا أن نعلم أولادنا تحديد الأهداف من أفعالهم بدءاً بما نراه نحن فعلاً ساذجاً لا قيمة له.

عندما ترى ابنك يكسر لعبته، قبل أن تزجره أسأله: لماذا فعلت ذلك؟ قد يقول لك: إنه يريد اكتشاف ما في داخلها، حينها، يتعرف أن له هدفاً يريد من خلاله إشباع فضوله العلمي، فهذا أمر جيد، لكن السيء في المسألة أنه اتخذ طريقاً غير صحيح للوصول إلى إشباع رغبته المعرفية، حينها، علمه أن هناك طريقة أخرى أفضل للتعرف على ما في داخل اللعبة.

لو أراد ولدك أن يخرج مع صديقه، اسأله عن الهدف من وراء ذلك، وعلمه هدفاً محترماً لا ثقاً به كرجل مستقبلي.

وهكذا لو أراد ولدك أن يشتري حاجة ما، لعبة، أو حقيبة، أو ممحاة، أو مبراة... وهكذا لو تطورت طلبات الولد ليشتري جهازاً لوحيداً مثلاً، أو أراد أن يبدل جهازه اللوحي بأخر أعلى ثمناً منه، في كل ذلك اجلس معه جلسة صديق، وحدد معه الهدف من كل تلك الأفعال، وستجد أن العديد من التصرفات ستتغير، والكثير من المصروفات ستقل عندما يفهم مثلاً أن الجهاز الأعلى يؤدي نفس عمل الجهاز الأقل سعراً، وأن الحكمة تقتضي عدم شراء الزائد على الحاجة، وذكره بما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من اشترى ما لا يحتاج إليه، باع ما يحتاج إليه»^(١).

٣/ عندما تحدد هدفاً ما لولدك، عليك أن تنبهه أن تحقيقه ليس بالمجان، وأن عليه أن يسعى إلى رفع كل الموانع التي قد تواجهه، والتي منها الموانع النفسية. فمثلاً تقليل المصروف قد يواجهه رغبة نفسية بالصرف أكثر، لأنه يرى أن صديقه يصرف أكثر مما يصرفه هو، علمه حينها، وضح له أن النفس لن تشبع عند مطلب، أن النجاح يقتضي أن نقاوم شهواتنا قليلاً. أفهمه أن المفروض علينا هو أن لا نحرم أنفسنا مما نحتاج إليه، ولكننا لا نعطيها أكثر مما نحتاج إليه.

وهكذا عليك أن تجد أي فرصة لتوضح لولدك أن صرف المال لا بد أن يكون في موضعه المناسب.

الأسلوب الثالث: التأجيل أولى من القروض والفوائد.

نعيش اليوم في عالم متسارع جداً، في مختلف مجالاته، حتى في شركات الأدوية،

(١) دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي ج ٢ ص ٢٥٥ ح ٩٦٨.

والتغذية، بل والأحذية! في كل شيء هناك تسارع، والأسعار تزداد باستمرار، والرغبات النفسية لدى الجميع لا حدود لها، وهنا، قد يقع أولادنا فريسة للإعلانات الممولة -والتي يخسر عليها أصحابها ما لا نتوقعه من أموال- فيتهاكون -أولادنا- على اقتناء أكبر قدر ممكن مما يُعرض على شاشات التلفاز أو ما تواجههم صور إعلاناته في طريق مدرستهم، أو حتى الإعلانات التلقائية على مواقع النت (you tube)، ولأن المال الذي لديهم قد لا يكفي لسد رغباتهم، قد يلجؤون إلى أساليب أخرى منها:

أ/ الشراء بالآجل، الأمر الذي يعني رفع سعر الحاجة، وبالتالي قد تنكسر الحاجة التي يشتريها الولد قبل أن يُكمل تسديد ديونه عليها!

ب/ الاقتراض من أصدقائهم. ووقعهم في حرج معهم، أو ربما يتطور الأمر ليستغلهم أصدقاؤهم لبعض مآربهم، وتهديدهم بإخبار الأهل بأنهم اقترضوا منهم، وفي هذا ما لا تحمد عقباه.

ج/ وربما يصل الحد إلى (السرقه) من الأب أو الأم أو حتى غيرهما!

لذا، علينا في قبال ذلك أن نعلمهم على:

أ/ أن تأجيل الرغبات أمر يحكم به العقل، وأن الإنسان لا بد أن يضبط نفسه، ولا يلهث وراء طلباتها غير المتناهية.

ب/ أن نعدّهم بشراء الحاجة حينما تكون ضرورية لهم، بلا حاجة إلى الاقتراض أو أخذها مع تحميلها فوائد إضافية، ونصدق معهم لو جاء الوقت المناسب لشرائها.

ج/ تعليمهم فن (الادّخار) كما تقدم، وتشجيعهم عليه من خلال إخبارهم بأن بإمكانهم شراء الأمور التي يحتاجونها من مدّخراتهم، وأنكم لن تعترضوا عليهم ما داموا يشترون ما يحتاجون إليه.

الجانب الثاني: من جهة الأولاد

ويُقصد منه: تربية الأولاد بطريقة تجعلهم يتعاملون مع وسيلة التبادل السوقي [وهي الأموال] بطريقة اقتصادية، بما في ذلك احترام هذه الوسيلة، وسبل تحصيلها بطريقة مشروعة دينياً وقانونياً، وهذا يتضمن النقاط التالية:

النقطة الأولى: تعليمهم الحدود والأطر العامة للاقتصاد.

والذي يتضمن:

الحد الأول: الابتعاد عن الإفراط في الاهتمام بالأموال إلى الحد الذي يجعل الإنسان نهماً في تحصيلها، الأمر الذي ينعكس سلباً:

١: على الصحة: حيث إن العمل المستمر من أجل تحصيل الأموال يعني قضم ساعات الراحة للجسم، وبالتالي قد يصل الفرد إلى لحظة لا تكفيه جميع أمواله التي حصلها طول حياته لعلاج ما يقع فيه من أمراض.

٢: على العلاقات الاجتماعية: فإن الانشغال المستمر بالعمل يؤدي إلى التضحية بالكثير من العلاقات مع الأصدقاء والأرحام، وحتى العائلة.

٣: على راحة العقل: حيث إن التفكير الدائم بطرق تحصيل الأموال يؤدي إلى صياغة العقل صياغة تجارية تُبعده عن ممارسة فعاليات ذهنية أخرى، مما يجعل منه عقلاً جامداً على (الأرباح) متابعاً لمستويات (أسواق البورصة) إلى الحد الذي يفقد معه التركيز على غير هذه المعاني، الأمر الذي ينعكس سلباً على عواطفه ومشاعره، فيتحول

إلى (صراف آلي) لا أكثر.

الحد الثاني: الابتعاد عن التفریط بالأموال، وتضييعها بدون فائدة، وعدم الانضباط في صرفها، الأمر الذي ينعكس سلبيًا على الفرد في عدة جهات، منها:

١: أن الصرف غير المنضبط للأموال يعني انتهاءها قبل الوقت المحدد لها، وبالتالي سيقع الفرد في الحاجة قبل أن يحين موعد استلامه للمال في الشهر القادم مثلاً.

٢: وهذا يعني الاضطرار إلى الاستدانة، أو لنقل: الجرأة على الاقتراض، خصوصًا إذا احتاج الولد إلى تصليح جهازه المحمول أو تحميل برنامج معين، وهذا يعني الوقوع في مصيدة البنوك الربوية على المدى الطويل.

٣: فإذا لم يجد ما يُسدّد به الدين، هذا يعني أنه سيعمل على التهرب من أن يرى الدائن وجهه، وسيتصنّع الولد المرض حتى لا يذهب للمدرسة فيطالبه صديقه بماله الذي اقترضه منه، أو سيتعمد إثارة مشاكسة معه ليقطع التواصل معه، وغيرها من طرق التهرب من الدائن.

الحد الثالث: الطموح رغم القناعة.

بمعنى: أن نربي أولادنا على طريق متوازن فيما يتعلق بالحالة الاقتصادية، يتضمن:

١: تعليم الأولاد القناعة بالحالة التي هم عليها، وعدم النظر إلى أصحاب الأموال الطائلة، فإن هذا النظر لن يجلب لصاحبه سوى الحسرة والقنوط، وقد يجرّ إلى حالات من الاكتئاب والعزلة! وقد يصل إلى حد الاعتراض على الرزق الإلهي!

والأفضل أن نعلّمهم النظر إلى من هم دونهم في الحالة المادية، وكيف أنهم رضوا بما هم عليه، من دون أن يؤدي ذلك إلى توقفهم عن المشاركة في الحياة والاستمرار فيها رغم صعوباتها.

٢: وفي نفس الوقت، علينا أن نخلق في داخلهم الدافع الذاتي وأن نزرع في قلوبهم الطموح نحو تحسين الحالة المادية للعائلة عموماً، من خلال الطرق المشروعة والقانونية، والتي تتضمن:

أ/ الاهتمام بالدراسة من أجل الحصول على شهادة محترمة تنعكس إيجاباً على الإنسان بمرود مادي محترم. بشرط أن نزرّق في أذهانهم أن لا يستعملوا وظيفتهم لاستغلال الناس أو إنهاك جيوهم، وأن نذكرهم دائماً بأن مساعدة الناس هي أفضل راحة للروح، تنعكس إيجاباً على الحالة النفسية وعلى البدن، وبالتالي تؤدي إلى السعادة التي لا يُحس بها الطمّاعون والجشعون من أصحاب المهن المختلفة.

ب/ فتح هامش العمل المهني لو صادف أن لم يتوفق الولد في الدراسة، وحتى لو كان موفقاً فيها، فلا مانع من تعليمه مهنة معينة تنفعه في حياته اليومية، حسب ما يُتقنه ويرغب فيه من المهن، وهو ما نتعرف عليه أكثر في النقطة التالية.

النقطة الثانية: ممارسة الأوالاد لعمل تجاري.

بداية: هل من الصحيح أن ندفع أولادنا إلى العمل التجاري، أو أن نُبقيهم بدون عمل إلى أن يتزوجوا مثلاً؟

في الحقيقة، المسألة من هذه الناحية تابعة للظروف الموضوعية، ويمكن أن نقرأها من جهتين:

الجهة الأولى: أهمية العمل للأوالاد.

لا شك أن العمل -بما يقتضيه من إدارة الأموال وتنميتها والحفاظ عليها- من شأنه أن يُساعد في استقلال الولد في إدارة شؤونه، وبالتالي بناء شخصيته المستقيمة، حيث يعمل على هندسة أمور حياته وفق مبدأ الموازنة بين الصادرات والواردات،

وتجعله يعمل على تنمية موارده بذكاء، وبالتالي ينسحب إيجاباً على قولبة شخصيته بقلب الاعتماد على الذات، بعيداً عن تكفّف الناس أو استجداء الأموال من هنا وهناك. وهذا ما يحكم به العقل، والتجربة خير شاهد على ذلك، فإننا نرى الأولاد الذين مارسوا العمل في بدايات حياتهم، أكثر حرصاً على تنمية مواردهم الاقتصادية من أولئك الذين تعودوا أن يحصلوا على كل شيء بالمجان من آبائهم وأمهم؛ خصوصاً وأنهم يستشعرون قيمة المال، حيث واجهوا صعوبات عديدة للحصول عليه، وهم في ذلك مهتدون بالخسارة، مما يعني حرصهم على أن تكون خطواتهم التجارية منضبطة ومنهجية في سوق المال.

وهذا أمر دعت له الروايات الشريفة، فإن هناك الكثير من الخطابات الدينية التي تدعو إلى العمل وتقدّس العامل، وتجعله في مصاف المجاهد في سبيل الله من حيث الثواب.

الجهة الثانية: أضرار العمل.

من جهة أخرى، فإننا نجد أن عمل الأولاد يواجه العديد من المشاكل الاجتماعية والتربوية، ومنها:

أ/ أن الولد - خصوصاً في بدايات عمله - حيث يكون مندفعاً للحصول على المال، فإنه يحاول أن يكسبه بطريقة وبأخرى، ولربما دفعه الحرص على إبراز نفسه كتاجر ناجح أن يمدّ يده إلى غير ما حلّ من المال، الأمر الذي يعني انجرار الولد بالتدريج - لو تُرك من دون علاج لهذا الاندفاع النفسي - إلى السرقة، وربما غير السرقة.

وهذا ما حدّرت منه بعض الروايات الشريفة، فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ كَسْبِ الْإِمَاءِ، فَإِنَّهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ زَنْتَ، إِلَّا أُمَّةً قَدْ عُرِفَتْ بِصُنْعَةِ يَدٍ،

وَمَهَى عَنِ كَسْبِ الْغُلَامِ الَّذِي لَا يُحْسِنُ صِنَاعَةً بِيَدِهِ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَجِدْ سَرَقًا»^(١).

فالرواية تذكر بعض مضارّ عمل الأولاد، وهو أنه إذا لم يجد ما يكسب به المال فإنه سيتجرأ على السرقة، وأول سرقة ينجح فيها ستجرّه إلى ألف سرقة وسرقة أخرى.

ب/ إن الولد وفي محاولة منه لتلميع صورته في عين والده مثلاً، وأنه صار رجلاً ناجحاً في الحياة، فإنه سيعمل على إخفاء بعض إخفاقاته، وإبراز صور النجاح التي يحصدها فقط، الأمر الذي يعني استمراءه للكذب، والكذب أبو المصائب.

ج/ إن حبّه لذاته، يدفعه إلى البحث عن طريقة وأخرى للحصول على الربح، وبالتالي قد يبرر لنفسه تجاوز بعض الحدود الإنسانية أو الشرعية من أجل اقتناص بعض الأموال، وسيتبنى في نفسه مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة)، والذي لو تجذّر في سلوكه، فإنه سيرر لنفسه الكثير من السلوكيات المخالفة للإنسانية والشرع والقانون.

إن ذلك نابع من كون الولد يجب - كما البالغ - أن يُحافظ على كرامته، وبالتالي فإن الإحساس بالخسارة يولّد عنده الكثير من الأحاسيس المتناقضة في داخله، والتي تتراوح بين الشعور بالفشل الذي يقتل الاندفاع الذاتي ويسحبه نحو هاوية الانقباض على الذات والشعور بالدونية، وبين استشعار أهمية الانتفاض من أجل استرداد كرامته، من خلال كسب المال، ولو بطريق معوج.

د/ قد يشعر الولد بظلم أبيه الذي دفعه نحو العمل من أجل توفير حاجاته، خصوصاً عندما يُقارن بين نفسه وبين صديقه الذي يوفر له أبوه كل احتياجاته وألعابه من دون أن يبذل أي جهد.

هـ/ هذا فضلاً عن أن العمل يعني ابتعاد الولد عن أجواء البيت والتربية التي تلقّاها

(١) الكافي للكليني ج ٥ ص ١٢٨ باب السحت ح ٨.

خلال سنِّي عمره الأولى، ودخوله في معترك الحياة، وربما مواجهته لأخلاق وسلوكيات لم يسمع عنها من قبل، الأمر الذي قد يؤدي به إلى صدمة نفسية، أو قد يتنازل الولد عن تلك المبادئ التي تغدَّى بها في بيته، لينخرط مع الناس وفق مبدأ (حشر مع الناس عيد). هاتان الجهتان تعنيان: أن عمل الولد لا بد أن يكون ضمن منهج تربوي منضبط، لا يخرج عن حدود الدين والعقل والقانون، وفي نفس الوقت يُحافظ على كرامة الولد وعدم شعوره بالدونية ولا بالظلم.

أما كيف ذلك؟

فهذا ما نذكره في النقطة الثالثة إن شاء الله تعالى.

النقطة الثالثة: توصيات:

التوصية الأولى: إفهام الولد - قبل أن يدخل في دوامة العمل - أن العمل هو عز الإنسان، وأن الإنسان الذي يكسب المال بيده إنما هو إنسان محترم، حيث إنه يكون عنصرًا منتجًا في المجتمع، لا مستهلكًا فقط، وأن الإنسان الذي يكون معطاءً، ومستغنيًا عن الناس، سيكون محل احترام وتبجيل من الجميع، فالزوج الذي يكسب ماله بيده، ويُطعم عياله من كدِّه، هو أفضل ألف مرة ومرّة، من ذاك الذي يدّعي التعبّد وهو يتكفّف الناس.

وهذا ما أشارت له العديد من النصوص، ومنها ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ».^(١)

وقد روي أن السيّد المسيح عليه السلام قال لرجل: «ما تصنع؟»، قال: أتعبّد، قال: «فمن

(١) الكافي للكليني ج ٢ ص ١٤٨ بابُ الاستِغْنَاءِ عَنِ النَّاسِ ح ١.

يعود عليك؟»، قال: أخي، قال: «أخوك أعبد منك»^(١).

وفي هذا السياق، ينبغي على الآباء أن لا يُشعروا أولادهم أن إقحامهم في العمل هو محاولة منهم لإبعادهم عن البيت والتخلّص من مشاكلهم، فإن الولد لو فهم هذا الأمر فلعله يصنع من المشاكل ما يندم الأب معها على إلقائه في العمل.

الحلّ الأمثل إذن: أن نوحى إليهم بهذه التوصية قبل دفعهم للعمل.

التوصية الثانية: تعليم الولد صنعة أو مهنة معينة، وهذا امر مهم جداً من جهة ضمان انشغال الولد - في العادة - بتحصيل المال من خلال صنعته، الأمر الذي أشارت إلى ضرورته رواية الإمام الصادق عليه السلام المتقدمة، «وأنه لو لم يجد لسرق».

طبعاً علينا أن لا نغفل: أن الدراسة أهم من العمل المبكر.

التوصية الثالثة: ضرورة عدم رمي الولد في أماكن للعمل تؤدي به إلى ضعف عقيدته أو تلكؤه في أداء واجباته أو انخراطه في سلوكيات منحرفة أو تعلمه للألفاظ البذيئة، وهذا ما أكد عليه الفقهاء (رضوان الله عليهم)، ولذا فقد جاء في منهاج الصالحين للسيد السيستاني: «يجوز للوليّ تسليم الصبيّ إلى أمين يُعلّمه الصنعة أو إلى من يُعلّمه القراءة والخطّ والحساب والعلوم النافعة لدينه ودينه، ويلزم عليه أن يصونه عمّا يفسد أخلاقه فضلاً عمّا يضرُّ بعقائده»^(٢).

علياً إذن: أن لا نرمي الولد بأي مهنة أو صنعة، بل نختار له منها اللائق بشأنه وبشخصيته مع احترامنا لكل المهن والصناعات -

إن عدم التزام بعض الآباء بهذه الوصية يؤدي إلى أن يخسروا أولادهم، بل ويؤدي

(١) ميزان الحكمة للريشهري (ج ٣ / ص ١٨٠٠ / مادة العبادَة)، نقلاً عن تنبيه الخواطر للشيخ ورام (ج ١ / ص ٣٩ و٦٥).

(٢) منهاج الصالحين للسيد السيستاني (ج ٢ / ص ٢٩٨ / مسألة ١٠٧٨)

إلى أن يتضرروا كثيرًا جراء تصرفات الأولاد غير محسوبة العواقب، والواقع شاهد لا يكذب.

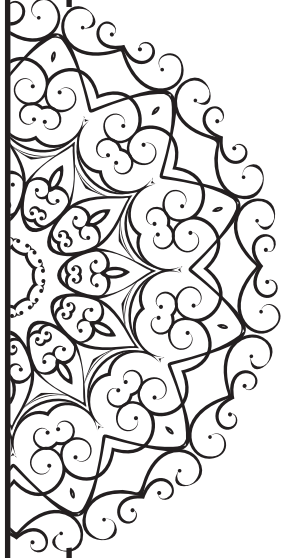
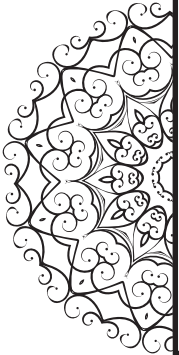
التوصية الرابعة: الانتظار إلى حين بلوغ الولد مرحلة عمرية معينة تكتمل فيها مداركه نسبيًا، بحيث يكون قادرًا على إتقان الصنعة أو المهنة.

بل إن بعض التصرفات لا تنفذ إلا مع البلوغ والرشد، وهو ما ذُكر تفصيله في الكتب الفقهية، فليراجع^(١).

التوصية الخامسة: العمل على أن يكون عمل الولد بمرأى ومسمع من الأب، والأفضل أن يكون عملها واحدًا، وإلا فمع شخص يوثق به وبسلوكه المستقيم، وذلك ليضمن الأب المتابعة الميدانية المستمرة لولده، ومساعدته في إتقان عمله، وكذلك من أجل تشجيعه لو حصل وفشل الصبي نسبيًا في عمل ما، بالإضافة إلى رعايته له أن لا يخدعه البعض أو يغرر به أو يسحبه إلى أماكن الرذيلة أو الشبهات.

(١) يمكن معرفة التفاصيل في كتاب (رسالات تربوية) ص ١٤٦ - ١٥١ الحكم السابع والثلاثون، وهو الجزء الثاني من سلسلة (تربية بلون جديد).

مصادر الكتاب



الاحتجاج: الطبرسي / ت محمد باقر الخرسان / دار النعمان / ١٣٨٦ هـ .

اختيار معرفة الرجال: الشيخ الطوسي / مط بعثت / قم / مؤسسة آل البيت /

١٤٠٤ هـ .

الاستبصار: الشيخ الطوسي / ت حسن الخرسان / ط ٤ / ١٣٦٣ ش / مط

خورشيد / دار الكتب الإسلامية / طهران .

الأسرة والجيل الرقمي: مجموعة من الكتاب / مقال: التنشئة الاقتصادية للأبناء -

تأليف: ديف رامزي وريتشيل كروز / الطبعة الأولى ٢٠١٦ - قنديل للطباعة والنشر والتوزيع .

الأمالي: الشيخ الصدوق / ت قسم الدراسات / ط ١ / ١٤١٧ هـ / مؤسسة البعثة .

الأمالي: الشيخ الطوسي / ت مؤسسة البعثة / ط ١ / ١٤١٤ هـ / دار الثقافة / قم .

الأمالي: الشيخ المفيد / ت الأستاذولي، علي أكبر الغفاري / ط ٢ / ١٤١٤ هـ / دار

المفيد / بيروت .

الأنساب: السمعاني / ت البارودي / ط ١ / ١٤٠٨ هـ / دار الجنان / بيروت .

بحار الأنوار: العلامة المجلسي / ط ٢ المصححة / ١٤٠٣ هـ / مؤسسة الوفاء /

بيروت .

تحف العقول: ابن شعبة الحرّاني / ت علي أكبر الغفاري / ط ٢ / ١٤٠٤ هـ /

مؤسسة النشر الإسلامي / قم .

تربية الطفل في الإسلام: محمد الريشهري / قم / مؤسسة دار الحديث / ١٣٨٥ .

تفسير الإمام العسكري: المنسوب إلى الإمام العسكري / ط ١ محققة / ١٤٠٩ هـ /

مدرسة الإمام المهدي / قم .

تفسير البرهان: السيّد هاشم البحراني / مؤسّسة البعثة / قم.

تفسير العياشي: العياشي / ت هاشم الرسولي المحلاتي / المكتبة العلمية الإسلامية / طهران.

تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي / ت طيب الجزائري / ط ٣ / ١٤٠٤هـ / مؤسسة دار الكتاب / قم.

تفسير مجمع البيان: الطبرسي / ت لجنة من العلماء / ط ١ / ١٤١٥هـ / مؤسسة الأعلمي / بيروت.

تنبيه الخواطر (مجموعة ورام): ورام بن أبي فراس المالكي الأشتري / ط ٢ / ١٣٦٨ش / مط حيدري / دار الكتب الإسلامية / طهران.

تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي / ت حسن الخرسان / ط ٣ / ١٣٦٤ش / مط خورشيد / دار الكتب الإسلامية / طهران.

ثواب الأعمال: الشيخ الصدوق / ت محمّد مهدي الخرسان / ط ٢ / ١٣٦٨ش / مط أمير / منشورات الشريف الرضي / قم.

الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي / ط ١ كاملة محقّقة / ١٤٠٩هـ / مؤسسة الإمام المهدي / قم.

الخصال: الشيخ الصدوق / ت علي أكبر الالغفاري / ١٤٠٣هـ / جماعة المدرسين / قم.

دعائم الإسلام: القاضي النعمان المغربي / ت آصف فيضي / ١٣٨٣هـ / دار المعارف / القاهرة.

رسالات تربوية: الحلقة الثانية من سلسلة تربية بلون جديد / الشيخ حسين عبد

الرضا الأسدي / الطبعة الأولى / تقديم: معهد تراث الأنبياء للدراسات الحوزوية الإلكترونية.

روضة الواعظين: القتال النيسابوري / ت محمد مهدي الخرسان / منشورات الشريف الرضي / قم.

سنن ابن ماجه: ابن ماجه القزويني / ت محمد فؤاد عبد الباقي / دار الفكر / بيروت.

شرح رسالة الحقوق: تحقيق: شرح: حسن السيد علي القبانجي / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٤٠٦ / المطبعة: إسماعيليان - قم / الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر.

شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد / ت محمد أبو الفضل إبراهيم / ط ١ / ١٣٧٨ هـ / دار إحياء الكتب العربية / بيروت.

شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني / ط ١ / ١٣٦٢ ش / مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي / إيران / قم.

صحيح ابن حبان: ابن حبان / ت الأرئووط / ط ٢ / ١٤١٤ هـ / مؤسسة الرسالة. صحيح البخاري: البخاري / ١٤٠١ هـ / دار الفكر / بيروت.

الصحيفة السجّادية: أبطحي / ت محمد باقر الأبطحي / ط ١ / ١٤١١ هـ / مط نمونة / مؤسسة الإمام المهدي، مؤسسة الأنصارين / قم.

علل الشرائع: الشيخ الصدوق / ت محمد صادق بحر العلوم / ١٣٨٥ هـ / منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها / النجف الأشرف.

عوالي اللثالي: ابن أبي جمهور الأحسائي / ت مجتبي العراقي / ط ١ / ١٤٠٣ هـ / مط

سيد الشهداء / قم.

عيون الحكم والمواظ: علي الليثي الواسطي / ت حسين البيرجندي / ط ١ / دار الحديث.

الفتاوى الميسرة: للسيد السيستاني

فقه المغتربين: للسيد السيستاني

فن التدبير في المعيش: مركز نون للترجمة والتأليف / نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية- الطبعة الأولى ٢٠١٣ م / ١٤٣٤ هـ..

قصص الأنبياء: قطب الدين الراوندي / ت غلام رضا عرفانيان / ط ١ / ١٤١٨ هـ / الهادي.

الكافي: الشيخ الكليني / ت علي أكبر الغفاري / ط ٥ / ١٣٦٣ ش / مط حيدري / دار الكتب الإسلامية / طهران.

كفاية الأثر: الخزّاز القمي / ت عبد اللطيف الكوهكمري الخوئي / ١٤٠١ هـ / مط الخيام / انتشارات بيدار.

كمال الدين: الشيخ الصدوق / ت علي أكبر الغفاري / ١٤٠٥ هـ / مؤسسة النشر الإسلامي / قم.

كنز العمال: المتقي الهندي / ت بكرى حياني / ١٤٠٩ هـ / مؤسسة الرسالة / بيروت.

كنز الفوائد: أبو الفتح الكراجكي / ط ٢ / ١٣٦٩ ش / مط غدیر / مكتبة المصطفوي / قم.

الكنى والألقاب: الشيخ عباس القمي / مكتبة الصدر / طهران.

المحاسن: البرقي / ت جلال الدين الحسيني المحدث / ١٣٧٠هـ / دار الكتب الإسلامية / طهران.

المستدرک: الحاكم النيسابوري / إشراف يوسف عبد الرحمن المرعشلي.

مستطرفات السرائر: ابن إدريس الحلي / ط ٢ / ١٤١١هـ / مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم.

مسند أحمد: أحمد بن حنبل / دار الصادر / بيروت.

مشكاة الأنوار: علي الطبرسي / ت مهدي هوشمند / ط ١ / ١٤١٨هـ / دار الحديث.

معاني الأخبار: الشيخ الصدوق / ت علي أكبر الغفاري / ١٣٧٩هـ / مؤسسة النشر الإسلامي / قم.

معجم المحاسن والمساو: الشيخ أبو طالب التجليل التبريزي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٧ / المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

مكارم الأخلاق: الشيخ الطبرسي / ط ٦ / ١٣٩٢هـ / منشورات الشريف الرضي / قم.

من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق / ت علي أكبر الغفاري / ط ٢ / مؤسسة النشر الإسلامي / قم.

مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب / ت لجنة من أساتذة النجف / ١٣٧٦هـ / المكتبة الحيدرية / النجف.

منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الهاشمي الخوئي / تحقيق: سيد

إبراهيم الميانجي / الطبعة: الرابعة / المطبعة: مطبعة الاسلامية بطهران / الناشر: بنياد
فرهنگ امام المهدي ﷺ.

منهاج الصالحين: للسيد السيستاني

منية المرید: الشهيد الثاني / ت رضا المختاري / ط ١ / ١٤٠٩ هـ / مكتب الإعلام
الإسلامي.

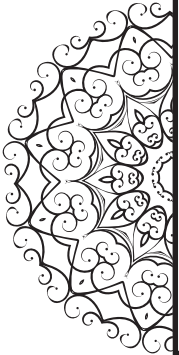
ميزان الحكمة: محمد الريشهري / ط ١ / دار الحديث..

نهج البلاغة: الشريف الرضي / شرح محمد عبده / ط ١ / ١٤١٢ هـ / مط النهضة /
دار الذخائر / قم.

نهج البلاغة: الشريف الرضي / ضبط نصّه الدكتور صبحي صالح / ط ١ /
١٣٨٧ هـ / بيروت.

وسائل الشيعة: الحرّ العاملي / ط ٢ / ١٤١٤ هـ / مط مهر / مؤسسة آل البيت / قم.

المحتويات



المحتويات

٣	الإهداء
٥	مقدمة المعهد
٧	المقدمة
٩	تمهيد
٩	النقطة الأولى:
١٠	النقطة الثانية:
١٠	مناشئ الحقوق:
١١	ما هو منشأ الحق؟
١٣	والخلاصة:
١٣	النقطة الثالثة:
١٥	الجانب الأول: الجانب الديني
١٧	المفردة الأولى: حق الله تعالى الأكبر
١٩	المفردة الثانية: حق التعظيم لله عز وجل
٢٣	المفردة الثالثة: الطاعة بشرط التسليم
٢٥	أركان الدين:
٢٨	الخطوة الأولى: المعرفة.
٢٩	الخطوة الثانية: تطبيق المعرفة.
٣١	الخطوة الثالثة: التطبيق الكامل.
٣١	الخطوة الرابعة: التفرقة بين الدين والمتدين.
٣٢	الخطوة الخامسة: حماية الدين.
٣٩	المفردة الرابعة: الإخلاص
٣٩	ما معنى الإخلاص؟
٤٥	المفردة الخامسة: معرفة الإمام
٤٧	كيف نعرف إمام زماننا؟

- ٥٢ منشأ لزوم الإتيان:
- ٥٤ خلاصة الجانب الأول:
- ٥٧ **الجانب الثاني: الجانب الأسري**
- ٦١ المفردة الأولى: العلاقة مع الأبوين
- ٦٢ حق الأب.
- ٦٤ أما ما هي تلك الآداب؟
- ٦٥ حق الأم أعظم.
- ٦٦ مفارقة...
- ٦٦ لماذا كان حقَّ الأم أعظم بكثير من حقِّ الأب؟
- ٦٦ أولاً: إن الوعاء الذي حمل الولد هي الأم.
- ٦٨ ثانياً: إن الأم مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية.
- ٦٩ ثالثاً: إن الأم تحتاج إلى ولدها أكثر من احتياج الأب لولده.
- ٧٠ حقوق الوالدين.
- ٧١ والحاصل مما تقدم:
- ٧٣ المفردة الثانية: العلاقة الزوجية
- ٧٤ أنماط التعامل مع الأسرة:
- ٧٤ النمط الأول: النمط الرأسمالي الاقتصادي:
- ٧٦ النمط الثاني: النمط الانتقائي:
- ٧٧ النمط الثالث: النمط الجاف (الصحراوي):
- ٧٧ النمط الرابع: النمط الإسلامي الواقعي:
- ٧٩ المحور الأول: المحور الإداري:
- ٨١ المحور الثاني: العلاقة الشخصية بين الرجل والمرأة:
- ٨٥ المفردة الثالثة: العلاقة مع الأولاد
- ٨٥ القسم الأول: علاقات ذات حقوق من طرف واحد.
- ٨٧ القسم الثاني: علاقات ذات حقوق متبادلة أو منعكسة.
- ٨٨ ماهي حقوق الأبناء التي يلزم على الآباء مراعاتها؟
- ٩٠ التربية المتبادلة:

- ٩١ الخطوة الأولى: أصل وجود أولادنا في حياتنا.
- ٩٧ الخطوة الثانية: سلوك الأطفال الصغار، وكيف يربينا.
- ٩٨ النقطة الأولى: سلامة القلب وشفافية التعامل.
- ٩٨ النقطة الثانية: انعدام أو ندرة الغلّ.
- ٩٩ النقطة الثالثة: عدم تأثرهم كثيراً بالفقدان.
- ١٠٠ النقطة الرابعة: قوة التركيز:
- ١٠١ النقطة الخامسة: الإلحاح.
- ١٠٢ النقطة السادسة: اللجوء إلى القوي.
- ١٠٣ النقطة السابعة: الإصرار.
- ١٠٤ ثامناً: النشاط الدائم.
- ١٠٥ ختاماً:
- ١٠٧ المفردة الرابعة: العلاقة بين الإخوة
- ١٠٧ النقطة الأولى: الأخ الأكبر بمنزلة الأب.
- ١٠٨ تطبيقات فقهية:
- ١٠٨ التطبيق الأول: الحبوة.
- ١٠٩ التطبيق الثاني: قضاء الصلاة والصوم عن الأب.
- ١٠٩ التطبيق الثالث: استئذان البنت أخيها في الزواج.
- ١٠٩ النقطة الثانية: الأخت، الأم الثانية.
- ١١١ النقطة الثالثة: المشاكل بين الإخوة، حقيقة واقعية.
- ١١٣ النقطة الرابعة: مجمل الحقوق المتبادلة بين الإخوة.
- ١١٧ **الجانب الثالث: الجانب الاجتماعي**
- ١٢١ المفردة الأولى: العلاقة مع صاحب الصديق
- ١٢٢ المحور الأول: مميزات علاقة الصداقة.
- ١٢٢ الميزة الأولى: أولى العلاقات.
- ١٢٢ الميزة الثانية: الانفتاح.
- ١٢٤ الميزة الثالثة: أتمها علاقة متجددة.
- ١٢٤ الميزة الرابعة: التأثير المتبادل.

- ١٢٥ المحور الثاني: العلاقة العائلية.
- ١٢٨ المحور الثالث: كيف تختار صديقك؟
- ١٣١ المحور الرابع: كيف أختبر الصديق؟
- ١٣٧ المفردة الثانية: العلاقة مع الكبير
- ١٣٧ العوامل المشتركة بين الحقوق:
- ١٣٨ مناشئ الاحترام في العلاقات:
- ١٣٩ منشأ احترام الكبير.
- ١٣٩ الصفة الأولى: توقيره لسنه.
- ١٤١ الصفة الثانية: تقدّمه في الإسلام.
- ١٤٣ المفردة الثالثة: العلاقة مع الصغير
- ١٤٦ الخطاب مع الصغار.
- ١٤٧ ١/ حق الصغير: رحمته في تعليمه.
- ١٤٨ ٢/ العفو عنه.
- ١٤٨ ٣/ الستر عليه.
- ١٤٩ ٤/ الرفق به.
- ١٤٩ ٥/ المعونة له:
- ١٥١ المفردة الرابعة: العلاقة مع صاحب المعروف علينا.
- ١٥١ الأول: الأسلوب الأناني:
- ١٥٢ الثاني: الأسلوب الجافّ أو القصاصي.
- ١٥٣ الثالث: الأسلوب الاستسلامي:
- ١٥٤ الرابع: أسلوب (أنا وأنت، كلانا نربح):
- ١٥٤ الركيزة الأولى: قانون الحقوق والواجبات:
- ١٥٥ الركيزة الثانية: الشخصية المتزنة:
- ١٥٦ الأول: أن تشكره:
- ١٥٧ الثاني: تذكر معروفه:
- ١٥٧ الثالث: تكسبه المقالة الحسنة:
- ١٥٧ الرابع: أن تخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله تعالى:
- ١٥٧ الخامس: يؤكد الإمام (صلوات الله عليه) على أمر آخر وهو:

١٥٨	ولنا في أئمتنا أسوة حسنة.
١٥٩	الجانب الرابع : الجانب الاقتصادي
١٦٣	المفردة الأولى: العلاقة مع الطبيعة
١٦٣	الخطوة الأولى: أنواع التعامل مع الطبيعة.
١٦٥	الخطوة الثانية: تفاعل الإنسان مع الطبيعة:
١٦٦	الخطوة الثالثة: تعامل الإنسان مع المال.
١٦٨	الخطوة الرابعة: صفات المال النعمة.
١٧١	المفردة الثانية: التربية الاقتصادية
١٧٣	الجانب الأول: من جهة الوالدين
١٧٨	الأسلوب الأول: مهارة الادّخار.
١٨٠	ملحوظة مهمة:
١٨١	الأسلوب الثاني: تحديد الأهداف.
١٨٣	الأسلوب الثالث: التأجيل أولى من القروض والفوائد.
١٨٥	الجانب الثاني: من جهة الأولاد
١٨٥	النقطة الأولى: تعليمهم الحدود والأطر العامة للاقتصاد.
١٨٧	النقطة الثانية: ممارسة الأولاد لعمل تجاري.
١٨٧	الجهة الأولى: أهمية العمل للأولاد.
١٨٨	الجهة الثانية: أضرار العمل.
١٩٠	النقطة الثالثة: توصيات:
١٩٣	مصادر الكتاب
٢٠١	المحتويات